المصل

رواية

محمد عزب

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الوهاب

الكتاب : المصل
تأليف : محمد عزب
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : محمد على
التصحيح اللغوى: إسراء جمال
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٣ × ١٩
رقم الإيداع : ٢٣٩٠٠ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 15 - 1

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

إهداء

منكم من التقيت به ومنذ ذلك صار أخى،

ومنكم من صار أخى حتى وإن لم يجمعنا لقاء.

إليكم أهدي هذا العمل

ادامكم الله في حياتي

المصل

أحمد ناصر	**وائل عبد الرحيم**
محمد مجدى يوسف	**محمود علام**
محمد راضى	**احمد الزينى**
إسلام وهيب	**أميره العربى**
أحمد أبو ريه	**أمنيه صلاح**
أحمد ذكي	**اسراء جمال**
أحمد هشام	**امير ابراهيم**
محمود وهبه	**محمد عبد الوهاب**
أحمد ابراهيم	**احمد سعيد**
اسلام عبدالله	**رجال ٧١٥ المستقبل**
احمد عمرو	**حسين مرمر**
خالدحمدى	**اسلام عبد الرسول**
رامى فخرى	**احمد عادل**
عمرو مرزوق	**محمد اسماعيل**
كريم محمد على	**هيثم بيومى**

كريم اسامه

فادى عزب

محمد الحلوانى

امينه الحلوانى

هبه السبكى

اميره انور

إهداء خاص جداً إلى

د. إيمان الإمام	**(الإسباتليه)**	**(Espitalia)**
أحمد الغندور	**(الدحيح)**	**(Egychology)**
أحمد سمير	**(إيجيكولوجي)**	**(DaVeeV)**

شكر خاص جدا لكل من

د / حسين السيد

د/ محمود صلاح

ومن فلسطين الأبية:

هبة سالم

مكانتكم في قلبي واحدة،

ولكـن برنامـج word أجـبرنى عـلى التفريـق بينكـم فى سـطور متباعـدة.

انتظارک للحياة في عالم مثالي خالي من الشرور،

کانتظارک لمولود من رجل عقيم، وامرأة بلا رحم .

محمد عزب

(١)

القاهرة ٢٠١٩

هاجت العاصمة بعد تداول الصحف والقنوات عدة أخبار عن المختل الذي قتل زوجته وأخفى جثتها بحيلة شيطانية،

الأخبار والإشاعات على مواقع التواصل الاجتماعى تنتشر عن إجبار الشرطة له على الإعتراف،

وبعدما تم تسريب فيديو له وهو يعترف بجريمته بالتفصيل بطريقة ما تناثرت أخبار أخرى بأن الحكومة هي من سربت الفيديو لإلهاء الناس، والكثير والكثير من الأقاويل التي لا ينفك الناس عن ابتكارها ثم نشرها ثم تصديقها في النهاية؛

فتلك هى عادتنا دائما , نحن من نكذب ونحن أيضا من نصدق كذبتنا ونجعلها واقعًا نعيشه.

كانت مكالمة قد دارت بين دكتور فوزي السبكي، وصديقه اللواء خالد الذي يعمل بجهاز الشرطة

هي الشرارة الأولى لما حدث.

فبعد المكالمة مباشرةأسند فوزي إلى كبير مهندسي تكنولوجيا المعلومات بالشركة التي يملكها مهمة مسح أى أثر لابن أخته (هشام) أو صديقته (ندى) من الڤيديو،

وتم ذلك على الحاسوب الشخصي لفوزي حتى يضمن أنه لن يقع بيد أحد غير صديقه الشرطي فقط، وبعدما أرسل له الڤيديو وتمت مشاهدته بدأت إجراءات فتح التحقيق مرة أخرى،

وتوجهت قوة إلى منزل المتهم حسين أبو اليزيد بعد إصدار إذن من النيابة بإعادة التفتيش،وبالفعل حين تم التفتيش في المكان المذكور في التسجيل وجدت الجثة وقد تحللت تقريبا،

وبمواجهة حسين بالڤيديو وبمكان الجثة التى وجدوها فيه

خر معترفا أمام النيابة بكل شيء، وأقر بكل معلومة كانت موجودة بالتسجيل، وأصدر أمر بإعادة محاكمته بعدة تهم منها القتل العمد، وتضليل العدالة.

مرت عدة أيام كان فيها فوزي ومعه هشام وندى فى توتر شديد من رد الفعل الذي حدث، وخصيصا بعدما تحولت القضية إلى قضية رأي عام تهم الجميع بكل تفاصيلها،

وبعدما هدأ الأمر ونسي المصريون كعادتهم وصل فوزي إلى حالة سلام نسبي،

وظن أن ما حدث مر مرور الكرام وأن هشام وندى أصبحا خارج دائرة كل ما حدث حتى أتاه اتصال هاتفي من رقم خاص أخبره أنه مسئول من جهاز الأمن الوطني، وأنهم يريدون مقابلته فى أمر هام وبشكل شخصي،

وذلك لأنهم يضعون مكانته الاجتماعية عين الاعتبار،

فأخبرهم فوزي أنه سيكون موجودًا في المكان والزمان المحددين له وأغلق الخط،

هنا انتابت فوزي حالة شديدة من الاضطراب والتخبط في التفكير؛

فهو يعلم جيدا سبب استدعائه، ولكنه لا يعلم كيف سيتعامل مع الأمر.

حاول أن لا يترك شيئا للصدفة وحاول ابتكار أية كذبة يدلي بها،ولكنه في النهاية قرر أن يدلي بالحقيقة؛ فهم لم يرتكبوا

جرمـا عندمـا سـاعدوا العدالـة في الوصـول للحقيقـة، فأخـبر هشـام ونـدى بمـا حـدث وأنـه سـيكون في مقـر الأمـن الوطـني غـدا صباحـا،

وبالفعـل مـر الليـل عـلى فـوزي طويـلا كأنـه يسـير عكـس الزمـن ولـم ينـم تلـك الليلـة ولـو لدقيقـة، وفى الصبـاح توجـه إلى المـكان المنشـود فوجـد اسـمه مسـجلا عـلى قوائـم الـزوار المسـموح بدخولهـم اليـوم

ومـا إن دلـف إلى الداخـل حـتى بـدأ بالتنقـل مـن غرفـة إلى غرفة،ومـن طابـق إلى طابـق حـتى اسـتقر فى النهايـة بإحـدى الغـرف وظـل منتظـرا قرابـة السـاعة دون أن يقـترب منـه أحـد .

وبعـد تلـك السـاعة فُتح البـاب ودلـف منـه شـاب وسـيم، لـم يمـر مـن عقـده الرابـع سـوى عـام واحد،خمـري البـشرة بعيـون سـوداء حـادة , أملـس الوجـه ويرتـدي حلـة سـوداء،

ألقى التحيةعلى فوزي وهو مبتسم وقال:

- أهـلا وسـهلا دكتـور فـوزي بعتذر لحضرتـك جدا عـن التأخير .

فبادلـه فـوزى ذات الابتسـامة ولكـن بـدا عليـه التوتـر حـين قـال:

- أهلا وسهلا يا فندم، ولا يهمك كان الله في العون.

أشـار الشـاب إلى الأريكـة الـتي كان يجلـس عليهـا فـوزى وقـال بترحـاب:

- اتفضل استريح يا دكتور تشرب ايه؟!

فرد عليه فوزي شاكرا:

- شكرا يا فندم، الرجالة قاموا بالواجب في غيابك،

ممكن بقى أعرف سبب استدعائي؟!

فرد عليه الشاب بضحكة ساخرة وثقة كبيرة :

- استدعاء إيه بس يا دكتور ،إحنا مابنستدعيش حد،

لما بنحتاج حد بنبعت إحنا نجيبه لحد عندنا.

ثم استطرد قائلا بنفس الهدوء والثبات:

- تقـدر تقـول إن حضرتـك هنـا علشـان نقعـد مـع بعـض في جلسـة وديـة،أه صحيـح نسـيت أعرفـك بنفـسي :

أنا المقدم نادر الشاذلي»أمن وطني»

فرد فوزي سريعا:

- أهلا بيك يا نادر بيه، بسس..

فأشـار نـادر بيـده إشـارة مفادهـا (اصمـت) ورفـع سـماعة الهاتـف المسـتقر عـلى سـطح مكتبـه وقـال:

- دخل الجماعة

ثم نظر إلى فوزي محاولا إرباكه وقال:

- دقيقة واحدة ونبتدي كلامنا.

ظـل نـادر جالسـا عـلى مقعـد مكتبـه يتأرجـح إلى الأمـام والخلـف دون حديـث مـع فـوزي قرابـة الدقيقـة حـتى طـرق البـاب وقـال نـادر:

- ادخل

فيفتـح البـاب، ويظهـر مـن خلفـه دكتـور سـمير شـاكر طبيـب الأمـراض النفسـية والعصبيـة،

وصديق فوزي الشرطى الذى أرسل له فوزي الڤيديو

فيهـمُّ نـادر مـن جلسـته واقفـا، مرحبـا بالثنـائي مطالبـا إياهـم بالجلوس؛ليعـاود هـو الجلـوس مـرة أخـرى ولكـن ليـس عـلى الكـرسي الموجـود خلـف مكتبـه، وإنمـا عـلى مقعـد مقابـل للأريكـة الـتى يجلـس عليهـا كل مـن سـمير وفـوزي والشرطـي، ثـم اسـتهل حديثـه موجهـا إيـاه لفـوزي

و بوجه بشوش ودود،وقال:

- علشان مانضيعش وقت كتير أنا هادخل في الموضوع على طول،

- طبعا حضرتك يا دكتور فوزي بعد ما شوفت دكتور سمير،وخالد بيه عرفت سبب الجلسة اللطيفة دي بعد ما موضوع الواد اللي قتل مراته دا انتشر وبعد ما الفيديو اتسرب، والكلام كتر

- احنا اتدخلنا علشان حسينا إن في حاجة مش مظبوطة،ولما دورنا وجمعنا الخيوط عرفنا إن خالد بيه هو اللي فتح القضية تاني، وهو اللي استخدم الفيديو

- ولأن منصب خالد بيه في الداخلية ميسمحش لحد إنه يسأله عن حاجة، جبنا الباشا واتكلمنا معاه علشان إحنا معانا صلاحية نسأل أي حد عن أي حاجة، وخالد بيه علشان حسه الوطني طبعا

- قالنا : إن حضرتك اللي بعتله الفيديو، وطلبت منه إن اسمك ميظهرش في الصورة، وإن الڤيديو لما وقع تحت إيدك قولت تبعتهوله، وأهو تساعد العدالة،

فكلفنا رجالتنا الأول إنهم يحللوا الڤيديو علشان يقدروا يعرفوا هو اتصور فين بالظبط،

وبصراحة هما متعبوش كتير علشان ديكور الأوضة بتاعة الدكتورة ندى والكرسي اللي الواد كان مربوط عليه هما هما اللي لاقيناهم في أوضةالدكتورة ندى لما روحنا المستشفى اللي كان محجوز فيها الواد، ولما اتكلمنا مع دكتور سمير وقالنا:إن آخر حد قعد مع الواد دا كانت الدكتورة ندى والدكتور هشام، اللي بعد التحريات عرفنا إنه ابن أخت حضرتك الوحيد، فساعتها عرفنا إن حل اللغز دا مع حضرتك، أنت اللي بعتت الڤيديو لينا علشان تساعدنا،وطبعا كتر خيرك علشان بتخاف على البلد، وابن أختك اللي استجوب الواد دا وسجل له الاعتراف، بس دا بقى مش كتر خيره علشان هو عمل حاجة مش بتاعته؛

استجوب متهم ومريض ملوش سلطة عليه ولا ليه الحق في استجوابه، سجل الاعتراف بدون إذن نيابة ودي مصيبة تانية خالص،

بس السؤال الأهم من كل دا هو استجوبه ليه، وسجل

الاستجواب ليه؟!

فاحنا قولنا: الدكتور هشام برضه لسه جاي من السفر وغايب عننا بقاله كتير فبلاش نزعجه ونخلي الكلام مع الكبار الأول،

ثم فجأة تحولت البشاشة التي كانت على وجهه إلى صرامة شديدة وحدة قوية، وقام عن مقعده واقترب من فوزي بشدة وقال:

- لكن لو الكبار تعبونا ومساعدوناش ومقالوش الحقيقةساعتها احنا مش هنزعج دكتور هشام بس، لا دا إحنا هنخليه يندم إنه زماااااان وهو لسه حيوان منوي جري ولقح البويضة اللي جابته للدنيا.

شعر فوزي بالمأزق الذي وقع فيه هو وهشام، وبثبات كبير عانى بشدة حتى استجمعه، وبنبرة واثقة قال:

- من غير تهديد يا نادر بيه من فضلك، ودا لأن أولا إحنا مش مجرمين، وثانيا أنا جاى النهارده ومقرر إني هاحكي على كل حاجة، بس بعد ما آخد وعد منك , إنك بعد ما تتأكد إن هشام كانت نيته طيبة ماحدش هايمس منه شعرة.

فابتسم نادر وعاد إلى مقعده، وعادت معه البشاشة والسماحة السابقة وقد نال مراده بالفعل، ثم قال:

- مع إن إحنا مش بنتعامل مع النوايا يا دكتور فوزي وأكيد حضرتك عارف دا كويس، بس أوعدك إني لو ملقتش أي حاجة تدينه سياسيا أو جنائيا محدش هايمس منه شعرة،واعتبر دا وعد شخصي مني، اتفضل أنا سامعك كويس.

اطمأن فوزى بعدما اخترقت كلمات نادر الحيز السمعى لأذنه وبدأ في الحديث الذي استرسل فيه قرابة الساعة، قام خلالها بشرح كل شيء بالتفصيل الممل حتى التفاصيل الطبية المعقدة التي لن يفهمها أحد سوى سمير، فقد حاول تبسيطها وشرحها ليكون الأمر يسيرا على خالد ونادر، ونفى تماما علم سمير بما حدث حتى لا يقع أي ضرر على عاتقه، وما إن أنهى فوزي حديثه حتى ساد الصمت من أثر الصدمة التي انتابت الجميع ومن المعجزة الطبية التى يتحدث عنها فوزي، والتي من الصعب تصديقها، أو تصديق أنها أصبحت أمرا واقعا بالفعل وليست مجرد تخيلات أو أحلام أو طموحات.

شق صوت نادر الصمت السائد بالمكان عندما استقام واقفا من جلسته وقال:

- خليكم هنا زي ما أنتم يا حضرات أنا ١٠ دقايق وراجع.

وبعد ما يقارب العشر دقائق بالفعل كان قد عاد نادر وما إن دلف إلى الغرفة حتى قال:

- دكتور سمير، خالد بيه، حضراتكم تقدروا تتفضلوا دلوقت، وطبعا مش محتاج أقولكم إن الكلام اللي سمعتوه هنا دا يعتبر أسرار دولة، ولو طلعت كلمة كدا أو كلمة كدا أكيد هنعرف مين اللى طلعها.

ثم نظر إلى فوزي قائلا بكل احترام وتقدير:

- دكتـور فـوزي، معلـش حضرتـك هتفضل معايا شـوية علشـان في حد مهم عاوز يقابل حضرتك أنت ودكتور هشام.

فظهرت على فوزي علامات التعجب وقال:

- هشام !!

فابتسم نادر ورد على فوزي قائلا:

- متقلقـش يـا دكتـور، وعـدي لحضرتـك مـازال قائـم، بـس دلوقـت إحنـا دخلنـا في مرحلـة مهمـة لازم يكـون موجـود فيهـا معانـا، هسـتأذنك تكلمـه أنـت علشـان يكـون مطمـن وتقـول لـه إن في عربية مرسيدس سودا،واقفة تحت البيت دلوقت في انتظاره.

ثم اقترب منه وربت على يده في ود وقال:

- هشـام زى أخويـا الصغـير وكلنـا لازم نبقـى فخوريـن بالاكتشـاف الـلي وصـل لـه.

ثم استطرد ممازحا إياه وقال:

- أه صحيح كنت هانسى ،قول له يغير الترنج الأزرق اللي هو لابسه، ويلبس بدلة شيك وينزل يركب العربية علشان رئيس الجهاز مستنيه.

فاطمأن فوزي وتنفس الصعداء، وانتابه سلام داخلي من طريقة نادر في الحديث، وأصبح على يقين أن هشام لن يصاب بسوء، فأخرج هاتفه وقام بالاتصال، وأبلغ هشام بالمطلوب ومكث منتظرا وصوله.

(٢)

وصل هشام إلى مقر الجهاز وشرع في التنقل بين الممرات

والطوابـق حـتى وصـل إلى الغرفـة الـتي ينتظـره فيهـا فـوزي ونادر،ومـا إن دلـف إلى الغرفـة حتى أسرع خطواتـه تجاه فوزي وقال

في توتر شديد:

- أناآسف يا خالو،أنا اللي ورطتك في الموضوع ده،

ثم نظر إلى نادر وقال فى ثبات:

- دكتـور فـوزي ملـوش علاقـة بالموضـوع دا يـا فندم،وأنـا مسـتعد لتحمـل أى مسـئولية وأى عواقـب.

فقـام نـادر مـن جلسـته، ومـد يـده إلى هشـام مصافحـا إيـاه وقـال مبتسـما:

- حمدا لله على سلامتك يا دكتور هشام، مفيش أي داعي لشدة الأعصاب اللي أنت فيها دي، ودكتور فوزي ماعملش حاجة غلط علشان يبقى في عواقب أصلا، دا راجل كان بيساعدنا والمفروض نشكره كمان، اتفضل استريح وأنا هافهمك كل حاجة.

هدأ هشام نسبيا واتخذ أحد مقاعد الغرفة مجلسا له، ولكن التوتر مازال متمكنا من ملامحه، وعندما وجده نادر في تلك الحالة طلب له إحدى المشروبات التي تساعد على الاسترخاء، وبدأ في الحديث معه محاولا إزالة هذا التوتر الطبيعي في مثل هذا الموقف، وقص عليه ما قصه على فوزي سابقا ولكن بطريقة أكثر لباقة واحتراما له ولإنجازه، وأخبره أنه عندما أخبر رئيسه المباشر بالمعلومات التي علمها من دكتور فوزي عن المصل وعن ماهيته قام مديره المباشر بدوره بنقل تلك المعلومات إلى رئيس الجهاز لعلمه وإدراكه بخطورة وأهمية عقار مثل هذا، والذي دفع رئيس الجهاز إلى طلب الجلوس معه شخصيا والوقوف على بعض التفاصيل، وهذا حدث نادر وقلَّما يحدث لقاء بين رئيس الجهاز وفرد من خارجه،

أما عن واقعة الاستجواب التي حدثت فإن نتائجها كانت أكبر وأهم من أي تجاوز حدث وأن المصل ساعد في حل ألغاز

القضيـة، ولـذا فقـد تقـرر إغلاقهـا تمامـا كأن شـيئا لـم يكن؛وذلـك للحفـاظ عـلى سريـة المصـل أولا، ولأن نفـع مـا حـدث كان أكـبر مـن ضرره ثانيـا.

هـدأت ملامـح هشـام تدريجيـا لكـن توتـره الداخـلي لـم يهـدأ، فهـو لـم يكـن ضمـن حسـاباته الأوليـة تدخـل السـلطات او الحكومـة نهائيـا،

وقـد أراد أن يبـدأ بتجربـة المصـل أولا ومـن ثـم تطويـره، ونـشر بحثـه بكـبرى المجـلات الطبيـة العالميـة، ونيـل الجوائـز الطبيـةأولا ،

ولكن سبق السيف العزل!

قطـع رنـين الهاتـف ذلـك الحديـث الداخـلي الـذى يـدور بـين هشـام ونفسـه، ولكـن هـذا الحديـث انتهـى تمامـا عندمـا أخـبره نـادر أن عليهـم التحـرك فـورا لملاقـاة اللـواء كمـال المنيـسي

«رئيس جهاز الأمن الوطني».

تحرك الجمع و دلف نادر إلى غرفة تبدو عليها الفخامة،

كان يجلـس عـلى الكـرسي القابـع خلـف المكتـب المقابـل لبـاب الغرفـة رجـل في أواسـط عقـده الخامـس، أشـيب الشـعر حليـق اللحيـة والشـارب،أبيض الوجـه تبـدو عليـه الهيبـة،

وأمامه على إحدى المقاعد الجانبية كان يجلس رجل آخر،ضخم البنية ذو بشرة سمراء، وشعر أسود ناعما قصيرا، وتعتلي أنفه عدسات طبية بزجاج رقيق.

وقف نادر أمام المكتب وألقى التحية العسكرية وقال في حزم:

- دكتور هشام زكريا ودكتور فوزي السبكي يا فندم.

فقام الرجل من جلسته ونظر إليهم وابتسم وهو يمد يده لمصافحتهما قائلا:

- أهلا أهلا، دكتور فوزي غني عن التعريف طبعا،

ثم توجه لهشام وهو يصافحه بذات الابتسامة قائلا:

- أهلا أهلا يا دكتور هشام، سمعت كلام من الرجالة هنا خلاني مبسوط خالص، ربنا يوفقك يا ابني.

رد عليه كل من فوزي وهشام التحية، وردّا التحية أيضا على الرجل الذي كان في ضيافة اللواء كمال بعدما قام من جلسته هو الآخر،وبادرهم بالتحية والمصافحة،وجلس الجمع على إحدى الطاولات المستديرة بعد أن أصدر كمال تعليماته لنادر

بالانصراف ،واستهل كمال الحديث ملتفتا لهشام وفوزي:

- فى البداية أحب أعرفكم بضيفي العميد طبيب أيمن صالح مدير الإدارة الطبية في الوزارة،

واللي أنا حسيت إن وجوده معانا مهم علشان كدا استدعيته.

فأومأ كل من فوزي وهشام برأسيهما لأيمن استكمالا للترحيب به،ورد أيمن على كمال قائلا :

- أنا في خدمة معاليك، وخدمة الجهاز دايما يا فندم.

واستطرد كمال حديثه قائلا:

- قبل ما حضراتكم تشرفوا أنا كنت إديت فكرة عن الموضوع لأيمن بيه وقالي إن وجود عقار زى دا مستحيل؛

- لكن لما شاف الفيديو وشاف الاعتراف التفصيلي للولد غير رأيه شوية، بس فضل مصمم إن دي ممكن تكون صدفة

وإن من كتر المهدئات والجلسات اللي الولد بياخدها في المستشفى ممكن تكون أثرت عليه نفسيا وقرر الاعتراف،

وإن اللي حصل كان مجرد صدفة مش أكتر،

فى جميع الأحوال هو عاوز يدردش معاك يا دكتور هشام عن شوية أمور طبية، وبعدها هنتأكد إن كان العقار دا حقيقي ولا كانت مجرد صدفة.

كان مـن الصعـب أن يعـترف شـخص مثـل أيمـن بخلفيتـه العسـكرية البحتـةأن شـابا في عمـر أبنائـه وصـل إلى إنجـاز بهـذا الحجـم

وهـو مـازال يتنقـل بـين المستشـفيات العسـكرية كأي طبيـب آخر،وسـينتهي بـه المطـاف عـن قريـب في شرفـة منزلـه يتصفـح الجرائـد والمجـلات؛

فكان هذا الإنكار طبيعيا، ووعى له فوزي جيدا،

ولعـدم خلـق صـدام خفـي يُدخـل هشـام في صراع مـع أيمـن تدخـل فـوزي قائـلا بعدمـا لكـز قـدم هشـام مـن أسـفل الطاولـة في حركـة مفادهـا؛ لا تتدخـل حـتى يطلـب منـك.

- عـلى فكـره يـا كمـال بيـه أنـا كمـان مـع رأي دكتـور أيمـن والدليـل عـلى كـدا إن هشـام جـرب العقـار دا مرتـين بـس؛

مـرة في ألمانيـا ومـرة هنـا، فممكـن يكـون فعـلا الصدفـة لعبـت دورهـا وعقـار زي دا لسـه محتـاج شـغل كتـير.

اعتقد فوزي أن كلماته تلك ستنهي المحادثة عما قريب؛

لأنـه عـلى يقـين أن دخـول هشـام في تلـك الدائـرة واسـتخدام المصـل في أمـور عسـكرية مخابراتيـة لـن يمـر مـرور الكـرام عـلى حيـاة هشـام؛

لـذا كان يحـاول التشـكيك في المصـل رغـم إيمانـه الكامـل أنـه حقيقـي وفعـال، فهـو يحـاول أن يكسـب ود أيمـن ولا يعاديـه وأن يبعـد هشـام عـن تلـك الدائـرة الـتي لـن يسـلم منهـا.

تدخـل كمـال في الحديـث وألقـى حجـرا في الميـاه الراكـدة للجميـع عندمـا قـال:

- ماهو علشان نقطع الشك باليقين فيه متهم تحت إيدينا

حاليـا احنـا متأكديـن إنـه متـورط في أعمـال مشـبوهة كتير،مفيـش داعـي لذكرهـا حاليـا بـس ممكـن أقـول لحضراتكـم إن

أقلهـا هـو: خطـف الأطفـال وتقطيعهـم حتـت وبيعهـم كأعضـاء بشريـة خـارج مـصر ودا طبعـا بيـدر عليهـم ملايـين،

فمـا بالكـم ممكـن يكونـوا بيعملـوا إيـه تـاني بـس بـرده احنـا متأكديـن إن المتهـم دا مـش هـو الـراس الكبـيرة، في حـد بيفكـر ويخطـط ويدبـر ويديلـه التعليمـات وهـو ينفـذ؛ علشـان كـدا هانسـتخدم عليـه المصـل ونشـوف النتيجـة هتكـون فعالـة ولا لا.

نزلـت كلمـات كمـال عـلى فـوزي وهشـام كالصواعـق لأنهمـا عـلى يقـين أن المصـل فعـال، وإن ثبتـت فاعليتـه ولـو لمـرة واحـدة سـيصبح هشـام أسـير العمـل معهـم شـاء أم أبى، وهـذا مـا لـم يكـن بحسـبان هشـام ولا جـال بخاطـره يومـا أن يتحـول

اكتشافه الطبي الذي أراده منفعة للبشرية إلى سلاح عسكري.

وكما كانت عادة اللواء كمال في إلقاء الأوامر فقد دفعته إلى القيام من جلسته دون انتظار أي رد منهم ؛ فما يريده هو ما سيحدث، وهو لن يعطى لأحد الفرصة للنقاش،

فتركهم ذاهبا إلى مكتبه حيث رفع سماعة الهاتف وضغط ثلاثة أزرار ثم قال:

- جاهزين، طب تمام تعالالي يا نادر.

ثم نظر إلى هشام وقال:

- المقدم نادر جاي حالا علشان يبدأ التحقيق معاه، يا ريت تديله المصل وتعرفه يحقنه فين، واحنا هانزل معاكم بس هانكون في الأوضة اللي جنبكم اللي فيها الشاشات ونشوف الاستجواب عن طريق الكاميرات اللي في أوضة التحقيق.

فنظر هشام إلى كمال بعد أن ابتلع لعابه، وقال في توتر شديد اعتلى وجهه:

- ماينفعش يا فندم، المقدم نادر مش مدرب على الحقن فصعب إنه يقدر يديله الحقنة مظبوط في المكان اللي فيه المستقبلات الحسية، وثانيا أنا لازم أشوف اللي هياخد

المصـل علشـان أقـدر أحـدد الكميـة المناسـبة ليـه بنـاء عـن حجمـه و وزن جسـمه التقريـبي.

فنظـر كمـال إلى هشـام وصمـت لبرهـة ثـم قـال بوجهـه عابـس ينـم عـن تيقنـه أن هـذا الشـاب مهـم ولا يمكـن الاسـتغناء عنـه:

- مـع إنـه ممنـوع إن فـرد مـدني يدخـل غرفـة التحقيـق دي أو حـتى يعـرف مكانهـا بـس أنـا هاسـمحلك تحقنـه بنفسـك وترجعـلي تـاني، بـس مـش هقـدر أسـمحلك تحـضر معـاه التحقيـق.

فأومـأ هشـام برأسـه موافقـة، وتزامـن هـذا مـع دخـول نـادر في هـذا التوقيـت، فألقـى كمـال تعليماتـه لنـادر باصطحـاب دكتـور هشـام إلى غرفـة التحقيـق وإعطائـه الفرصـة لحقـن المشـتبه بـه والتأكـد مـن أن المصـل يعمل بنجـاح، وأنهم سـيلحقون بهم فورا إلى غرفـة المراقبـة، وأثناء حالة الدهشـة الـتي كانت تعلـو وجه نادر اسـتغرابا مـن السـماح لمـدني بالوصـول إلى غرفـة التحقيـق الـتي لا يعلـم مكانهـا أحـد مـن المدنيـين الذيـن يعملـون بمبـنى الجهـاز،

رضـخ للتعليمـات وخـرج مـن الغرفـة بصحبـة هشـام متجهـين صـوب غرفـة التحقيـق.

بعـد الهبـوط بالمصعـد قرابـة خمـس طوابـق تحـت الأرض خـرج هشـام ونـادر مـن المصعـد وتحـركا يمينـا في ممـر طولـه يقـارب العـشرة أمتـار والـذي كان في نهايتـه غرفـة حائطهـا الخارجـي

الموجـود في الممـر مصنـوع مـن الزجاج السـميك الشـفاف ليكشـف مـن بداخـل الغرفـة، ولكنـه منـح خاصيـة الانعـكاس مـن الداخـل حـتى لا يسـتطيع مـن بداخـل الغرفـة رؤيـة مـن بخارجهـا،

والـذي رأى مـن خلالـه هشـام شـخصا قصـير القامـة، حليـق الشـعر،

أبيـض البـشرة، ملامحـه لا يبـدو عليهـا الحـدة أو الشر،بل تبدو عليهـا السـكينة والـبراءة، خمـن هشـام أنـه في أواخـر عقـده الرابع،

ولكن هشام كان يعلم أن مجرمي القرن العشرين حطموا

نظريـة المجـرم الـذي يحمـل بوجهـه ندوبا،تشـوهات كعلامـة مميزة يعلـم كل مـن يراهـا أنـه أمـام مجـرم عتيـق، فقـد أصبحـوا الآن مجرمـين مـن طـراز

(موديل الإعلانات)

يتمتعـون بالأناقـة والوسـامة، ومنهـم مـن يتحـدث أكـثر مـن لغـة أيضـا، وبذلـك أصبـح كشـفهم والاشـتباه بهـم أصعـب ممـا كان عليـه الأمـر في السـابق.

دلـف هشـام ونـادر للغرفةحيـث توجـد طاولـة مسـتطيلة، طولهـا يقـارب المتريـن ونصـف المـتر، وعرضهـا قرابـة المـتر،

على رأسها من كلا الجانبين كرسي،

كان يجلس (ناصر) على أحد الجانبين وكان الكرسي المقابل له على الطرف الآخر فارغا. أشار نادر إلى هشام بالجلوس وما إن جلس هشام حتى علق ناصر عليه نظره كأنه يعرفه من قبل، وتحرك نادر تجاه ناصر ببطء ويداه ملفوفتان خلف ظهره

قائلا في هدوء:

- إيه يا ناصر، لسه عاوز تنسب لنفسك شرف إن أنت البيج بوس وإن انت اللي ورا كل اللى بتعملوه ده؟

فرفع ناصر عينيه تجاه نادر بملامح متجمدة،وقال دون حراك :

- إنتوا يا نادر بيه اللي حاطين في دماغكم إن فى حد بيحركني، وأنا قلت إن مافيش، أعمل لكم إيه تاني؟!

فرد نادر بابتسامة سخرية وقال في تهكم:

- يا ناصر إحنا مش مصدقينك علشان أنت غبي أوي،

وغباءك دا وقعك بسهولة،ومفيش واحد ممكن يكون بيدير الشبكة دي كلها ويقع بالشكل العبيط ده، ودا برضه اللي مخلينا متأكدين إن أنت بتقول كدا علشان تشتري نفسك أو بالبلدي كده تغطي على اللي مشغلينك.

هنا نظر نادر إلى الكاميرا المعلقة بأحد أركان الغرفة بعدما أتى منها وميض أحمر كأشعة الليزر والتي كانت إشارة من كمال أنه وصل بالفعل إلى غرفة المراقبة، وعلى هشام أن يبدأ بحقن المصل، هنا دار نادر مرةأخرى حول ناصر وقال:

- عموما إحنا طلعنا أجدع منك وبعتنا جبنا من بره دواء جديد للسكر بيقولوا إنه بيشفي من المرض دا خالص، علشان تعرف بس احنا بنحبك قد ايه.

هنا نظر ناصر إلى نادر بحنق وقال:

- السكر مرض مزمن مفيش شفاء منه.

فرد عليه نادر مبتسما ابتسامه ساخرة:

- بحب ثقافتك دي أوي يا ناصر.

ثم نظر إلى هشام وقال له:

- اتفضل يا دكتور عادل إدي ناصر الحقنة.

فلم يحرك هشام ساكنا بسبب توتره الذي لم يجعله يتوقع أن يناديه نادر باسم آخر من باب التمويه، وهنا انطلقت ضحكة ساخرة عالية الصوت من ناصر وقال:

- شكلك مافطمتش الدكتورإنكم هنا مبتقولوش أساميكم الحقيقية يا باشا.

هنا كور نادر قبضة يده ولكم بها ناصر لكمة قوية مباغتةأردته أرضا بعدما أوقعته من على الكرسي وأشار إلى هشام بيده أن يتحرك دون أن ينطق بحرف، ثم مد يده وأعاد الكرسي إلى وضعه الطبيعي ومد يده مرة أخرى إلى ناصر ليسحبه من على الأرض، ويجلسه على الكرسي

وهو يقول في غضب:

- مركز أوي يا روح أمك.

لم ينطق ناصر بكلمة واحدة بعد اللكمة التي تلقاها ولكنه اكتفى بالنظر لهشام الذي وقف أمامه وأخرج المحقن من جيبه وأخذ يلف البكرة في حركة دائرية حتى يصل إلى نسبة هو من يعلمها وحده.

جال بخاطر هشام في تلك اللحظه أن يحقن ناصر بجرعة أقل

حتى لا يعمل المصل بكفاءة، وبهذا سيكون خارج هذا النطاق الأمني للأبد

ولكنه تذكر كلمة اللواء كمال حينما قال له أن أقل ما يفعله هؤلاء المجرمون هو التجارة في الأطفال وأعضائهم .

هنا ظهر مشهد في مخيلة هشام، كانت فيه فتاة صغيرة لا تتعدى ال١٠ سنوات تنام على إحدى طاولات التشريح مشقوق بطنها من أعلى الصدر إلى أسفل البطن، منزوعة أحشاؤها بالكامل لتكون فجوة هائلة في المنتصف، وما إن نظر إليها هشام

بمخيلته حتى فتحت عينيها فجأة بشكل مرعب وشرعت في البكاء متوسلة له أن ينقذها.

هنا تفجر الأدرينالين في دماء هشام من قسوة ما تخيل وأدار البكرة سريعا حتى وصل إلى نسبته المطلوبة، ونظر إلى عيني ناصر بعدما نزف بعض الدماء من شفته السفلية وانطلق من هشام الرد على غير عادته في غل واضح وغرس المحقن فى يد ناصر ليترك المصل يجتاح أوردته وقال:

- بالشفا يا روح امك.

هنا أمسك نادر بيد هشام من مرفقه بعدما شعر بكم الغل والكراهية التى ظهرت على ملامحه فجأة، وقال محاولا تهدئته:

- خلاص يا دكتور عادل تقدر تتفضل دلوقتي.

فرد عليه هشام ومازالت ملامح الغضب تعتلي وجهه وقال:

- بعد اذنك يا فندم هافضل معاك علشان لو حصل أى مضاعفات.

فرد عليه نادر مسرعا:

- حضرتك عارف إنه مش هينفع يا دكتور، اتفضل لو سمحت.

هنا قطعت حديثهم تلك الومضات الحمراء التي تأتي من الكاميرا فأسرع نادر قائلا لهشام في حنق:

- عرفت إنه مش هينفع، يلا من فضلك.

هنا تحرك هشام تجاه باب الخروج وبجانبه نادر ليجلس على الكرسي المقابل لناصر، وما إن أمسك هشام مقبض الباب بيده وهم بفتحه حتى أتتهم صاعقة من الخلف ولكنها لم تكن صاعقة من السماء، بل هي الكلمات التي خرجت من فم ناصر، وكانت الفاجعة عندما قال في حالة هدوء وخمول شديدين من تأثير المصل:

- أنت رايح فين يا دكتور هشام متخليك معانا شوية.

تجمد هشام في مكانه واتسعت عيناه من هول ما يسمع، وكان ذات التأثير تقريبا على نادر بل أشد؛ فناصر لا يعلم اسم هشام الحقيقي، فقد تم تقديمه باسم عادل،

فكيف عرف اسمه الحقيقى؟!

التفـت هشـام إلى نـاصر وقـال في دهشـة يتخللهـا الفضـول والخـوف:

- أنت تعرفنى؟!

(٣)

القاهرة ٢٠٠٦

ضحكات متناثرة وسط جو عائلي بهيج اجتمع فيه الأخ بأخته الوحيدة داخل شقته في إحدى عقارات شارع الطيران بحي مدينة نصر، انتهت الجلسة العائلية، وهمت منى وابنها هشام صاحب الثلاث عشر ربيعا بالرحيل عائدين إلى منزلهما، وتلاقى الجميع عند الباب وتبادلوا القبلات والعناق اللّذان يسبقان دائما الوداع، وبين جمل متداولة في تلك الموقف مثل:

- عاوزين نشوفكم قريب، الزيارة دي ماتتحسبش،خد بالك من ماما يا هشام.

فتح الباب وشرع هشام في الخروج، تليه بخطوات صغيرة والدته، متجهان للدرج المؤدي للشارع، وفي نهاية الممشى الصغير أمام باب الشقة تلفتت منى لزوجة أخيها

المنتظرةأمـام البـاب، احترامـا لهـا حـتى تتـوارى عـن الأنظـار فهـذا مـن أدب وداع الضيـف عنـد البعـض، ولوحـت مـنى لهـا وداعـا تزامنـا مـع وضـع قدمهـا عـلى الدرجـة الأولى مـن الـدرج المـؤدي إلى أسـفل،دون أن تنظـر أيـن تخطـو.

ولكن على ما يبدو أن تقديرها أخطأ في وضع قدمها،

فهـوت إلى أسـفل، وبـدأ جسـدها في الزحـف عـلى الـدرج وسـط صدمـات قويـة تتسـبب فيهـا كل درجة تمس جسـدها، وبـدأت منى

في الـصراخ مـن هـول مـا تشـعر حـتى اسـتقرت عـلى درجـة اسـتطاعت عندهـا اسـتعادة توازنهـا، ولكـن كان لتلـك المحاولـة ثمـن دفعتـه مـنى عندمـا قـررت إيقـاف جسـدها الـذى يهـوي بـأن تشـبثت بإحـدي يديهـا بالجـدار المقـام عليـه الـدرج، وهنـا أتـت الصرخـة الـتي توحـي لمـن يسـمعها أن الصـارخ صعـق بقـوة كهربائيـة تعـادل ألـف ميجـا وات.

كل مـا سـبق لـم يأخـذ مـن الحـيز الزمـني سـوى فـترة لا تتعـدى العـشر ثـوان أو أقـل، كان هشـام قـد سـبق والدتـه بالفعـل بواقـع طابـق أو اثنـين عـلى الأكـثر، ولكـن بمجـرد أن اخـترق الـصراخ النطـاق السـمعي لأذنه،عـاد مسرعـا يقفـز عـلى الدرجـات صاعـدا إلى أعـلى كفهـد الشـيتا طاويـا كل ثـلاث درجـات في قفـزة واحـدة، وصـل إليهـا مـع وصـول فـوزي خالـه الـذي هـرع

إليها مسرعا هو الآخر بعد سماع دوي صراخها، ساعداها على الاعتدال وصارت صرخات عالية تخرج من فمها عنوة كلما مس أحد جسدها، مال عليها فوزي ومد يده ليضعها أسفل يدها مساعدا إياها على النهوض ولكن الصرخة المفاجأة التى صدرت منها بمجرد أن مس يدها ,دفعته إلى النظر ليديها عن قرب ليجد خنصرها مكسورا ومتدليا لأسفل بفعل الجاذبية فدفعته الصدمة لحملها مسرعا دون اعتبار لصراختها فهناك ما هو أقوى الآن.

نظر إلى زوجته في توتر شديد وبنبرة صوت عالية توحي بخطورة الموقف قال:

- إبعتيلي مفاتيح العربية مع هشام بسرعة.

وأعاد توجيه نظرته إلى هشام ليخبره بالصعود إلى الشقة ولكن الصبى الذكي نفذ الأمر دون انتظار للتعليمات، وما إن وصل

فوزي إلى السيارة حتى وجد هشام يلحق به فورا ويتجه إلى الباب الأمامي للسيارة ويضع المفتاح ويفتح الباب حتى يتسنى لخاله وضعها على الكرسي المجاور له، وبالفعل انطلق متجها صوب إحدى المستشفيات المجاورة له.

ما إن وصل إلى قسم الطوارىء حتى استقبلهم أحد الأطباء وأمر الممرضات بمساعدتها ووضعها في أحد الأسرة التي تنتشر

في ساحة الطوارئ، والتي يفصل بينهما عدة ستائر بيضاء تكون عادة من نوع ال(بلاك أوت) وضعت هذه الستائر على الأسرة على شكل تقاطعات رأسيه وأفقية، تقسم الساحة إلى عدة غرف صغيرة جدا، جدرانها هي تلك الستائر ليعطي نوعا من الخصوصية للمرضى وحتى يتثنى للأطباء الكشف والوقوف على الحالة.

كانت كل الصدمات التي تلقتها منى قد زال أثرها تدريجيا حتى وصلت إلى المستشفى، ولكن الأثر الوحيد الذى لم يزل هو الألم الناتج عن كسر إصبعها.

اقترب الطبيب منها وهم بالإمساك بيدها ولكن انطلقت منها صرخه مدوية توحي بمدى الألم الذي تشعر به عندما يحاول أي شخص مساس يدها، حتى لو كان الطبيب المعالج تلك الصرخة دفعت الطبيب لترك يدها؛ لأنه على يقين أن تلك الصرخة حق،

وأن الألم الذي يصفع أركان جسدها الآن هو أقوى من أن تتحمله .

نظر إلى فوزي وقال في أسف اعتلى وجهه:

- لازم يا فندم تنقلها مستشفى يكون فيها تخدير علشان عظام الصباع منقولة من مكانها، وأي حد هيحاول يلمس

إيديهـا علشـان يعـدل وضـع الصبـاع قبـل الجبـس هـي مـش هتسـتحمل الألـم وهتفضـل تـصرخ زي مـا حضرتـك شـايف.

فنظـر لـه فـوزي مبتسـما ابتسـامه تنـم عـن ذكائـه وعـن أنـه وصـل إلى الحـل ثـم قـال:

- طـب هنـا مفيـش تخديـر ودى مشـكلة طبعـا، إيـه رأي حضرتـك لـو ندروخهـا بـس.

فبادله الطبيب ذات الابتسامة مشدوها متسائلا في تعجب:

- هو حضرتك بتشتغل إيه بالظبط؟

فعلـم فـوزى أن التلميـح المراد وصـل إلى الطبيـب بالفعل،فرد عليـه بذات الابتسـامة.

- أنـا دكتـور صيدلي،وصيدليـة السـبكي الـلي فى شـارع الطـيران بتاعـتي.

جـاء هـذا الـرد مطمئنـا الطبيـب المعالـج، وأخـبر فـوزي أن عليهـم نقلهـا فـورا إلى الغرفـة المنفصلـة المجـاورة لسـاحة الطـواريء، وبالفعـل أمـر الممرضـات بنقـل الحالـةإلى الغرفـة، وتركيـب إحـدى القنينـات الوريديـة الـتي توضع في الجسـم لتسـهل نقـل السـوائل مـن وإلى الجسـم، والـتي تسـمى (الكانيـولا) أو كمـا حرفهـا المصريـين

وأسموها (الكانونة)، في الوقت ذاته كان قد استعار فوزي وريقة صغيرة من الطبيب وكتب عليها (Dormicam) ثم وقع أسفل الاسم وأعطاها لهشام وأخبره أن يذهب للصيدلية المجاورة للمستشفى ويحضر هذا الأمبول مسرعا.

وما إن تحرك هشام حتى وضع فوزي يده في بنطاله مخرجا هاتف محمول صغير الحجم، كتب أعلى شاشته كلمهSiemens ثم أخرج اسما مسجلا في دليل الهاتف وقام بالاتصال به،

كان الاسم هو صيدلية الحياة، وما إن بدأ المكالمة حتى قال:

- سلام عليكم، دكتور طارق معايا؟!

حتى أتاه الصوت من الطرف الآخر قائلا:

- لا يا فندم دكتور عبد الوهاب معاك، أؤمر.

فرد فوزي في ثقة:

- ازيك يا دكتور عبد الوهاب، فوزي السبكي معاك.

فرد عليه عبد الوهاب مرحبا بشدة كأنه نال شرفا عظيما بمكالمته،لأن فوزي السبكي في هذا الوقت كان أحد اركان مهنة الصيدلة في مصر، وكان اسم صيدليات السبكي منتشرا في جميع المحافظات.

- أهـلا وسـهلا دكتـور فـوزي يـا رب تكـون حضرتـك بخـير، دكتـور طـارق مـش موجـود والله بـس أنـا تحـت أمـر حضرتـك في أي خدمـة.

فـرد عليـه فـوزي مادحًـا إيـاه قبـل أن يخـبره عـن سـبب الاتصـال.

- دكتـور طـارق دايمـا بيشـكر في أدبـك وأخلاقـك ودا واضـح فعـلا، ربنـا يكرمـك يـا دكتـور عبـد الوهـاب، هتقـل عليـك بقـى معلـش أنـا جنبـك في المستشـفى مـع أخـتى وبعتلـك

ابـن أخـتي ولـد صغـير كـدا، المفـروض هتلاقيـه داخـل عليـك دلوقـت محتـاج حقنة»دورميـكام»ضرورى يـا ريـت تديهالـه

لأني فعلا محتاجها.

رد عليه عبد الوهاب في تذبذب:

- أنا تحت أمر حضرتك طبعا يا دكتور،بس حضرتك عارف

إنها جدول و.....

فيقاطعه فوزي قائلا:

- أنـا عـارف كويـس علشـان كـدا أنـا الـلي كلمتـك قبـل مـا الولـد يوصلـك، متقلقـش خالـص يـا ريـت تديهالـه وابقـى بلـغ بيهـا

دكتـور طـارق علشـان الجرد،وأنـا هبقـى أبعتلـك بدلهـا مـن عنـدي لـو حابـب وأنـا باعتلـك ورقـة مـع هشـام فيهـا

اسـم الحقنـة وتوقيعـي، سـلمها لطـارق علشـان تبقـى أنـت في الأمـان.

فيرد عبد الوهاب بعد أن طمأنته كلمات فوزي:

- خـلاص يـا دكتـور تحـت أمـرك، وألـف سـلامة عـلى أخـت حضرتــك.

ثم استطرد سريعا:

- أهـو ابـن أخـت حضرتـك قدامـي أهـو واداني الورقـة، دقيقتين وهيكـون قـدام حضرتـك بالحقنة.

فشكره فوزي وأغلق الخط، وفي غضون خمس دقائق على

الأكـثر كان قـد عـاد هشـام وهـو يحمـل في يده كيسـا بلاسـتيكيا صغـيرا يحـوي بداخلـه قنينـة زجاجيـة صغـيرة الحجـم نقشـت عليهـا حـروف صغـيرة باللغـة الانجليزيـة باللـون الأحمـر، ومـا إن سـلم هشـام الأمبـول لفـوزي حـتى أشـاح بيـده لأعـلى مشـيرا إلى الطبيـب الـذي كان يقـف عـلى مقربـة مـن بـاب الطـوارىء، ومـا إن رأى الطبيـب إشـارته حـتى توجـه صوبـه واصطحبـه إلى داخـل الغرفـة الـتي ترقـد فيهـا مـنى تتلـوى مـن شـدة الألـم.

كانت الممرضات قد قمن بتركيب محلول ملحي في (الكانيولا) بناءً على تعليمات الطبيب، والذي قام فيما بعد بواسطة

محقنة بلاستيكية بإيداع المادة الموجودة بداخل الأمبول الذي

أحضره هشام بداخل الحاوية البلاستيكية الصغيرة المعلقة في أعلى حامل معدني والتي تحوي المحلول الملحي،

ليختلطا سويا ويشرعا في الزحف ببطء بداخل شرايين منى

وأوردتها، كان الطبيب يقوم بتحريك البكرة البلاستيكية

الصغيرة التي تسمح بتدفق السائل أو حجبه على فترات، فيفتحها تارة ويغلقها تارة أخرى، وأثناء ذلك كان يتحدث مع منى بأية ترهات تجول بخاطره، وكان رد منى هو ما يحدد اتجاه

البكرة؛ هل يفتحها ويسمح للسائل باقتحام جسدها، أم يغلقها ويشرع في العمل؟!

حتى حانت اللحظة التي ينتظرها عندما نظرت إليه منى في هدوء تام وابتسامة لا سبب لها، وقالت بصوت ناعم متقطع يعلوه الهذيان، وعدم التركيز:

- ازيك يا دكتور،أنا أعرفك على فكرة، أنا شوفتك قبل كدا.

فنظـر الطبيـب لفـوزي الـذي يقـف خلفـه مبتسـما بطمأنينـه قائـلا:

- أظن كدا نقدر نبتدي.

فأومـا لـه فـوزي برأسـه أن نعـم، أغلـق الطبيـب البكـرة، وقـام بانـتزاع الأنبـوب البلاسـتيكي الرفيـع مـن (الكانيـولا) وأغلـق غطاءهـا لمنـع تـسرب الـدم إلى الخـارج، وبـدأ بالفعـل بإمسـاك يـد مـنى وتحسسـها بأصابعـه للوقـوف عـلى أماكـن الإصابـة دون أي رد فعـل منهـا، كل مـا كانـت تفعلـه مـنى هـو تبـادل النظـر مـع الثـلاثي الموجـود في الغرفة،وكانـت ردة فعلهـا الوحيـدة هـي عندمـا أمسـك الطبيـب بسـبابتها ليعيـده إلى طبيعتـه قبـل الـشروع في عمـل الجبـيرة خـرج منهـا لفظـه (أي) بصـوت هـادىء كتلـك الـتي تصـدر مـن أيـة امـرأة تشـاك بإبـرة المحقنـة لأول مـرة في حياتهـا.

أنهـى الطبيـب عملـه بنجـاح، وأخـبر فـوزي أنهـا سـتعود لحالـة شـبه طبيعيـة تسـمح لهـا بالرحيـل عـن المستشـفى في غضـون سـاعة ونصـف أو سـاعتين، وأوصـاه بالمتابعـة عـن طريـق عمـل

(x ray)بعـد عـشرة أيـام، وتمـنى لهـا تمـام الشـفاء وانـصرف وسـط حالـة شـكر مـن طـرف فـوزي عـلى مسـاعدته ومجهـوده.

فـور خـروج الطبيـب مـن الغرفـة اقـترب هشـام وفـوزي مـن الفـراش، عـلى كلا الجانبـين فجلـس هشـام عـن يمـين مـنى،

وفـوزي وقـف عـن يسـارها، انحـنى هشـام برأسـه عـلى اليـد السـليمة وقبلهـا وقـال في بـراءة شـديدة تتخللهـا رجولـة بعـض الصبيـان في هـذا العمـر:

- ألف سلامة عليكي يا ماما.

ردت عليه منى وهي هائمة بصوت تتخلله نبرة النعاس:

- الله يسلمك يا حبيبي بس على إيه؟!

دمعت عيني هشام ونظر لفوزي قائلا:

- في إيـه يـا خالـو، هـى عاملـه كـدا ليـه، وإيـه الحقنةاللي أنـا جبتهـا دي، دي مـش مركـزة خالـص.

نظـر إليـه فـوزي محـاولا إضحاكـه بعـد ان اسـتدعى مـن بـين أحبالـه الصوتيـة صوتـا رخيمـا كان يسـتعمله مـع هشـام في صغـره أثنـاء مداعبتـه:

- متقلقش يا بطل، كلها ساعتين وهتبقى زي الفل.

هنا تدخلت منى في الحديث، وهي على نفس الحالة غير

المتزنـة لتلقـى بـأول حجـر في ميـاه هشـام الراكدة،وقالـت بصـوت متقطـع كالمخمـورة:

- ماتعيطش يا هشام يا حبيبي، باباك برضه كان بيعيط قبل ما يموت، ومن يومها وأنا بكره العياط علشان بيفكرني بموته.

هنا تجهم وجه فوزي وتغير لونه إثر الكلمات التي تتلفظ بها مني، وازداد توتره عندما نظر له هشام نظرة مفادها، ما الذي تقوله أمي،ألم يمت أبي بحادث سيارة منفردا، وفجأة دار فوزي حول الفراش، وأمسك بيد هشام وقال له:

- يلا يا إتش تعالى نطلع بره ونسيب ماما ترتاح شوية.

بالفعل تحرك هشام مع فوزي إلى خارج الغرفة، ومنها إلى

الحديقة الخارجية المواجهة لباب الخروج من صالة الطوارئ، جلسا على أحد المقاعد الخشبية ذات الهيكل المعدني وأخرج فوزي لفائف التبغ من جيبه، وباستخدام أحد أعواد الثقاب الموجودة بعلبة كرتونية صغيرة أشعل إحدى لفائف التبغ ونظر

لهشام الذي باغته قائلا:

- إيه اللي أنا سمعته دا يا خالو، سألتك لما خرجنا من الاوضه وقلتلي استنى لما نقعد وادينا قعدنا.

فرد عليه فوزي ممزاحا إياه :

- سمعت إيه يا لمض، أي حاجه تسمعها من حد وهو تحت تأثير مهدىء أو مخدر متاخدش عليها علشان أغلبها بيكون مش حقيقي، وآديك شفت بنفسك لما المهدىء بدأ يشتغل ماما قالت إيه للدكتور، طبعا هي عمرها ما شافته قبل كدا ولا تعرفه أصلا، بس الهلاوس السمعية والبصرية نوع من أنواع الآثار الجانبية للمهدئات، وبالذات لما تكون من الدرجة التانية زى الحقنه اللي ماما أخدتها كدا،

ثم استطرد وهو يضحك قائلا:

- لو كان حد عدى علينا وأنا بقول الكلام دا دلوقت كان هيقول إيه المجنون الي قاعد يقول الكلام المجعلص دا لعيل صغير، بس أنا عارف إن أنت سابق سنك، وهتفهم كلامي علشان كدا بقولهولك، فهمت بقى ولا أعيد تاني؟؛

رد عليه هشام حانقا كأنه لم يصدق حرفا واحدا مما قيل له ثم قال:

- طب سؤال، الحقنه دى بتاعه إيه بالظبط؟

فرد عليه فوزي بذات الابتسامة التي تخفي توتره الداخلي:

- منا قولتلك مهدىء من الدرجة التانية، والنوع دا من المهدئات بيخلي الإنسان في حالة عدم اتزان لدرجة

إنه بيفقد الإحساس بحاجات كتير بتحصل حواليه،

ومنها الألم، وبياخدها بعض مرضى الصرع والتشنجات علشان تهديهم؛ علشان كدا تأثيرها على الإنسان السليم بيكون قوي، ولولا الحقنة دي ماكناش عرفنا نعالج ماما.

شعر هشام ولأول مرة أن خاله وصديقه فوزي يهرب من الإجابة على سؤاله، ويستدرجه لإجابات أخرى لا تمت لسؤاله الأصلي بصلة؛ فأمه ولأول مرة تفصح عن السبب الحقيقي لكرهها للبكاء،ففي أكثر من موضع سابق كانت تخبره أمه أنها تكره البكاء وتوصيه أنه مهما اشتد عليه أمر ألا يبكي أبدا، وكانت هذه

الوصية غريبة عليه حينها، واستمر يسألها عن السبب وهي تجيب أن البكاء ضعف وهي لا تريد أن ترى نفسها أو إبنها ضعفاء، وازداد الحد إلى أن وصل لمرحلةإنكار حق ابنها في البكاء، ولكن هذا الرد لم يرضي سريرته في أية مرة سمعه فيها حتى تجلت الحقيقة على لسان أمه تلك المرة، وبدا السبب مقنعا تماما أن أباه كان يبكي قبل وفاته، ولكن مع هذا السبب المقنع أتى زلزال آخر جعل عقله يترنح، هل أخفت عنه أمه سبب الوفاة الحقيقي لوالده، أو زيفت طريقة وفاته وأخبرته بقصة أخرى؟!

أصبح هـذا السـؤال مـن تلـك اللحظـة هـو مـا يسـبب الضجيج في جنبـات عقـل هـذا الصـبي، ولـن يتنـازل أبـدا عـن الحصـول على إجابته؛ فلهذا السن بالتحديد فضول لا يضاهيه فضول.

تبـادل هشـام وفـوزي الحديـث فى عـدة أمـور لا تتجـاوز حـد الثرثـرة الـتي بـلا قيمـة، ثـم عـادا إلى الغرفـة الـتي تقطنهـا مـنى حـتى وجدوهـا بـدأت في اسـتعادة كامـل وعيهـا، وبالفعـل قامـا بمغـادرة المستشـفى عائديـن إلى مـنزل هشـام ومـنى، لينتهـى هـذا اليـوم بجبـيرة إصبـع وسـؤال مجـاب عنـه، وآخـر ينتظـر الإجابـة.

(٤)

مرت الأيام رتيبة مملة على هشام بعد محاولات عدة في الحديث مع أمه حول ما بدر منها، وكان مفادها أنه لم يصبح صغيرا كالسابق وأنه نضج ومن حقه أن يعلم أية حقيقة مستترة، أومخفية عنه، وكان رد منى دائما أنها لا تخفي عنه شيئا، وأن ما قالته في ذلك اليوم لا يتعدى الهلاوس التي لا أساس لها، ووسط محاولات هشام وإنكار الأم قرر هشام أنه لن يتحدث في هذا الأمر مجددا حتى يريد الله أن يكون هناك جديد،

وكان يوم هشام يتمحور حول ثلاثة أشياء؛ قراءة الكتب في مكتبة أبيه الضخمة، والدلوف إلى الشبكة العنكبوتية باحثا عن كل ما هو مثير وجديد، وأخيرا «ندى الكاشف».

كانت ندى هي أحد الأضلع الأربعة التي تصنع المربع المكتوب بداخله هشام زكريا،وكانت أمه أول ضلع، وندى

الثاني، والقراءة الثالث، والبحث في الانترنت هو الضلع الرابع،

فكانت حياته لا تخرج عن هذا الإطار،حتى تفوقه الدراسي الذي طالما كان مصدرا للفخر لدى منى وفوزي فقد أتى من أحد ضلعي هذا المربع؛ فكانت المواد الدراسية التي تستدعي الحفظ كالتاريخ والجغرافيا و شبيهاتهما مجرد القراءة بها هو مصدر سعادة له،

ومع تكرار القراءة يأتي الحفظ اللا شعوري، أما المواد العلمية التي تحتاج لتفكير واستيعاب فكانت هي المحببة إلى قلبه دوما، والذي ساعده على التفوق المستمر بها هو تواجد الشغف والوسيلة؛

الشغف المسيطر عليه دوما لمعرفة كل شيء والذي يتحول

أحيانا إلى فضول مقيت كالحالة التي سيطرت عليه بعد واقعة المستشفى لعدة أيام، والوسيلةهي: الشبكة العنكبوتية،

هذا العالم الذي يعج بكل شيء، كل شيء حرفيا؛ فبداخله تجد الجيد والأجود والمثالي، وأيضا السيء والأسوء والأشد سوءا، والاختيار لك في النهاية،فماتحدد الولوج إليه هو ما يحدد إن كنت ستظفر بعقل مستنير وروح قوية وقلب سليم، أم ستغوص

في البغض لتجد روحك تطفوعلى درك من الحمم السوداء

اللزجة؛ فلا أنت تستطيع السباحة فيها لتهرب وتنجو، ولا في استطاعتك الثبات في موضعك فتحترق.

هلَّ العام الدراسي الجديد وها هو اليوم الأول بكل ما فيه، سعادة الزي الموحد الجديد بألوانه المبهجة، والحقيبة الجديدة

التي اختار هشام لونها الزهري بعناية ليكون متناسقا مع اللون البرتقالي الموجود بالزي الجديد لهذا العام، فهو الآن بالسنة الدراسية الأخيرة في المرحلة الإعدادية بإحدى المدارس الدوليةالقريبة من منزله في منطقه التجمع الخامس، والذي تقف الحافلةأمام بوابته الحديدية صباح كل يوم عدا الجمعة والسبت لتقل هشام وندى اللذان يقطنان العقار ذاته ويترددان على ذات المدرسة، ويدرسان بذات الفصل الدراسي.

يرن جرس الباب فيتوجه هشام إليه مسرعا ويهم بفتحه ليجد أن ندى هي الطارق، وما إن نظرت إليه حتى بادرته بشهقة مداعبة، ووضعت يدها على فمها وهي تقول:

- أنت لسه مالبستش؟

ثم جزت على أسنانها لتبدو غاضبة، ولكنها ممازحة إياه وقالت:

- كـدا هنتأخـر وأول يـوم في المدرسـة، دا عم فرج مابيسـتناش حد،وأنـا ماعنديـش اسـتعداد إنك تشـيلني لحد المدرسـة.

كانـت مـنى قـد وصلـت إلى البـاب مـع كلمـات نـدى الأخـيرة فشـعرت نـدى بالإحـراج، ونظـرت لمـنى في محاولـة منهـا لتـدارك الموقـف

وهي تقول:

- صباح الخير يا طنط.

لترد عليها منى وهي مبتسمة:

- صباح الخير يا لمضة.

ليقاطعهما هشام في عجالة موجها كلماته لندى:

- يخربيت رغيك كان زماني لبست، ثواني وهكون جاهز .

لينطلـق هـو إلى غرفتـه وتبـدأ مـنى في الحديـث مـع نـدى متسـائلة عـن أحـوال والدهـا ووالدتهـا، موصيـة إياهـا أنـه عـام دراسي جديـد وأن عليهـم الاهتمـام بالمحتـوى المقـرر هـذا العـام، فشـهور الصيـف قـد ولـت، وقبـل أن تنهـى حديثهـا كان هشـام قـد أنهـى ارتـداء

ملابسه وخرج إليهما فألقى تحية الوداع على والدته، واصطحب ندى للأسفل لينتظرا سويا الحافلة، لتبادره ندى قائلة في تهكم:

- هى ماما مش هتنسى الوصايا العشر بتوع كل سنة دول.

ليرد عليها هشام في غير اهتمام دون أن ينظر تجاهها:

- إيه الجديد يعني، ما انتي عارفة ماما.

لترد عليه ندى مستجوبة إياه:

- مممم، شكلك لسه شاغل بالك بالموضوع إياه، يا ابني قولتلك كانت تخاريف بنج.

فيرد عليها هشام بوجه متجهم بدا عليه القليل من الغضب:

- انتي هتعملي زيهم وتقوليلي هلاوس، ما انتي لو

شوفتي الحالة اللي ماما بتبقى فيها لما بتشوفني بعيط

أو حتى بشوف مشهد عياط في التليفزيون مش هتقولي كدا، عموما خليكم إنتوا مصدقين اللي إنتوا عاوزينه،

وخليني أنا مصدق اللي أنا عاوزه.

فترد عليه ندى في محاولة لتهدئته قائلة:

- خـلاص يـا عـم أنـت هتقفـل اليـوم ليـه مـن أولـه، أقـول لـك، بابـاك مـات في حـرب أكتوبـر، ارتحـت كـدا ؟!

فنظـر إليهـا هشـام دون رد، فاسـتطردت لإنهـاء الدعابـه قائلـة:

- صدقـني يـا إتـش أنـا شـيفاه في نفـس المركـب جنـب محمـود ياسـين وعبـدالله محمـود وهمـا بيعـدوا القنـال في فيلـم الرصاصـة لا تـزال في جيـبي.

فـيرد عليهـا هشـام وقـد بـدأ الحنـق في الـزوال قليـلا قائـلا في تهكـم:

- عبد الله محمود كان في الطريق إلى إيلات على فكرة.

لترد عليه ندى قائلة:

- يعنى هما كانوا بيعدوا القنال في مركب أصلا!

لتستدعي من بين أحبالها الصوتية صوت محمد سعد في

شخصية (رياض المنفلوطي) وتقول:

- دا أنت غريب يا هاني.

لتتعالى الضحكات التي ما إن بدأت حتى وقفت الحافلة

المدرسية، وهموا باستقلالها ليبدأ عامهم الدراسي الجديد، كانت ندى تتمتع بخفة ظل وحس دعابة لا مثيل لهما، فكانت من الفتيات اللاتي يحببن الحياة ويكرهن الحزن بشتى صوره فكانت لا تتردد أبدا في مساعدة غيرها بدافع إدخال السرور عليه ولذلك كانت هي الجزء المكمل دائما لهشام، هو العقل والاهتمام

بالتفاصيل، وهي الروح المرحة التي تضفي على الحياة بهجةدائمة.

(٥)

الصدمة الأولى

مرت السنوات ومرالعام الدراسي الأخير في المرحلة الثانوية

والـذي أنهـاه الثنـائي نـدى وهشـام بتفـوق كالمعتـاد، وهـا هي عطلـة نهايـة العـام قـد حلـت وبـدأت معهـا الاختلافات المسـتمرة بينهمـا، هشـام يجـد ضالتـه في الكتـب وتصفـح الإنترنـت، واللـذان مـن طقـوس الاسـتمتاع بهمـا الهـدوء والمنـاخ الخـالي مـن الضجة،

ونــدى تهــوى التــنزه وقضــاء الوقــت في نــادى الألعــاب الرياضيةحيـث تمـارس رياضـة التنـس الـتي احترفتهـا منـذ نعومـة أظفارها،ولكـن نجحـت شركـة سـونى فى ابتـكار شيء يجمع شـغفهما معـا، وهـو جهـاز ألعـاب الفيديـو المسـمى (بـلاي ستيشـن) فـكان الصبـاح يمـر عـلى نـدى في النـادي، وعـلى هشـام في المكتبـة أو على جهـاز الحاسـوب، ويـأتي المسـاء فيجتمـع الثنـائي ليبـدأ التنافـس

بينهما،وعـادةً كان يفـوز هشـام، وحـتى المـرات القليلـة الـتي تنتـصر فيهـا ندى كان هشـام هـو من يسـمح بذلـك دون أن يخبرها حـتى يـرى عـلى وجههـا ضحـكات النـصر الـتى طالمـا أحبهـا منهـا.

مـرت الأيـام وازداد الطقـس حـرارة، وقـررت عائلـة نـدى الذهـاب

لـشرم الشـيخ لقضـاء بعـض الوقـت هنـاك آملـين أن يمنحهـم الطقـس المعتـدل في شرم الشـيخ بعـض المتعـة الـتي حرمهـم منهـا الطقـس في القاهـرة، وأصرت نـدى أن يصحبهـم هشـام كالمعتـاد ورضـخ

الأبـوان لرغبـة إبنتهـم الوحيـدة، وقامـا بإخبـار مـنى بالمطلـب السـنوي المعتـاد وأخـذِ الاذن منهـا، فقـررت مـنى الذهـاب لأخيهـا فـوزي لقضـاء عـدة أيـام معـه في منزله،خاصـة أن زوجتـه في نهايه شـهور حملهـا وعـلى وشـك وضـع ابنـه الثالـث،وفى اليـوم المحـدد للقيـام بالرحلـة، وبعـد مراسـم الـوداع المؤقـت المعتـادة بـين الأم وإبنهـا، انطلقـت سـيارتان مـن أمـام المـنزل، الأولى متجهـة لمطـار القاهـرة، وتحمـل كلا مـن هشـام ونـدى وحاتـم الكاشـف والـد نـدى،

وأخـيرا أمـيرة والدتهـا، والسـيارة الثانيـة بداخلهـا مـنى متجهـة لشـارع الطـيران .

هبطت الطائرة في مطار شرم الشيخ الدولي وكان في انتظار الرباعي إحدى سيارات الليموزين التابعة للفندق الذي يتردد عليه حاتم باستمرار، وصلوا للفندق، ودلفوا للبهو الكبير في مقدمته المسمى (الاستقبال)، قام حاتم بتأكيد الحجز لثلاث غرف؛

الأولى تسع فردين والغرفتان الأخرتان تسع كلا منهما فردا واحدا، كانت الكبيرة له هو وزوجته، والغرفتان الصغيرتان؛ واحدة لندى والأخرى لهشام، وبالفعل قام الجميع باستلام الغرف وشرعوا في إفراغ الحقائب والانتهاء من ترتيب محتوياتها،

وما إن انتهى هشام حتى سمع طرق الباب، ذهب ليفتح فوجد ندى ووالدها يخبرانه أنهم في انتظاره في المطعم لتناول وجبة الغداء، فأخبرهم هشام أنه سيلحق بهم فورا بعد تبديل ملابسه،وبالفعل ما إن دلف حاتم وبصحبته ندى للمطعم ومرت خمس دقائق على الأكثر ليجدوا أميرة وهشام يمران من الباب الزجاجي للمطعم بعدما تقابلا أمام المصعد.

كان حب أميرة لهشام تعدى كونه صديق ابنتها الوحيدة، وجارهم منذ ولادته،فوصل لمرحلة الأمومة وكانت تعتبره إبنها الذي طالما حلمت بوجوده، وفي بعض المواقف بينه

وبين ندى يرى الشاهد أنها تحبه أكثر من إبنتها، فكان هو بمثابه الإبن الذي لم تلده، والذي لن يتسنى لها الفرصة أن تلد غيره بعدما خضعت لعملية جراحية قامت فيها باستئصال الرحم منذ عشرأعوام،

ورغم حبها الشديد لمنى إلاأن سبب الغيرة الوحيد الذي كانت تكنه لها، هوأن منى لديها هشام أما أميرة فلا.

تناولا وجبةالغداء وسط مشاكسات ندى المعتادة لهشام، وما إن فرغا من طعامهما حتى أخبرهم حاتم أنه سيذهب للقاء بعض العملاء في منطقة النقب على أن يعاود الانضمام إليهم في المساء.

كان حاتم رجلا وسيما ذا بشرة بيضاء، وعينين عسليتين، وجسد متناسق حصل عليه من ترددده الدائم على صالة

الألعاب الرياضية، وساعده على ذلك طول قامته، وطبيعة جسده التي لا تميل لتخزين الدهون، وكان يعمل في مجال البترول الذي جعل منه شبكة علاقات عامة لكثرة انتقاله بين الشركات وذلك لندرة تخصصه الذي جعله مطلوبا في كل شركات البترول في المنطقة العربية، فكان ما يربطه مع أية شركة هو عقد للمشروع لاغير وما إن ينهيه حتى تنهال عليه عروض أفضل من شركات أخرى، فهذا هو الحال دائما عندما تكون متميزا في عملك.

عرضت أميرة على هشام وندى الذهاب لبركة السباحة بصحبتها

للاستمتاع بالمياه النقية، والشمس التي أظهرت لهم بعض اللطف في يومهم الأول،فحجبت أشعتها الحارقة عنهم وعن الجميع، ومنحتهم طقسا يدعو للاستمتاع، فوافق الثنائي وذهب الجميع إلى غرفهم للاستعداد، وخلال ما يقارب العشر دقائق كانوا في طريقهم لبركة السباحة ومر الوقت بين السباحة واللعب حتى سمعت أميرة صوت هاتفها الصغير ليكون المتصل حاتم:

- ازيك يا حبيبتى عاملين إيه؟

- إحنا تمام الحمد لله، الولاد بيلعبوا في البيسين والجو تحفة .

- طب كويس أصل الناس اللي كنت هاقابلهم أجلوا المعاد لبليل، وأنا راجع اهو.

- خلاص تعالى على البيسين، وإحنا هانستناك.

- تمام خليكم على البيسين، وأنا هاعدي اشتري شوية حاجات وأجيلكم، ماتمشوش غير لما آجي.

- خلاص هانستناك.

- سلام يا حبيبتي.

- سلام.

مـا إن أنهـت أمـيرة الاتصـال حـتى وجـدت هشـام يخـرج مـن بركـة السـباحة ويخبرهـا أنـه ذاهـب لغرفتـه لجلـب بعـض الأغـراض وسـيعود سريعـا، فأخبرتـه أن لا يتأخـر لأن حاتـم في طريقـه للعودة،وسـينضم إليهـم قريبـا، فأومـأ هشـام برأسـه قائـلا:

- حاضر يا طنط، هاجي على طول.

ومـا إن دلـف هشـام لغرفتـه حـتى تذكـر وصيـة مـنى بـأن يهاتفهـا يوميـا للاطمئنـان عليـه، وبالفعـل رفـع سـماعة الهاتـف وضغـط عـدة أزرار، وهاتـف أمـه في مكاملـة طالـت لمـا يقـرب مـن الربـع سـاعة، فقـد كان هشـام متعلقـا بأمـه حقـا، وغيابـه عنهـا ليـس بالأمـر البسـيط،وعندما أنهـى مكالمتـه، جـاءه نـداء الطبيعـة، فخلـع معطفـه القمـاشي المسـمى (روب الحمـام) والـذي ارتـداه فـور خروجـه مـن المـاء أولا ليجفـف جسـده، وثانيـا حـتى لا يسـير إلى غرفتـه وهـو عـار لا يرتـدي إلا ثـوب السـباحة فقـط، دلـف هشـام إلى المرحـاض الموجـود داخـل الغرفـة وجلـس عـلى القاعـدة البورسـلينية الموجـودة بداخلـه وأفـرغ مثانتـه، ومـا إن انتهـى حـتى سـمع صوتـا خـارج المرحـاض،

هـذا الصـوت موجـود بداخـل الغرفـة، انتابـه الخـوف الشـديد فهـو لا يعلـم مـن بالخـارج، هـل هـو لـص علـم بأنـه لا يوجـد أحـد بالغرفـة فدلـف

إليها ليسرق محتوياتها؟

ظـل قرابـة الدقيقتـين خلـف البـاب يحـاول أن يسـترق السـمع حـتى لا يخطـئ التـصرف حـتى سـمع صـوت حاتـم وتأكـد أنـه هـو،

فهـم بالخـروج مـن المرحاض، ليصعق كالذي مسـه الشـيطان.

فهو يرى فتاة عشرينية تستلقي على الفراش شبه عارية،

لا يغطـي جسـدها سـوى حمالة الصدر وقطعـة قماش صغيرة

تغطـي فرجهـا، ويعتـلي تلـك الفتـاة حاتـم بقميص مفتـوح عن آخـره ولكنـه مـازال يرتديةبنطالـه، عـلى مـا يبـدوا أن هشـام خـرج مبكـرا مـن المرحـاض قبـل أن يتـم حاتـم خلـع ملابسـه بالكامـل ليعـم الهـرج داخـل الفـراش ويعـم الصمـت خارجه،وتحـاول الفتـاة أن تسـتر جسـدها بأغطيـه الفـراش وينهـض حاتـم مسرعـا يحـاول غلـق أزرار القميـص في توتـر شـديد وهـو يقـول لهشـام:

- هشام!!

أنت إيه اللي رجعك، مش المفروض أنت على البيسين.

يقـف هشـام مشـدوها مـن هـول الصدمـة فهـا هـو حاتـم الـذي طالمـا

اتخـذه هشـام قـدوة لـه، مـا هـو إلا شـخص حقـير يتتبـع شـهواته وغرائـزه، ولكـن مـا زاد النحيـب عويـلا هـو البـاب الـذي فتـح مـن الخـارج بواسـطةإحدى عاملات تنظيـف الغـرف الـتي لـم تكـن تعلـم بوجـود أحـد في الغرفـة، فالشـارة الـتي توضـع عـلى المقبـض وتنقـل للداخـل حـال وجـود شـخص بالغرفـة كانـت كمـا هـي بالخـارج، فلـم ينقلهـا هشـام لعلمـه أنـه سـيخرج مسرعـا وهـذا مـا أوحـى لحاتـم حـين وصولـه للغرفـه انـه لا يوجـد أحـد بالداخـل، ولكنـه وسـط مـا كان يفعلـه مـع تلـك العاهـرة نـسي هو الآخرإدخـال الشـارة للمقبـض الداخـلي، ولكـن الطامـة الكـبرى لـم تكـن في عاملـة النظافـة ولكـن في نـدى وأمـيرة اللتـان قررتـا أن تصعـدا لغرفتهمـا،

واحـدة لاسـتخدام المرحـاض، والثانيـة لإحضـار واقي الشـمس أو مـا يسـمى بــ(الصـن بلـوك)، وحـين فتحـت العاملـة البـاب كان مـرور نـدى

وأمـيرة مـن أمامـه لتكـون صدمتهـم فيمـا تـرى أعينهـم، كان المشـهد صادمـا للجميـع، فتـاة مسـتلقية عـلى الفـراش وهـي عاريةويقـف بجـوار الفـراش هشـام وهـو شـبه عـار، لا يرتـدي

سوى سروال السباحة فقط فهذا هو حاله عند دلوفه إلى المرحاض وحاله حين الخروج منه، وأمامهم حاتم يرتدي ملابسه بالكامل بعد أن أتم إغلاق أزرار القميص، وضبط هندامه، ومن خلفه العاملة وندى وأميرة،

كان تصميم الغرفة على شكل حرف (L)، باب الغرفة ثم ممر يقارب المترين وفي واجهة الباب «الفراش»وعلى اليمين المرحاض وبابه، لذا كان من البسيط أن ترى ندى وأميرة المشهد الكامل أثناء وقوفهم بالباب.

نزلت كلمات حاتم على أذن الجميع وبالأخص هشام كالصواعق،عندما قطع الصمت بعدما رمق أميرة وندى بطرف عينيه وقال:

- إيه القرف اللي أنت بتعمله دا ياهشام.

ثم التفت لعاملة النظافة وأخرج من بنطاله ورقة نقدية من فئة المائة جنيه ووضعها بيدها قائلا:

- انتي مشوفتيش حاجة يلا اتكلي على الله.

همت العاملة برفع أدواتها، والانصراف مسرعة حين اصطدمت بأميرة وندى أثناء دخولهم الغرفة، وتحرك حاتم باتجاه ندى التي كانت تسير خلف أمها وقال لها في توتر:

- ندى حبيبتي روحي انتي على أوضتك دلوقت.

وهـم بتوجيههـا بيـده للاتجـاه المعاكـس، وأخرجهـا مـن البـاب وأغلقـه خلفهـا، وفي تلـك اللحظـة كانـت أمـيرة قـد وصلـت إلى الفتـاة الـتي قامـت مسرعـة لترتـدي فسـتانها الملقـى عـلى الأرض فأمسـكت أمـيرة بشـعرها وانهالـت عليهـا بالضربـات باليـد الأخـرى حـتى خلـص حاتـم الفتـاة مـن يديهـا وسـمح لهـا بالانـصراف، وهـو يقـول لأمـيرة بصـوت منخفـض:

- اهدي مش عاوزين فضايح.

ثم استطرد قائلا وهو يحاول إلصاق جرمه بهشام:

- الحمـد لله إني كنـت معـدي عشـان أغـير هدومـي وسـمعت صوتهـم ودخلـت، لـو كان حـد مـن الأمـن شـافهم في الكاميرات ودخـل عليهـم كـدا وهمـا عريانـين كانـت هاتبقـى فضيحـة.

ثـم نظـر إلى الفتـاة بعـد أن أدار ظهـره لأمـيرة وقـام بضـم إحـدى جفـون عينيـه في حركـة تسـمى (غمـزة) وقـال لهـا:

- يـلا يـا بنـت الكلـب مـن هنـا، لـو شـوفتك في الفنـدق تـاني هحبسـك.

كان هشـام يبلـغ مـن العمـر ثمانيـة عـشر عامـا حقـا، ولكـن جينـات الضخامـة الـتي ورثهـا عـن أبيـه جعلـت منـه شـابا فتيـا

وهــو في هــذا العمــر، فكانــت ســنتيميتراته الخمــس والســبعين بعـد المائـة، ووزنـه الـذي يقـارب الثمانـين كيلـو جرامـا، وعضلاتـه المنتـشرة في كامـل جسـده، كانـت قـد منحتـه جسـدا خمريـا مثـيرا بالإضافـة لعينيــه الزرقاويــن الــذان ورثهمــا عــن خالــه فــوزي، وشـعره الأسـود الناعـم

الـذي ورثـه عـن أمـه كونـت شـابا مطمعـا للنسـاء الـلاتي يرغـبن في إشـباع شـهواتهن مـع شـاب يسـتطيع ذلـك، وهـذا عـلى غـير الحقيقـة مـا جـال بخاطـر أمـيرة في هـذا الوقـت، حينمـا تحركـت تجاهـه في خطـوات متثاقلـة بطيئـة وسـط دفاعـات غـير منطقيـة مـن هشـام بالنسـبة لهـا ولكنهـا الحقيقـة، فأثنـاء توجههـا نحـوه كان يقـول هشـام بصـوت خائـف متلجلـج:

- والله مـا اعرفهـا يـا طنـط، أنـا دخلـت الحمـام وطلعـت لقيتهـا.

وقبـل أن يكمـل هشـام دفاعـه عـن نفسـه هـوت عـلى وجهـه صفعـة قويـة مـن يـد أمـيرة كان تأثيرهـا الجسـدي عـلى هشـام ضعيفـا، ولكـن تأثيرهـا النفـسي كالسـقوط مـن أعـلى جبـل عـلى صخــور متحجرة،ووصلــت الصفعــة المعنويةأقصاهــا عندمــا أتبعتهـا أمـيرة بقولهـا وهـي تدمـع ألمـا:

- بنـتي ملكـش دعـوة بيهـا تـاني، والأوضـه دي مفيـش خـروج منهـا لحـد مـا نرجع،وأمـك أنـا مـش هقولهـا حاجـة علشـان متروحـش فيهـا، يـا خسـاره تربيتهـا وتربيـتي فيـك.

اقـترب حاتـم مـن أمـيرة وأمسـك بكتفيهـا وبـدأ في تهدئـة بكائهـا الـذي اشـتد قهـرا عـلى هشـام ومـا فعلـه، وقـام بدفـع جسـدها تجـاه البـاب ليخرجـا مـن الغرفـة ومـا إن أدارت أمـيرة ظهرهـا عـن هشـام حـتى نظـر لـه حاتـم نظـرة مفادهـا:

- أناأعلـم أنـك ظلمـت، وأنـك سـتكرهني مـا دمـت حيـا، لكـن مـا باليـد حيلـة إمـا أن أسـقط مـن عـين زوجـتي وابنـتي للأبـد أو تسـقط أنـت ،فاسـقط يـا ولـدي دون مقاومـة!!

(٦)

كانت بشاعة الظلم تعصف بأركان روحه وترديه على فراشه باكيا منتحبا كمن فقد أمه وأباه دفعة واحدة، ولكنه تذكر وصيةأمه له بعدم البكاء، وأن يبقى صلبا صلدا مهما حدث له فاستجمع قواه

وأمسك بالهاتف وقام بالاتصال بصديقه الوحيد وسنده في

الحياة (فوزي)، وما إن أتاه صوت خاله حتى انهارت قواه مرة

أخرى وطلب منه المجيء مسرعا إلى شرم الشيخ، كماطلب منه أيضا أن لا يخبر أمه بالمجيء، وأن لا يقوم بالاتصال بحاتم حتى يصل إليه أولا ويخبره ما حدث، وكان سؤال فوزي الوحيد لهشام، هل هو بخير أم أصابه مكروه، وكان رد هشام أنه بخير جسديا،ولكن على فوزي أن يأتي على وجه

السرعــة، وأخــبره أنــه ســيكون بانتظــاره في الغرفــة رقــم B٦٥، وأطلعــه عــلى اســم الفنــدق.

وبالفعــل أنهــى فــوزي اتصالــه مــع هشــام، والتقــط ســماعة الهاتــف

الأرضي وقــام بالاتصــال بشركــة الطــيران متســائلا عــن حجــز متــاح اليــوم لــشرم الشــيخ، وبالفعــل ومــن حســن طالــع هشــام أن مسئولةخدمه العمــلاء أخــبرت فــوزي أنــه يوجــد مــكان واحــد شــاغر عــلى مــتن الطائــرة الــتي ســوف تقلــع بعــد ســاعتين لأن احــد الــركاب قــد ألغــى الحجــز الخــاص بــه، ولأن الطــيران الداخــلي في مــصر لا يحتــاج إلى جــواز الســفر انطلــق فــوزي إلى مطــار القاهــرة مسرعــا ليصــل في الوقــت المناســب الــذي ســمح لــه بتأكيــد الحجــز، ودفــع الرســوم الماليــة والالتحــاق بالتجمــع الــذي يليــه الصعــود إلى الطائــرة، وبعــد مــرور خمســين دقيقــة كانــت الطائــرة قــد وصلــت إلى مطــار شرم الشــيخ بعــد مــا يقــارب الثــلاث ســاعات مــن مكالمــة هشــام لفــوزي، فاســتقل

إحــدى ســيارات التاكــسي الموجــودة بالمطــار وأبلــغ الســائق باســم الفنــدق، ومــا إن وصــل لبهــو الاســتقبال حــتى اســتفسر عــن موقــع الغرفــة مــن موظــف الاســتقبال الــذي أرشــده إليهــا فاســتقل المصعــد ومــا إن وصــل إلى الطابــق المطلــوب حــتى خــرج يتفقــد

أرقـام الغـرف بعينيـه حـتى وقـف أمـام البـاب المكتـوب أعـلاه B ٦٥ باللـون الذهـبي عـلى لوحـة معدنيـة مطليـة باللـون النحـاسي، فطـرق البـاب طرقـة خفيفـة ومـا إن فتـح البـاب وجـد هشـام في حالـة يـرثى لهـا مـن كثرةالبـكاء، فضمـه إلى صـدره ضمةأبويـة وأخـذ يتحسـس بأناملـه

بصيـلات شـعر هشـام الـذي انهـار باكيـا فـور رؤيتـه فـوزي وهـو يقـول:

- والله ما أعرفها يا خالو، والله ما أعرفها.

ليرد عليه فوزي محاولا تهدئته بعطف واحتواء أبوى:

- بـاااس يـا حبيـبي، اهـدى، اهـدى خالـص كـدا علشـان تفهمـني ايـه الي حصـل.

دخـل فـوزي وأغلـق البـاب خلفـه وتحـرك عـدة خطـوات وهـو ممسـكا بهشـام الـذي اسـتند إليـه كأنـه وجـد المـلاذ الآمـن، أجلسـه عـلى الفـراش وجلـس بجـواره ومـد يـده ليمسـح بهـا عـبرات هشـام الـتي ترفـض البقـاء داخـل عينيـه، ثـم وضـع كفيـه عـلى خـدي هشـام ورفـع

رأسه إليه ونظر بعينيه قائلا في حزم:

- استرجل يلا وامسك نفسك، وبراحة كدا ومن غير انفعال فهمني إيه اللي حصل بالظبط؟

بدأ هشام في تمالك أعصابه قليلا، ولكن صوته الذي تنتابه حالة من التقطع والتأتأة الطبيعية بسبب كثرة البكاء، وبدأ هشام في قص كل ما حدث بالتفصيل على فوزي، وكان فوزي في حالة انتباه تامة لما يسمع لعله من بين جنبات الحديث يجد شيئا مريبا، ولكن فوزي الذي رىى هشام كان على يقين أن ما يسمعه بالفعل هو ما حدث، وأن حاتم هو من ألصق تلك التهمة بهشام، وما إن أنهى هشام حديثه حتى ابتسم فوزي بوجهه مطمئنا إياه أنه صادق في كل كلمة تخرج من فمه وأعاده الى صدره مرة أخرى

في محاولة نهائية لبث الطمأنينة الكاملة داخله وقال:

- خلاص يلا بقى قولتلك اهدى، عاوزك تدخل تاخد دش طويل لحد ما أروح مشوار صغير وأرجعلك.

فرد عليه هشام باستغراب وهو يمسح دموعه متسائلا:

- مشوار، مشوار إيه وهتسيبنى هنا؟!

فرد عليه فوزي بثقة وكأنه علم من أين تؤكل الكتف:

- إيه يا نوغه هتتخطف، قولتلك خلاص الموضوع خلص، هو لبسهالك علشان يطلع نفسه منها، وأنت عامل في نفسك كل دا علشان منظرك قدام ندى وأمها، قولتلك أنا هحلها، قوم اعمل اللي قولتلك عليه لحد ما ارجعلك. وياريت أرجع ألاقيك نايم علشان أعصابك دي تهدى شوية.

ثم أغلق فوزي الباب خلفه، وانصرف دون أن يعلم هشام وجهته.

قبل أربع ساعات في غرفه رقم B ٦٦ كانت ندى تتهاوى نفسيا وعصبيا بعدما وقف حاتم أمامها كالأمير المنتصر يلقنها خطبة عصماء في الشرف والأخلاق، وعن صدمته في هشام التي لا يستوعبها،وأنها يجب أن تقطع علاقتها به نهائيا، وإن كانت تحلم أن هذا هو زوج المستقبل كما أخبرته سابقا، فإن الله قد أرسله في الوقت المناسب ليكشف حقيقته، وتزامنا مع تلك الخطبة كانت أميرة تحتضن ندى وتبكيان سويا؛

ندى تبكي على صدمتها في صديق العمر وحبيبها غير المعلن عن مشاعرها نحوه سوى لأمها وأبيها، وأميرة تبكي جراء صدمتها فى ابنها الذي لم تلده، والذي لم تتوقع لبرهة أن تراه بمثل هذا الموقف ولا حتى في أحلامها، استجمعت أميرة قواها وقاطعت حاتم بنبره باكية قائلة:

- خلاص يا حاتم ملوش لازمة الكلام دا، وحاول تشوفلنا حجز علشان نرجع بكره الصبح.

تركهم حاتم ودلف إلى شرفة خارجية بها بعض المقاعد التي يتوسطها منضدة زجاجية وضع عليها لفائف التبغ وأعواد الثقاب والهاتف المحمول وبعض المفاتيح المعدنية المجمعة معا في حلقة تسمى (ميدالية)، ثم جلس على أحد المقاعد والتقط هاتفه وأجرى اتصالا بشركة الطيران باحثا عن حجز على طائرة الصباح فأخبرته مسئولة خدمة العملاء أنه لا يوجد حجز إلا بعد يومين،

فأغلق الهاتف بعد أن أخبرها أنه سيعاود الاتصال بها لاحقا،

وأشعل لفافة تبغ وأخذ يفكر في ذكائه المطلق الذي جعله يخرج من هذا المأزق الذي كان سيدمر علاقته بابنته وزوجته إلى الأبد،وما إن أنهى لفافته حتى دلف إلى الغرفة ليخبر أميرة أنه لا يوجد حجز قبل يومين فوجدها تضم ندى إلى صدرها وقد غاصتا في نوم عميق نتج عن كثرة البكاء والشد العصبي والحزن الشديد الذى تملكهما، وشعر حاتم هو الآخر بإرهاق شديد فتمدد بجسده على الأريكة المقابلة للفراش الذي تنام عليه زوجته وابنته،وغاص هو الآخر في نوم عميق.

لا يعلم حاتم كم مر من الوقت، ولكن ما يعلمه جيدا أن عليه الاستيقاظ لأن هناك من يطرق الباب، هم بالاعتدال في جلسته يحاول أن يستفيق وهو يقول:

- حاضر،ثوانى جاي.

كانت أميرة وندى قد استيقظتا على صوت الطرق على الباب واعتدلتا هما الأخريان في جلستهما، وما إن وصل حاتم إلى الباب وهم بفتحه حتى وجد أمامه فوزي وخلفه رجل ضخم يرتدي بزة سوداء تبدو عليه الهيبة وكأنه مدير أمن الفندق،وبصحبة هذا الرجل الضخم كان يوجد شابان نحيلان يرتديان زيا موحدا وغطاء رأس مطرزا عليه كلمه security، صعق حاتم لوهلة ولكنه تدارك الموقف سريعا، وهم بالترحيب بفوزي قائلا:

- دكتور فوزي، أهلا وسهلا، حضرتك جيت امتى من القاهرة؟!

فابتسم فوزي ابتسامة سخرية ولم يأت رده بالكلمات، ولكن كان رده أن لكم حاتم لكمة قوية استجمع فيها كل الحنق الموجود بداخله تجاه هذا الوغد، لكمة أردته على الأرض متلويا ممسكا بوجهه الذى بدأ بالنزيف، لتخرج أميرة وندى مسرعتان من الداخل بعدما سمعتا صوت ارتطام

حاتـم بـالأرض، ومـا إن رأتـه أمـيرة حـتى صاحـت في وجـه فـوزي قائلـةفي غضـب شـديد:

- إيـه الـلي أنـت عملتـه دا، هـو ابـن أختـك اتصـل بيـك علشـان تيجـي تتخانـق معانـا علشـان ضيعنـا عليـه خلوتـه مـع المومـس بتاعتـه.

أخـذ فـوزي بضـع خطـوات للداخـل هـو ومـن معـه، وأومـأ برأسـه للرجـل ذو الـبزة السـوداء، فأمـر الرجـل أحـد مسـاعديه بإغـلاق البـاب،ورد عـلى أمـيرة بهـدوء جـم وثبـات مرتفـع، وابتسـامة متهكمـة عـلى الوضـع الحـالي قائـلا:

- المومـس بتاعتـه، دا حـتى عيـب عليـكي يـا مـدام أمـيرة تقـولي كلمـة زى دي عـلى هشـام، هشـام الـلي مربيـاه مـنى أختـي.

ثم سكت هنيهة واستطرد قائلا:

- فاكـرة مـنى أختـي الـلي اسـتأمنتك عـلى ابنهـا الوحيـد ولا لمـا جيـتي تضربيـه بالقلـم كنـتي نسـياها، عمومـا أنـا حسـابي مـش معـاكي انـتي علشـان انـتي يـا عيـني مصيبتـك كبـيرة، ربنـا يعينـك عليهـا.

فردت أميرة عليه في تعجب بكلمةواحدة:

- مصيبتي!!

ليلحقها فوزي قبل ان تنطق بكلمة أخرى قائلا في استهزاء:

- أيوه يا مدام مصيبتك اللي متعرفيش عنها حاجة.

ثم ركل فوزي حاتم الذي مازال مستلقيا على الأرض بقدمه وهو يقول:

- مصيبتك اللي كان الكلب دا عاوز يلبسها لابني.

ثم أكمل حديثه بذات الثبات وهو يتحرك بخطوات قصيرة، ويضع يديه خلف ظهره وهو يقول:

- لما هشام كلمني وقال لي آجي فورا وأكد عليا مكلمش مني، ولا أكلم روميو جوزك حسيت إنه في مشكلة مش عاوزها توصل لمني، وفي نفس الوقت مش واثق إن حاتم بيه ممكن يقف جنبه فيها، ولما وصلت وحكالي اللي حصل عرفت إن مش بس جوزك مش هيقف جنبه، لا دا جوزك هو اللي حطه فيها، حطه فيها لما غباؤه صورله إن الشاب البريء دا ربنا مش هيقف معاه وينصره، بس تعرفي إن جوزك دا حظه زفت أوى، علشان هو ميعرفش إن الصيدلية الوحيدة في القرية دي كلها بتاعتي أنا، ودا اللي وصلني بسهوله لمدير الأمن اللي واقف قدام حضرتك دا واللي خلاني أشوف بعيني في الكاميرات اللي فى الممر وفي الاستقبال إن المومس اللي حضرتك قولتي عليها مش بتاعةابني، المومس دي بتاعه جوزك، دخل الفندق

كلم حضرتك علشان يأمن عليكي ويشوفك فين، ولما عرف إنك على البيسين قال لك متتحركيش أنا جاي، زي ما انتي قولتي لهشام بالظبط، دخل من اللوبي على الريسيبشن طلب المفتاح الاسبير بتاع أى أوضه من ال٣، طلع الوحيد اللي موجود مفتاح أوضة هشام زي ما البنت بتاعة الريسيبشن قالتلنا، أخد المفتاح وركب الأسانسير فضل يفعص فيها ويحسس لحد ما وصل الأوضه ودخل، بس البت بصراحة كانت سريعة عنه حبتين يا دوب قلعت الفستان بقت ملط، ولأن الرجالة عندها حاجات كتير بتتقلع فجوزك اتأخر شوية، هوب هشام خرج من الحمام، هوب البت بتاعة الهاوس كيبنج فتحت الباب وحضرتك كنتي موجودة بقى في الباقي مش محتاجه أشرحهولك.

أنهى فوزي كلماته وسط صدمة وذهول وإحساس بالعار والخزي يتملك كلا من ندى وأميرةوحاتم، ثم مد يده للرجل ذو البزة السوداء والذي أخرج من جيبه مظروفا صغيرا يحتوي على قرص مدمج وأعطاه لفوزي، ثم رفع فوزي يده إلى أعلى وهو يقول:

- الاسطوانة دي عليها تفريغ كاميرات اللوبي والأسانسير والطرقة، ابقي اتفرجي عليها علشان تتأكدي من كلامي،وتعرفي المومس بتاعة مين.

ألقى فوزي القرص المدمج على المنضدة ثم هم ومن معه فى طريقهم للخروج دون أن يسمع أى رد من ندى أو أميرةأو الوغد الملقى على الأرض، وقبل أن يصل إلى الباب التفت إلى أميرة

قائلا في استهزاء:

- اه، كنت هنسى حاجتين مهمين أوي؛ الأولى: ابقى اتفرجي على الاسطوانة لوحدك من غير بنتك علشان بصراحة في

الأسانسير جوزك كان شقي قوي.

ثم اختفت ملامح الاستهزاء من على وجهه وحل محلها ملامح صارمة جادة، ثم قال:

- والتانية إن أختي منى مخسرتش تربيتها في هشام زي ما انتي قولتيله وانتي بتضربيه.

ثم سكت برهة وقال في أسى على حالها:

- علشان منى عرفت تربي.

كان وقع تلك الكلمات الأخيرة على مسامع أميرة كالضربة

القاضية في رياضة الملاكمة فما إن سمعتها حتى تحولت الدموع التي خرجت منها واحدة تلو الأخرى إلى نحيب

بصـوت مسـموع بعدمـا انهـارت مـرة أخـرى وضربـت بكفيهـا عـلى الأرض،نحيـب نتـج عـن عـدة مشـاعر متضاربـة تجمعـت معـا لتقـضي عليهـا، مشـاعر خيانـة زوجهـا لهـا، وظلمهـا لهشـام، والقهـر الـذي أنزلتـه بابنتهـا بعدمـا سـقط مـن عينيهـا القـدوة والمثـل الأعـلى لهـا، كل هـذه المشـاعر كفيلـةأن يتمـرد عليهـا قلبهـا ويمتنـع عـن أداء عملـه ويقـف بـلا حـراك معلنـا نهايـة حياتهـا البائسـة.

(٧)

عـاد فـوزي إلى غرفـة هشـام بعدمـا ودع مديـر الأمـن وشـكره بحرارةعـلى مسـاعدته لـه، ومـا إن دلـف إلى الغرفـة حـتى وجـد هشـام في سـبات عميـق فتركـه دون إزعـاج فما مـر بـه مـن ضغـط نفـسي كان شـديدا عـلى إنسـان يحمـل بـين جنبيـه شـخصية هادئـة وعطوفـة كشـخصية هشـام.

أجـرى اتصـالا بشركـة الطـيران ليحجـز مقاعـد للعـودة ولـم يجـد فعـاود الاتصـال بمديـر أمـن الفنـدق ليحجـز لـه سـيارة ليموزيـن تعـود بهمـا إلى القاهـرةفي الصبـاح الباكـر، واسـتأذنه أن يرسـل إليـه أحـد رجالـه ليقـضي لـه طلبـا شـخصيا، وبالفعـل جـاء أحـد رجـال الأمـن إلى الغرفـة ليسـلمه فـوزي مظروفـا صغـيرا يحتـوي عـلى مبلـغ مـن النقـود والـذى كان ثمـن غرفـة الإقامـة الـتي اسـتخدمها هشـام في هـذا اليـوم، وأخـبره ان يسـلمه لموظـف

الاستقبال على أن يعيد موظف الاستقبال تسليمه لحاتم عندما يحين موعد مغادرته الفندق.

خلد فوزي للنوم واستيقظ في الصباح ليجد هشام مازال نائما،حاول إيقاظه برويـة وهدوء حتى فتح هشام عينيه، فابتسم فوزي بوجهه وهو يقول:

- صباح الخير يا بطل، فاتتك أنت الحفلة بتاعة امبارح.

ثم دلف إلى المرحاض المقابل لفراش هشام ليغسل وجهه، وما إن ملأ كفيه بالماء حتى تجمد في مكانه من هول ما يسمع،

فما إن فتح هشام فاه حتى قال بتلعثم شديد:

- صصصباااح الخيير يااااا خالو، حففففلةايه؟!

ترك فوزي الماء ينساب من بين يديه وعاد إلى هشام في فراشه وقال في لهفة:

- مالك يا هشام أنت بتتكلم كدا ليه؟!

فحاول هشام الرد عليه ولكن الكلمات تأبى الجريان على لسانه حتى شعر هشام نفسه بالخوف وهو يحاول الحديث ولا يستطيع وبصعوبة بالغةقال:

- مشمش عارف فيبي ايه؟!

ثم بدأت دموع هشام في الجريان على خديه وهو يحاول جاهدا الحديث ولا يستطيع، كأن لسانه قد عقد فجأة، فاقترب منه فوزي مسرعا وضمه إلى صدره وقال:

- استنى بس واهدى كدا ومتتكلمش خالص.

ثم أسنده إليه وقال له متوترا:

- قوم معايا اغسل وشك الأول ومتقلقش من أى حاجة.

ما إن استطاع هشام الحركة والوقوف على قدميه والسيرإلى المرحاض حتى تنفس فوزي الصعداء وتطاير من عقله ما يخشاه، فما كان مرتعبا منه غير موجود.

نفذ هشام تعليمات خاله ولم يفتح فمه مره أخرى محاولا الحديث ولكنه وضع رأسه أسفل الصنبور ليترك المياه تتخلل شعره، وتغسل وجهه وحدها دون حول منه ولا قوة،

والتقط فوزي هاتفه مسرعا وخاطب أحد الأطباء النفسيين من

أصدقائه وأخبره بما يحدث، فطمأنه صديقه أن هذا التلعثم مادام لم يبدأ منذ الصغر أو لم يكن نتيجة وراثة فإنه غير مزمن،ولكنه حدث نتيجة الصدمة العصبية التي مر بها، وأنه من الممكن الشفاء منه ولكن بعد الوقوف على عدة

أشياء ستحدد بعد أن يرى هشام ويقوم ببعض الفحوصات له، أنهى فوزي مكالمته وشكر صديقه وأخبره أنه سيقوم بزيارته فور وصولهم القاهرة، وفي تلك اللحظةكان هشام قد خرج من المرحاض، فنظر إليه فوزي ولكن تلك المرة لم يستطع تمالك نفسه ودمعت عيناه قبل أن يفتح ذراعيه لهشام الذي أسرع إليه ليتوارى بداخلهما، كالذي يحتمي به من العالم البغيض.

أنهى فوزي العناق الحاني الطويل،وأخبر هشام أن يطمئن وأن هذا عرض بسيط وسيزول، ولكن عليه أن يقلل من محاولة

الكلام حاليا حتى يفحصه الطبيب ويحدد سبل العلاج،

أومأ هشام برأسه موافقة وبدأ في تحضير حقيبته للسفر بعد أن وجهه فوزي لذلك، وفي تلك الأثناء كان فوزي يقص على هشام ما حدث بالأمس ظنا منه أن هشام إذا علم أن حقه قد عاد وأنه انتصر فمن الممكن أن يمنحه هذا بعض السلام النفسي،

السلام النفسي الذي من الممكن أن ينهي ما حل به وأصابه،

وما إن أتم هشام حزم أمتعته حتى رن جرس الهاتف ليخبر فوزي أن السيارة التي طلبها جاهزة وبانتظاره، وما

إن فتح فوزي الباب حتى وجد أحد عمال الفندق المخولين بحمل الحقائب والذين يسمون (البول مان) قد وصل إلى الغرفة ليحمل الحقائب إلى السيارة.

وصل فوزى وهشام إلى بهو الاستقبال ليجد مدير الأمن في انتظاره ليقوم بتوديعه بنفسه لأن شهرة فوزي كانت سببا كافيا لمنحه الهيبة التي تيسر له كل الأمور والتي تجعل الجميع يتوددون إليه ويسعون لخدمته، واستقل فوزي وهشام السيارة وما إن تحركت قرابة العشرة أمتار حتى لمح هشام كلا من أميرة وندى وهما تقفان بالخارج في انتظار أية سيارة تقلهم إلى القاهرة أو على أقل تقدير إلى مرأب تجمع الحافلات التي تذهب إلى هناك، حاول هشام التحدث إلى خاله ولكن الكلمات ثقيلة

كأطنان فتنبه فوزي أن هشام يريد التحدث فأمر السائق أن يقف ظنا منه أن هشام نسي شيئا بالغرفة، ويريد العودة ليجلبه فنظر فوزي إليه قائلا بهدوء:

- حاول تقول اللي أنت عاوزه بكلمات بسيطةوأنا هفهم ،

متتقلش على نفسك.

استجمع هشام قواه وهو يشير من الزجاج الخلفي للسيارة ،ويقول:

- نننندى وطنط واقففففين أهم، شكلللهم راجععين هما كمان.

فنظر فوزي إليهم وعاود النظر مجددا لهشام وقبل أن ينطق بحرف باغته هشام قائلا:

- هممممما ملههههومش ذنب، هاتتهم مععانا علششششان ميتبهدلوش.

ورغم الدهشة التي انتابت فوزي من طلب هشام، إلا أن قلبه كان يرقص فرحا أن تلك الصدمه لم تؤثر على الإنسان الطيب الموجود بداخل هشام، وأنه اختار أن يقدم العون لأشخاص كانوا دون قصد منهم سببافي ماآل إليه.

تبددت الدهشة عن وجهه فوزي وحل مكانها الابتسامة المعهودة وقال لهشام ممازحا إياه:

- أنا هروح أجيبهم، بس لو لقيتني بتضرب اوعى تسيبني وتجري.

فأبتسم هشام له ابتسامة شكر، وغادر فوزي السيارة متجها إلى ندى وأميرة، وبدأ حديثه بالاعتذار لأميرة عن ما بدر منه بالأمس وأوضح لها أن الحالة التي وجد عليها هشام هي ما دفعته لفعل ما فعل، وواساها على ما اكتشف من

خيانة زوجها، وبحنكة بالغة نجح في إقناعها بمرافقتهما إلى القاهرة بعدما رفضت بشدة في البداية معللة رفضها بأنها لن تستطيع مواجهة هشام، وأنها لن تسامح نفسها أبدا على ما بدر منها تجاهه، ولكن فوزي أقنعها أن طول الرحلة سوف يزيل مابالنفوس من حنق،وأخبرها أن هشام هو من طلب منه أن يأتي إليهما ليكونا هي وندى رفقاء لهم في رحلتهم، وبالفعل توجهوا إلى السيارة وعندما رأى السائق ندى وهى تحمل الحقائب أسرع إليها ليحملها بدلا عنها ويضعها في مؤخرة السيارة، وفتح فوزي الباب الخلفي حيث يجلس هشام وطلب من أميرة وندى الدخول واستقر هو في المقعد الأمامي بجوار السائق، وما إن انطلقت السيارة حتى بدأت أميرة التي تجلس بجوار هشام بالحديث إليه قائلة في أسف شديد وهي تربت على كتفه:

- متزعلش مني يا هشام، انا مهما كان زي ماما والموقف اللي أنا كنت فيه كان صعب على أى أم إنها تشوف ابنها في الوضع دا، وأنت عارف غلاوتك عندي يا حبيبي.

فنظر إليها هشام مبتسما كالذي يقول لها لقد سامحتك بالفعل، ولكنه على يقين أنه لن يستطيع التلفظ بما توحيه الابتسامة من معنى فالتزم الصمت، ولكن فوزي شعر بما يدور في ذهن هشام فتدخل في الحديث قائلا:

- خـلاص يـا مـدام أمـيرة حصـل خـير وهشـام عـارف انـتي بتحبيـه قـد إيـه.

لـترد عليـه أمـيرة بعـد أن اغرورقـت عيناهـا بالدمـوع وهـي تقـول:

- مش باين يا دكتور والدليل اهو مش عاوز حتى يرد عليا.

مـا إن خرجـت الكلمـة الأخـيرة مـن فمهـا حـتى خرجـت الدمـوع مـن عينيهـا في اللحظـه ذاتهـا، ولكـن هشـام مـا إن رأى دموعهـا حـتى كـسر الصمـت حـين قـال في تلعثـم شـديد:

- خللاص يا طنط ... واللللله مسسسسامحك.

مـا إن اخترقـت تلـك الكلمـات بتلـك الطريقـة الحـيز السـمعي لأذن أمـيرة ونـدى حـتى شـعرتا بـأن السـماء انطبقـت عـلى الأرض واسـتدارت أمـيرة في لهفـة قائلـة:

- مالك يا هشام، مالك يا ابني؟!

لتليها ذات الكلمات من ندى التي قالت في خوف شديد:

- مالك يا هشام أنت بتتكلم كدا ليه ؟!

فلم ينتظر فوزي رد هشام عليهما وقال في هدوء:

- لـو سـمحتوا يـا جماعـة اهـدوا، الصدمـة الـلي حصلـت لهشـام سـببتله حالـة مـن حـالات التأتـأة العرضيـة وإن شـاء الله أول مـا نوصـل القاهـرة هـنروح لدكتـور أعرفـه وكل حاجـة هترجـع تمـام.

فانهـارت نـدى مـن البـكاء ومعهـا أمـيرة، وكانـت لـكل منهمـا ردة فعـل مختلفـة عـن الأخـرى؛ فمـا كان مـن نـدى إلا أن أمسـكت بيـد هشـام وطبعـت عليهـا قبلـة حانيـة وكأنهـا تقـول لـه:

- لن أتركك ثانية أبدا.

أمـا أمـيرة فقـد وضعـت يديهـا عـلى كتـف هشـام الآخـر وضمتـه

لصدرها وهي تبكي وتقول:

- أنا السبب يا ابني، أناالسبب ياابني.

(٨)

مـر قرابـة الشـهر عـلى عـودة فـوزي وهشـام وأمـيرة ونـدى مـن شرم الشـيخ، وكان هشـام قـد تـردد عـلى دكتـور سـمير شـاكر استشـاري الطـب النفـسي أكـثر مـن مـرة، سـمير شـاكر هـو الطبيـب الـذي هاتفـه فـوزي فـور حـدوث الواقعـة وهـو صديـق مقـرب لفـوزي منـذ زمـن ويعتـبر صديقـه الوحيـد، فقـد كانـت علاقـات فـوزي محدودة،وقليلـة لأنـه عـلى يقـين أن اختيـار الأصدقـاء وأنـت صاحـب شـهرة ومـال يكـون صعبـا للغايـة؛ لأن أغلـب العلاقـات في تلـك الحالـة تكـون قائمـة أولا عـلى المصالـح المشـتركة وهـذا مـا لـم يسـتطع فـوزي أن يسـميه صداقـة.

كانـت مـنى قـد مـرت بأيـام صعبـة في البدايـة ولكـن مـع الوقـت بـدأت في التأقلـم ومـا سـاعدها عـلى التأقلـم هـو التحسـن المبـدئي في حالـة هشـام واسـتجابته لعـلاج وجلسـات دكتـور

سميرالذي شخص حالة هشام أنها (تلعثم نفسي نتيجة صدمة عصبية) أما أميرة وندى فمرت الأيام عليهما ثقيلة ولكن ما خفف ثقلها هو عدم عودة حاتم من شرم الشيخ،

هل قرر أن لا يعود ثانيه؟! هل يخشي المواجهة؟!

هل مات؟ هل قتل؟

أكثر من (هل) صالت وجالت بخاطر أميرة ولكن النتيجة النهائية على كل حال كانت متأملة بأن لا يعود؛ لأن عودته غير مرغوب بها.

حل المساء ووصل فوزي إلى منزل منى ليصطحب هشام إلى جلسته مع سمير، وبالفعل فور وصوله واستعمال بوق التنبيه الخاص بالسيارة مرتين خرج هشام من الشرفة وأشار بيده أنه في طريقه إليه وفي قرابة الدقيقتين كان قد وصل هشام وندى

للسيارة وتحركا بها وبادرهم فوزي بالحديث قائلا:

- ازيك يا ندى، منورانا يعني النهارده؟!

فردت ندى وقد ظهر عليها بعض من الانكسار جراء ما حدث من أبيها وما حدث لهشام قائلة:

- الحمد لله يا عمو أنا تمام ،أنا بس مروحتش مع هشام ولا مرة قبل كدا فقولت أروح،

أولا علشان أتطمن على هشام ، و ثانيا علشان أنا عمرى ما شوفت دكتور نفسي قبل كدا.

فابتسم فوزي كعادته ورد ممازحا إياها:

- طب تطمني على اتش وفهمناها، لكن انتي فاكرة الدكتور النفسي دا زى ما بيجي فى الأفلام وريكلاس وشيزلونج و مزيكا وكدا ؟

أحب اقولك يا ندى إن انتي هتشوفي طائر البطريق لأول مرة في حياتك دلوقت.

فتدخل هشام في الحديث موجها كلماته لفوزي ومازال التلعثم يتملك منه ولو قليلا قائلا:

- خف شششويه يا خالو.

فرد عليه فوزي وهو يضحك ويشاكسه قائلا- :

- حاضر يا عم هشام انت تأمر بس انت عارف إن ندى حبيبتي يعني وبحب أنكشها، ولا بلاش حبيبتي دا لتكون بتغير ولا حاجة.

فنظر إليه هشام في خجل وكانت ردة فعله الوحيدة هي أن لكمه في كتفه لكمة خفيفة كالذي يداعب أباه، وفي تلك اللحظة نظر فوزي خلال المرآة التي تتوسط زجاج السيارةالأمامي من

الأعلى فإذبه يجد ندى وقد احمرت وجنتيها خجلا ونظرت إلى

أسفل وكان فوزي يتعمد دائما أن يعامل ندى بلطف ويداعبها في كل لقاء يجمعهما فهو لم ينس ما فعله بأبيها أمام عينيهاعندما تقمص دور رئيس المباحث وكشف ستره،

ولم يكن هذا شعورا بالذنب ناحيتها لأنه لم يخطىء ولكنها كانت محاولة دائمة منه أن يساعدها على تخطى ما شعرت به، وأن يغيرما رسخ في عقلها أنه لولاه لما فضح أمر أبيها.

وصلوا بالفعل إلى البناية التي تقبع في طابقها الثالث عيادة سمير شاكر، واستقلوا المصعد ومنه إلى العيادة، استقبلتهم فتاة الاستقبال بترحيب شديد وأخبرت فوزي أنها تلقت تعليمات من دكتور سميريإدخالهم مباشرة حال قدومهم، وفورا تقدمت أمامهم وقامت بفتح باب جرار تفتح كلتا ضلفتيه إلى اليمين واليسار، ليظهر من خلف الباب رجل سمين بشعر أسود تتخلله بعض الشعيرات البيضاء التي بدأت باجتياح رأسه، تعتلي أنفه نظارة طبية وتلتف حول رقبته سلسلةذهبية، و يرتدي قميصا

لم تكتمل أذرعه لنهايته واكتفت بأن تصل إلى مفصل الكوع فقط، وما إن رآهم حتى قام من مجلسه ومد يده مصافحا فوزي وهشام، وما إن رأى ندى حتى رفع النظارة الطبيةإلى عينيه ببطء شديد ثم ابتسم وقال لفوزي ممازحا إياه:

- أهلا أهلا، اوعى يكون السكر دا جاي يتعالج يا فوزي، دا لو العسل دا تعبان أنا أضرب اللي عندي في البيت بالرصاص وأتفرغ لعلاجها بس.

فابتسم فوزي، ورد على سمير في تهكم:

- اتلم يا سمير، دي محجوزة من يوم ما اتولدت، ولو ذودتها كمان شويه أنا يا حبيبي اللي اضمنلك إنك هتضرب بالرصاص.

قال كلماته الأخيرة وهو يربت على كتف هشام، كالذي يخبر سمير أن ندى هي ملكية خاصة لهشام ومن يقترب منها فسيندم على ذلك أشد الندم.

كانت ندى بالفعل قد اتمت أنوثتها بجسد متوسط البنية متناسق، وبشرة بيضاء صافية، وشعر ذهبي يتلألأ تحت الأضواء،وعيون خضراء نقية كلحاء شجر القنب، وشفاهٍ قرمزيةٍ صغيرةٍ لا تحتاج معها لملمع شفاه وأنف صغير توسط وجهها

الملائكي البريء، ومع كل هذا كانت ترتدي فستانا زهرى اللون جعلها كحورية من الجنة.

اكتملت وصلة الترحيب والمزاح، ورحب سمير بندى بعدما علم

أنها جارة هشام وأحد أهم أركان حياته، وأنها شخص ذو تأثير،

وأخبر سمير فوزي عن ورقة بحثية تتعلق بحالة هشام نشرت في مجلة طبية بانجلترا تسمى

(The Medical Magazine)

وأنه يوجد تجربه نشرت في تلك الورقة البحثية أثارت انتباهه ويود إجراءها مع هشام، لعل وعسى أن تجدي نفع، ووجه سمير كلماته لهشام طالبًا أن يسترخي على الأريكة ويغلق عينيه وأن تكون جميع ردوده عليه بذات اللغة التي يحدثه بها.

كان سمير على علم من الجلسات السابقة أن هشام درس اللغة

الألمانيةفي المدرسة واختارها لتكون لغة ثانية بعد الانجليزية، وبذلك يستطيع سمير القيام بتجربته على أكمل وجهة؛ لأن التجربة كانت تتحدث عن أن الجزء الذي يتعرض

للخلل في القشرة الدماغية بعد الصدمة العصبية يكون بداخله إحدى اللغات التي يتحدثها الإنسان وفي الغالب تكون اللغة الأم التي يتحدثها كثيرا، أما المراكز الحسية التي تحوي باقي اللغات تكون في أماكن أخرى من المخ أحيانا، ويكون المريض عسير الحظ إذا تجمعت جميعها في مكان واحد أصابه التلف وبدأ سمير فى التحدث مع هشام الذي كان بالفعل قد استعد وأغلق عينيه وأرخى عضلاته على الأريكة، وبدأ فوزي باللغة العربية التي يوقن أنها خارج التجربة،، ولكنه كان يمهد هشام نفسيا، ألقى عليه التحية وسأله عن حاله، وكانت ردود هشام متلعثمة متقطعة ثم سكت قرابة الدقيقة دون حديث أو حراك كالذي يحاول إعادة تشغيل المستقبلات في عقل هشام على اللغة القادمة، وبالفعل تحدث معه بالانجليزية، وكانت ردود هشام أفضل حالا من ردوده باللغة العربية، فقد لاحظ سمير ومعه فوزي الذي انتبه هوالآخر لما يحدث وأن ردود هشام في تحسن، مازال التلعثم موجودا ولكن بنسبة أقل كثيرا عن العربية، وصمت سمير للمرة الثانية ولكن تلك المرة زاد صمته قدر دقيقتين كأنه يستدعي كل الكلمات الألمانية الموجودة بداخل عقل هشام ويصفها صفا أمام لسانه حتى تخرج بطلاقة ودون صعوبة وبالفعل ما إن قال سمير:

- Wie geht es dir, Hisham ?

حتى رد عليه هشام بكل طلاقة، وبلا ثقل أو معاناةقائلا:

- ich geht gut,es Doktor

فتح هشام عينيه في دهشة وهم بالجلوس، ولكن قابله سمير بأن وضع يديه على كتفه وأعاده إلى مرقده كما كان، ثم كور يديه ورفع منها سبابته فقط ورفع يديه بوضع عمودي على شفتيه

قائلا:

- شششششش.

فأومأ هشام برأسه بعد أن بدأت بوادر السعادةفي اجتياح ملامح وجهه، وعاد كوضعه السابق، ثم أكمل سمير صمته ثانيه قرابة الدقيقةوعاد ليقول:

- Wer hat die Menschen für dich geliebt ?

فصمت هشام لبرهة ولم يجب سريعا كالمرة السابقة، وهنا تجهم وجه سمير ومن خلفه ندى وفوزي ولكن سرعان ما زال هذا التجهم وتحول إلى ابتسامات متبادلة بين الجميع عندما بدأ هشام في الحديث قائلا:

- Meine Mutter und mein Onkel und Nada

هنـا تهللـت أسـاريرهم جميعـا مـن طلاقـة هشـام أثنـاء حديثـه

بالألمانيـة وقـام سـمير مـن عـلى المقعـد المقابـل للأريكـة الـتي كان يسـترخي عليهـا هشـام وهـو يقـول فرحـا:

- مبروك يا عم فوزي، كدا احنا قربنا أوى.

فرد عليه فوزي في شغف لاستماع إجابته:

- يعـنى كـدا يا سـمير التأتأه والتقـل دا موجود فى العربي،وشـوية في الانجلـيزى لكـن في الألماني تمام

فرد عليه سمير في سرور جم للنجاح الذى اكتشفه قائلا:

- بالظبـط كدا،ومـع كـتر الـكلام البـاقي هيظبـط هـو كمان،يعني الموضـوع كلـه بقـى مسـألة وقـت مـش أكتر.

فضحـك فـوزي حـتى كشـف عـن أسـنانه ثـم أصـدر صوتـا إيقاعيـا نتـج عـن ضرب راحتيـه ببعضهمـا البعض،والـذي يسـمى (تصفيـق) ثـم وقـف أمـام سـمير وانحـنى قليـلا كالـذي يقـوم بالتحيـة الملكيةوقـال:

- شابو يا دكتورنا العظيم.

فرد عليه سمير ضاحكا وكأنه يدعي الفخر قائلا:

- You are welcome sir

ثـم توجـه فـوزي إلى هشـام واحتضنـه بشـدة ولأن فـوزي لا يحـب المواقـف الدراميـة عـادة، اختـار أن ينهـي العنـاق بدعابةفقـال:

- كدا لازم نعلم أمك الماني.

فضحك الجميع ثم قاطعتهم ندى قائلة وهي تبتسم:

- وهتعلمـني أنـا كمـان يـا عمـو، علشـان أنـا كنـت فرنسـاوي مـش ألمـاني بدليـل إني مفهمتـش ولا كلمـة مـن الـلي قالـه غـير

- اسمي بس.

فتنبه فوزى لذكره اسـم ندى فقط وأراد اسـتكمال المزاح فقال:

- اه صحيـح، يعـني أنـت تقـول أميوخاليونـدى، مـش عـارف تنطـق اسـمي أنـا وأمـك،ولا اسـم نـدى بـس الـلي خفيـف عليـك.

فأبتسـم هشـام بعدمـا دمعـت عينـاه فرحـا، ثـم تدخلـت نـدى في الحديـث مـرة أخـرى قائلـة:

- طب الأسامي دي اتقالت ليه برده أنا مش فاهمة؟!

فرد عليها فوزي قائلا في تهكم حميد:

- سمير سأله يا ستي مين أحب الناس لقلبك قاله:

أمي وخالي وندى، مش عارف يقول منى وفوزي وندى.

ليأتي صوت سمير من الخلف قاطعا حديثهم وهو يقول:

- ما يمكن اتكسف يقول أمي وخالي وحبيبتي، خلاص بقى يا فوزي متحرجوش.

هنا اعتلى وجه ندى الخجل للمرة الثانية في أقل من ساعة ونظرت إلى هشام نظرة هو الوحيد الذي فهم محتواها لأنه بادلها ذات النظرة بذات المحتوى، هنا وقف فوزي وقال لسمير ممازحا:

- أنت تاااني، ماشي يا سمير، يلا بينا يا ولاد.

خرج ثلاثتهم بعد أن شكر كل من فوزي وندى وهشام دكتور سمير، واستقلوا السيارة، وفي طريق عودتهم تحدثت ندى مع فوزي وهشام عن انبهارها بالطب النفسي وتأثيره على البشر

وأهميته لهم، وأنها بعد تلك الجلسة قررت أن تدرس الطب وتتخصص فيما بعد في الطب النفسي، وأخبرتهم أنها كانت تتمنى لو كان بيدها أية حيلة تساعد بها هشام على

الخـروج مـن محنتـه، ولذلـك اتخـذت هـذا القـرار، فشـجعها فـوزي وأخبرهـا أنـه مجـال هـام وأن مسـتقبله جيـد، وأن هـذا التخصـص مطلـوب بشـدهة لندرتـه أو بالأخـص لندرةالأطبـاء المتميزيـن فيـه، واشـترك هشـام هـو الآخـرفي الحديـث وقـال أنـه سـيدرس الصيدلـة لأن مثلـه

الأعـلى الوحيـد في الحيـاة هـو خالـه فـوزى وأنـه يتمـنى أن يعمـل في نفـس مجالـه، ولكـن بطريقـة أخـرى، فاسـتوقفت تلـك الكلمـة فـوزي وسـأله عنهـا قائـلا:

- يعنى ايه تدرس صيدلة بس بشكل مختلف؟

فأخبره هشام أن مجال الصيدلة فى مصر ظالم لرواده،

فالصيـدلي يدخـل الجامعـة ويتخـرج منهـا بعـد عنـاء وشـقاء وهـو يعلـم أنـه لا يوجـد أمامـه سـوى طريقـين أو عـلى الأكـثر ثلاثة،إمـا منـدوب مبيعـات في إحـدى شركات الأدويـة أو إنشـاء

صيدليـة خاصـة بـه سـواء؛ منفـردا أو بالاشـتراك مـع أحـد زملائه،وأخـيرا التدريـس الأكاديمـي كمـا أخـبره أيضـا عـن نسـبة إشراك خريجـي الصيدلـة في مـصر في مراكـز الأبحـاث وتطويـر الأدويـة، وصناعتهـا وابتـكار أمصـال وعقاقـير تـكاد تكـون منعدمة،

وهـذا لنـدرة المراكـز البحثيـةفي مـصر مـن الأسـاس، وهـذا المصـير هـو مـا لا يتمنـاه لنفسـه، وأخبرهـم أيضـا أنـه أثنـاء بحثه وإطلاعـه عـلى شـبكة الانترنـت قـرأ مقـالا عـن صيـدلي ألمـاني يدعـى (فريدريـك سـيرتورنر) والـذي قـام باسـتخلاص المورفـين مـن برعـم زهـرة الأفيـون لأول مـرة في التاريـخ في عـام ١٩٠٣، وكان هـذا بغـرض مسـاعدة النـاس وتخفيـف الألـم عنهـم، وأن اكتشـافه هـذا كان وأصبـح وسـيظل اكتشـافا عظيمالـه أثرممتـد ودائـم في مسـاعدة النـاس، وإن كان البعـض قامـوا باسـتخدام هـذا العقـار اسـتخداما سـيئا فـإن سـيرتورنر لا يحمـل مـن أوزارهـم شـيئا، وتطـرق إلى عـدة أسـماء أخـرى أسـمهت

إنجازاتها في الحفاظ على البشرية لقرون طويلة، وأخبرهم

أنـه كان يفكـر جديـا في الذهـاب إلى ألمانيـا لدراسـة علـم الأدويـة هنـاك، وأنـه توصـل إلى جامعـة في مقاطعـة (براندمبورج) في ألمانيـا تسـمى

(Free University of Berlin)

وذكـر أن مـن أهـم مميـزات كليـة الصيدلـة في تلـك الجامعـة التركـيز عـلى الاستكشـاف والبحـث والتجـارب عـلى الأمصـال والعقاقـير والأدويـة وتطويرهـا، وأن هـذا هـو الطريـق الـذي سـيجد فيـه شـغفه، ثـم ابتسـم وقـال:

أن مـا حـدث معهـم اليـوم عنـد الطبيـب كان بمثابـة طـوق نجـاة له،فهـو يعلـم أن الألمـان مـا كانـوا سـيقبلون أن ينضـم إليهـم شـخص مصـاب بالتلعثـم أو بالأحـرى شـخص غـير قابـل للانخـراط السـوي السـليم بـين النـاس، فهـؤلاء الأشـخاص لا يحرمـون مـن حقهـم ولكـن تكـون لهـم أماكـن مخصصـة للتعامـل معهـم، وهـو لـن يجـد ضالتـه في تلـك الأماكـن.

كان الثـلاثي قـد وصـل إلى المـنزل بالفعـل، وكان هشـام قـد ذكـر رغبتـه في الدراسـة في ألمانيـا أثنـاء تواجـده في المـنزل وفي حضـور مـنى، وبعـد عـدة مناقشـات طويلـة دامـت ليومـين أو

أكـثر وأخـيرا رضخـت مـنى ومعهـا فـوزي لرغبـه هشـام، وتحديـدا عندمـا أخـبر فـوزي مـنى أن تحدثـه الألمانيـة كثـيرا سـيكون بابـا يعـبر منـه لمرحلـة الشـفاء الكامـل مـن التلعثـم.

(٩)

قـام هشـام بمراسـلة الجامعـة، وخضـع للإختبـارات الأوليـة الـتي تتيحهـا الجامعـة عـلى موقعهـا الإلكـتروني واجتـاز الاختبـارات بنجـاح سـاحق، ثـم قـام باسـتكمال المسـتندات المطلوبـة للسـفر،وكذلك قـام بترجمـة بعـض الأوراق الـتي طلبتهـا الجامعـة إلى اللغـة الألمانيـة لتسـليمها حـين وصولـه، حـان موعـد السـفر وكان الـوداع بينـه وبـين نـدى مريـرا وذو مـذاق لاذع، ولكـن الـوداع بينـه وبـين أمـه كان أشـد مـرارة وقسـوة؛ فتلـك هـي المـرة الأولى

الـتي يبتعـد فيهـا هشـام عنهمـا، وصـل هشـام بالفعـل إلى (براندمبـورج) وأقـام في أحـد المنـازل المخصصـة للطلبـة هناك،وكانـت الحالـة الماديةالميسرةالـتي يعيـش فيهـا هشـام وأهلـه قـد وفـرت عليـه عنـاء ومشـقة العمـل هنـاك كبقيـة الطلبـة المغتربـين - الذيـن يبحثـون عـن عمـل بعـد سـاعات

الدراسة؛ليساعدهم العائد منه على تكاليف الحياة- ليطرد هشام عن عقله ثقل المعيشةوالأموال والتكاليف، ويستبدلها بالبحث والدراسةوالطموح.

ومر عامان على هشام في ألمانيا، كان فى بدايتهما منبهرا بالحضارة والرقي اللذان وصل إليهما هذا الشعب العظيم، ومع مرور الوقت بدأ الانبهار في الزوال خطوة خطوة؛ لأن هشام عاش مثلهم وطبق التزامهم وانضباطهم فأصبحت كل أسباب. الانبهار بالنسبة له أمورا عادية، فتلك هي طبيعة الإنسان عند التعود على شيء معين وتكراره باستمرار ليصبح أسلوب حياة.

كان هشام مستمتعا بالحياة هناك ولكنها متعة غير مكتملة لأن الدراسة الأكاديمية كانت هي الأساس في العامين الأولين، وكانت التجارب والأبحاث ما هى إلا مجرد تطبيق لما يلقنوه داخل قاعات المحاضرات، وكانت فرصة الإبداع محدودة إلى حد ما لطلاب السنين الأولى، فكان هشام يقضي الأيام بين الدراسة والاطلاع لأن مكتبة الجامعة من أكبر مكتبات العالم،وهذا ما عوض نسبيا الملل الذي كان يصيبه من قلة التجارب المعملية وكان يتحدث مع والدته، وندى، وفوزي باستمرار إما عن طريق برامج التواصل الاجتماعي على الانترنت أو عن طريق الهاتف، وكان قد قام بزيارتهم ثلاث

مـرات في العامـين السـابقين أثنـاء العطـلات الدراسـية فنظـام الدراسـة هنـاك كان مختلفـا تمامـا عـن مـصر؛ لأن الدراسـة كانـت عبـارة عـن فصـول متقطعة؛تسـعون يومـا للدراسـة، وثلاثـون يومـا عطلـة، وكانـت تلـك السياسـة ناجحـةفي تجديـد نشـاط الطـلاب أولا، وتوفـير الوقـت ثانيـا.

وكان يتبـادل الحديـث دائمـا مـع نـدى عـن أسـاليب التعليـم هنـاك،في الوقـت الـذي كانـت تتأفـف فيـه نـدى مـن طـرق التدريـس وكـثرة المناهـج والمحتـوى في كليـة الطـب الـتي التحقـت بهـا، وكان أهـم شيء مـن وجهـة نظـره قـد تعلمـه هنـاك هـو أن يمنـح كل شيء قـدره بـلا مبالغـة أو تقليـل، وأن المعلومـة كلمـا كانـت مبسـطة بالقـدر الـذي لا ينقـص منهـا شـيئا، وفي الوقـت ذاتـه تلقـن بأسـلوب سـلس وسـهل تكـون أفضـل، وهـذا هـو مـا يسـعى إليـه الألمـان دائمـا، والدليـل عـلى ذلـك هـو التعريـف الجامـع والشـامل والمبسـط فـي الوقـت ذاتـه للأدويـة والعقاقـير هنـاك والـذي كان:

(الـدواء هـو أيـة مـادة تسـتعمل في تشـخيص أو معالجـة الأمـراض الـتي تصيـب الإنسـان أو الحيـوان، أو الـتي تفيـد في تخفيـف وطـأة هـذه الأمـراض أو الوقايـة منهـا، و يعمـل الـدواء غالبـاً عـلى زيـادة أو إنقـاص وظيفـة مـا في الجسـم، ولا ينـشئ وظيفـة جديـدة)

مـرت الأيـام سراعًـا و بـدأ العـام الثالـث لـه في الجامعـة والـذي يتعـين أن يختـار فيـه أحـد أقسـام الدراسـة ليتخصـص بـه ويتعلـم كل كبـيرة وصغـيرة عنـه لأن الألمـان يعشـقون التخصـص ويؤمنـون به،ولـن ينـسى هشـام أبـدا أحـد العلمـاء الـذى كان في زيـارة للجامعـة ألقـى عليهـم محـاضرة واسـتهلها بقولـه لهـم :

«لـكل إنسـان شـغف إذا عـثر عليـه سـيضيف لذاتـه جـزءا في تاريـخ البشريـة»

وكان تأثـير تلـك العبـارة عليـه قويـا لـذا قـرر أن يبحـث عـن شـغفه و تخصـص في

علـم ديناميكيـة الأدويـة(Pharmacodynamics) ويمكـن تبسـيطه والقـول أنـه: العلـم المختـص بدراسـة تأثـيرات الـدواء عـلى الجسـم أو الجهـاز الحيـوي مـن خـلال الارتبـاط بالمسـتقبلات الحيويـة.

كان هشـام يشـعر بمتعـة غريبةأثنـاء تواجـده بالمختـبر مـع أسـاتذته وزملائـه، وكانـت تلـك المتعـة لا تقـل شـيئا أثنـاء تواجـده فى قاعـات المحـاضرات، فمـا يتعلمـه في الصبـاح يطبقـه داخـل المختـبر في الظهـيرة، وبعـد التطبيـق لمـا تعلمـوه تتـاح لهـم الفرصـة الكاملـة إمـا للتعديـل عـلى التركيبـات الحاليـة للعقاقـير والأمصـال بغـرض تحسـينها وجعـل تأثيرهـا أفضـل،أو ابتـكار

عقاقير وأمصال جديدة ذات تأثير فعال إما في علاج الأمراض أو التخفيف من حدتها كما تعلم سابقا.

وكان هشام يعمل على تجربة أكثر من عقار فالتبسيط في التعلم ساعده كثيرا أو بالتحديد العبارة التى تقول:

(يعمل الدواء غالباً على زيادة أو إنقاص وظيفة ما في الجسم، ولا ينشىء وظيفة جديدة)

ومن دراسته لطبيعة الجسم توصل إلى أن كل ما يفعله الإنسان يتعلق بالغدد أو بالأخص الهرمونات التي تفرزها الغدد بجانب

الأعضاء الحيوية التي تكون الجسم من الأساس كالقلب والكلى والرئة والكبد وغيرها، ولكن ما يحدد سلوك الإنسان وشخصيته وقراراته كان بديهيا هو المخ أو بالتحديد (the prefrontal cortex) وهو غطاء مقدمة الفص الجبهي للمخ.

وكان هذا الجزء بالتحديد من جسم الإنسان هو ما أثار فضول هشام الذي تفرغ لمدة عام كامل من الاطلاع والقراءة ومشاهدة المناظرات الطبية، والأبحاث المصورة، وكل ما يتعلق بهذا الجزء بالتحديد من تجارب واكتشافات، حتى اتخذ قراره أنه إذا استطاع اكتشاف أية عقار يمكنه التأثير في تلك المنطقة سوف يكون هو المؤسس الحقيقي لعلم جديد يسمى

«علـم تشـكيل الإنسـان المثـالي» لأن تلـك المنطقـة بالتحديـد اكتشـف العلـم أنهـا مسـئولة عـن الإرادة، المشـاعر والأحاسـيس،

القـدرة عـلى التخطيـط واتخـاذ القـرار، الحكـم عـلى الأشـياء والتميـيز بينهـا، والتفاعـل مـع الآخريـن، والتبـصر في الأمـور، والقـدرة عـلى ضبـط السـلوك، الشـعور بالمسـئولية، وغيرهـا الكثـير والكثـير مـن الوظائـف العقليـة العليـا، والـتي تمنـح تلـك المنطقـة في المـخ وعـن جـدارة لقـب مركـز القيـادة والتحكـم.

ولكـن معضلـة هشـام كانـت في التجربـة فـإن العـادة قـد جرت أن الأدويـة تخضـع للاختبـار عـلى القـوارض والحيوانـات أولا وإذا قدمـت اسـتجابة اكـثر مـن ٩٠ ٪ تبـدأ تجربتهـا عـلى البـشر، ولكـن التجـارب الـتي عـلى هشـام الـشروع بهـا يجـب أن تُجـرى عـلى البـشر فقـط، وبالتحديـد المصـل الـذي وصـل هشـام إلى تركيبتـه

الـتي تتحكـم في قدرةالإنسـان عـلى التأليـف والابتـكار، أو ببسـاطةإيقاف قـدرة الإنسـان عـلى التأليـف والابتـكار، أى إيقـاف الكـذب،

أو بمعـنى آخـر ما بـين يدي هشـام الآن هو (مصـل الحقيقة).

وجـد هشـام أثنـاء بحثـه حـول هـذا الشـأن عـدة وثائـق تشـير إلى أن الألمـان في الحـرب العالميـة الثانيـة اسـتخدموا أحـد أمصـال الحقيقـة وهـو يدعـى» بنتونـال الصوديـوم» في اسـتجواب الأسرى

وكان لهذا المصل قدرة على تعطيل بعض مهام العقل مثل: الحساب والمنطق كما أنها كانت تجعل المستجوب كثير الكلام وثرثاراً وقليل الحذر والخوف، وهذا ما تعمد هشام أن لا يكون موجوداًفي تركيبته بعدما استطاع أن يبتكر نسخة مطورة من المصل يحدد التحكم في جزء معين فقط من المخ وليس المخ بأكمله، وكان هذا لأن هشام يريد استخراج الحقيقة المطلقة فقط بلا زيادة أو نقصان،ولكن كانت المعضلة االثانية التي تواجهه: إن القانون الألماني يمنع تجربة هذه النوعية من الأمصال والعقاقير على البشر،- ويعتبرها انتهاكا لحقوق الخصوصية، وحتى إن كانت تلك التجارب للصالح العام وليس الخاص فإن الاعتبار الأول في القانون الألماني في تلك المعضلة هو:

أن الافضاء بأية معلومات لأية جهة ما،يجب أن يكون عن طريق الاختيار الحر للشخص وليس رغما عنه.

وبين كل تلك المعضلات قرر هشام أن يكمل دراسته بشكل طبيعي ويتعامل مع هذا المصل على أنه حلم مؤجل الآن ولكنه لن يتوانى عن تحويله إلى واقع في المستقبل، فأكمل سنوات دراسته بتفوق اعتاد عليه وكان هذا التفوق هو ما جعله محط أنظار وإعجاب الجميع، والذى ساعده أيضا على تكوين عدة صداقات مع أساتذته كانت قائمة على الاحترام

المتبـادل وثقتهـم في قـدرات هشـام، وهـذا مـا سـهل عليـه التقـدم فـور التخـرج للحصـول عـلى شهادةالماجتسـير، ولـذا أضـاف عامـا آخـر بعـد إتمامـه الدراسـة حصـل فيـه عـلى درجـة الماجسـتير في تأثـيرات الـدواء عـلى الجسـم وعـاد إلى مـصر، مـع وعـد أنـه سـيعود مـن جديـد للحصـول عـلى درجـة الدكتـوراة مـن الجامعـة الـتي صنعـت هشـام الجديـد، أو بالتحديـد الـتي صنعـت دكتـور هشـام زكريـا.

(١٥)

عـاد هشـام إلى مـصر وظـل قرابـة الشـهر شـغله الشـاغل هـو تعويـض مـنى عـن السـنوات الـتي قضاهـا بعيـدا عنهـا، فـإن الغربـة الـتي غـيرت في شـخصيته وطبيعتـه كل شيء تقريبـا إلا أنهـا لـم تسـتطع المسـاس بمكانـة مـنى ونـدى وفـوزي بداخـل قلبـه، فـكان يصطحـب مـنى معـه في كل مـكان تقريبـا، المسـارح، شـارع المعـز، الأهرامـات، الأقصروأسـوان، والكثـير من الأماكـن التي كان يزورهـا لأول مـرة في حياتـه، لأن هشـام كان يشـعر بالأسـف تجـاه بلـده الـتي لا تسـتطيع الترويـج لمـا تملـك مـن كنـوز، وكان الدليـل عـلى ذلـك أنـه علـم قيمـة مـصر وتاريخهـا عـن طريـق المتاحـف الموجـودة في أوروبـا، وليـس عـن طريـق السـنوات الطويلـة الـتي قضاهـا في مـصر قبـل سـفره.

كانـت نـدى تعيـش حيـاة مملـة للغايـة لا يوجـد بهـا أيـة إثـارة، فكانـت في الصبـاح تخـرج مـن المـنزل متجهـة إلى مستشـفى

الأمراض العقلية بالخانكة التي عملت بها كطبيب مساعد فور تخرجها وحملها للقب «طبيب نفسي» وبعد انتهاء مناوبتها بها تتحرك فورا إلى مركز خاص كان يعمل في ذات المجال، ولكن هذا المركز كان متخصصاأكثر في علاج الإدمان وحالات الصرع، ولأنه مركز خاص فكان لا يرتاده إلا الأغنياء الذين يستطيعون تحمل تكاليفه الباهظة، وكانت ندى تعمل في تلك المؤسسة الخاصة بعقد مؤقت منذ أن كانت في الجامعة وحتى قبل التخرج، وما دفعها لذلك هو الضائقة المالية الشديدة التي عصفت بهم بعد غياب أبيها الذى استمر اكثر من سبع سنوات ولا يعلم عنه أحد شيئا بعد، وقدكان عائلهم الوحيد في تلك الفترة هو العائد الشهري الذى كانوا يتحصلون عليه مقابل الوديعة المالية التي وضعتها أميرة في أحد البنوك بعدما باعت كل إرثها من أبيها ووضعته فى تلك الوديعة , ليكن العائد منها هو مصدر الدخل الوحيد وهو ما كانت تعيش منه وتنفق منه على ندى ودراستها،ولكن في فترة من الفترات ومع ارتفاع تكاليف المعيشة جراء تحرير سعر صرف الجنيه المصري، وثبات العائد البنكي دون زيادة حدثت الفجوة التي دفعت ندى للبحث عن عمل، والذي ساعدها في الحصول عليه هو فوزي عندما توسط لها عند صديقه دكتور «سمير شاكر»لتعمل لديه في المركز الطبي الخاص به وقد كان.

أما فوزي فكان لا يتوانى عن تطوير وتنويع مصادر دخله، فمع عدد الصيدليات الذي وصل إلى ١٤٢ فرع تغطي جميع محافظات الجمهوريةبالإضافة إلى عدة دول عربيةتابعةلاسم صيدلية السبكي، وقرر إنشاء شركة لاستيراد الأدوية والعقاقير من الخارج، وكانت بدايتها للاستخدام الذاتي فقط؛ أي أن كل ما تقوم الشركة باستيراده يوزع على فروع صيدلياته فقط، ولكن مع اكتساب تلك المنتجات السمعة الحسنة وارتفاع أسهمها في سوق الأدوية وكثرة كتابتها في الوصفات الطبية للمرضى شعر فوزي أن الفرصة قد سنحت الآن ليملأ الأسواق بمنتجاته المستوردة، والتي بعد وقت قليل أصبحت علامات تجارية مسجلة ولكن مسجلة فى عقول الناس وليس في هيئة العلامات التجارية، فمن يصاب بالزكام يذهب إلى الصيدلية ويطلب الدواء الخاص بفوزي بالاسم، حتى المنشطات الجنسية لم يتردد لحظة في استيرادها وكان يتعمد أن تكون من أجود الأنواع فهو على يقين أنه إذا اكتسب ثقة الرجال سيكسب ثقة نسائهم أيضا، وظل الأمر في تطور ونجاح حتى أنه كان يقوم بتوريد الكثير من أدويته لوزارة الصحة ومستشفياتها وبذلك أصبح فوزي السبكي بواسطة صيدلياته وشركته - التي أسماها HMF- هو رئيس جمهورية الدواء في مصر أو كما أطلق عليه كل من يعمل بالوسط الطبي لقب (الحوت).

جاء يوم الجمعة الذي تفتح فيه أبواب السماء لاستقبال دعاء المصلين، والذي كان يشعر فيه هشام تحديدا بكمٍ رائع من الهدوء والسلام النفسي، استيقظ في الصباح توضأ وأدى صلاة الضحى وأتبعها بقراءة سوره الكهف وسوره طه كما كان يفعل في أوروبا- فهو لن ينسي أبدا تلك الوصية التي أوصاه بها الشيخ صلاح عامر إمام المسجد الذي كان يصلي فيه في المجمع الإسلامي في ألمانيا، والذي ساعده كثيرا هناك وخصيصا في الشفاء النهائي من التلعثم عندما أرشده لتلك الآيات الكريمةفي سورة طه ونصحه بتكراراها كثيرا، والتي قال الله عزوجل:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨))

صدق الله العظيم

وبالفعل كان لتلك الآيات ولسورة طه بأكملها تأثير السحر على هشام، ومع الوقت شفي بالفعل نهائيا من التلعثم ومنذ ذلك الحين أصبحت أقرب سور القرآن الكريم لقلبه- ثم

استيقظت منى وتناولا طعام الإفطار وتبعه احتساء الشاي الساخن، ثم توجها إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة بعدما مرت منى على أميرة لتصحبهم، وفور الانتهاء من الصلاة عادا إلى المنزل وفي طريق العودة تحدث هشام مع أميرة وأخبرها أن تحضر ندى ليتناولا طعام الغداء سويا، فأومأت أميرة بالموافقة وعندما

وصلا لأسفل العقار صعد كل من منى وأميرة وأخبرهم هشام أنه ذاهب لشراء بعض الأشياء وسيعود قبل موعد وجبة الغداء.

مرت قرابة الثلاث ساعات وعاد هشام إلى المنزل وما إن دلف إليه حتى وجد ندى وأميرة ومنى فى انتظاره، ألقى عليهم التحية وتوجه لغرفته لتبديل ملابسه، وما إن انتهى حتى بدأ جرس الباب في الطنين، توجهت ندى للباب لتفتح فوجدت فوزي على الباب ومن خلفه سائقه الخاص يحمل بعض الأغراض فبادرها فوزي بالتحية وردتها ندى عليه، وأمر السائق أن يضع ما بيده على المنضدة وينتظره في السيارة، وحين دلف ألقى التحية على منى وأميرة اللتان تجلسان على الأريكة الموجودة في واجهة الغرفة والتي شاركتهم فيها ندى لاحقا،وبدأ فوزي بالحديث

- أمال فين الدكترة؟

وقبل أن يجيب أحد على سؤاله جاءه الرد من خلفه عندما دخل هشام إلى غرفة الاستقبال، ووضع يديه على كتفي فوزي وهو واقف خلفه ورد وهو يطبع قبلتين على خديه ويقول:-

- أنا هنا يا دكترة.

وما إن التف هشام حوله وجلس مقابله حتى رد فوزي:

- كل بعقلي حلاوة ياواد، بعد ما أستناك كل دا تتصل بيا وتقولي حصلني على البيت، أنت مش قولت إنك جايلي؟

فرد عليه هشام مبتسما:

- رحت مشوار بقى يا خالو ولما لقيت نفسي اتأخرت كلمتك.

فرد عليه فوزي ممازحا إياه:

- مشوار ايه؟ العيشه في ألمانيا علمتك النصب، مشوار إيه بقى إن شاء الله؟

فرد عليه هشام بعد أن أخرج من سترته علبة صغيرة واعتلت وجهه علامات الفرح قائلا:

- المشوار دا.

ارتسمت علامات الدهشة والاستغراب على وجوه الجميع لجهلهم بما يحدث عدا فوزي الذي ابتسم لأنه كان على إلمام تام بالأمر برمته، تحرك هشام في اتجاه منى وركز على ركبتيه أمامها

وأمسك يدها وفتح العلبة الصغيرة وأخرج منها خاتمًا ذهبيًا

وأسكنه بين أصابعها ثم طبع قبلة حانية على يدها وألحقها بقبلة أخرى على جبينها ثم تحرك خطوة واحدة إلى اليمين وهو في نفس الوضع وأخرج خاتمًا آخر وأمسك بيد أميرة وكرر ذات الأمر، ولكن المختلف هنا هو أنه قبلها على جبينها فقط، ما إن انتهى من ذلك حتى داعبت أميرة خصلات شعره وقالت:

- تسلملي يا ابني،تعيش وتجيب.

وهنا احمرت ندى خجلا لأنها اعتقدت أنه سيقوم بذات الأمر معها ولكن هشام استقام ووقف واستدار وعاد إلى مجلسه وهو يبتسم لفوزي ويرسل له غمزة من عينيه لم ترها ندى لأنها كانت تجلس خلف ظهره، وما إن جلس وقبل أن يتحدث حتى باغتته منى بالسؤال في فضول:

- ودا بمناسبة إيه يا دكترة؟

فرد فوزي عليها قبل أن يفتح هشام فاه:

- دا بدل شكرا وتسلم إيدك يا حبيبي وكلام الأمهات اللي بيبقى في المواقف اللي زي دي؟

فضحك الجميع على دعابة فوزي واستطرد هشام قائلا:

- دا يا ست الحبايب بمناسبةإني قررت وبعد إذنك طبعا أطلب من طنط أميرة إيد ندى.

فعم الصمت على مجلسهم لثوانٍ معدودة تبادل جميعهم فيها النظرات، ثم قطع فوزي الصمت قائلا:

- اه والخاتمين دول رشوة علشان توافقوا.

فضحك الجميع ثانية وردت أميرة بعد أن سالت دموعها فرحا وهى مبتسمة:

- من غير رشوة يا دكتور، دا يوم المُنى اللي استنيته كتير،إني أتطمن عليهم مع بعض.

هنا ولأول مرة فى حياة هشام يسمع صوت أمه وهو ينطلق بالرنين المتقطع المسمى (الزغاريط) فيقوم من جلسته ويتحرك تجاه ندى التي وقفت فور رؤيته يتحرك إليها وكانت تبكي غير مصدقة لما يحدث، فرفع هشام يده إلى خديها ومسح دموعها وقال:

- هو انتي مش عارفةإن حماتك مبتحبش العياط؟!

هنـا ابتسـمت نـدى الـتي رفـع هشـام يدهـا وأخـرج بيـده الأخـرى خاتمًـا ثالثًـا كان بـذات العلبـة وألبسـها إيـاه، وطبـع قبلـة عـلى يدهـا وقـال:

- مهو مكانش ينفع أسيبك تبقي بتاعة حد غيري- .-

فـكان رد فعـل نـدى أن ارتمـت بـين ذراعيـه في عنـاق تمنتـه منـذ أن علمـت مـا هـو الحب،وتحولـت الأجواءلأجـواء احتفاليـة مملـوءة بالبهجـة والتهـاني المتبادلـة والسـعادة والـسرور والأمـل في القـادم.

(١١)

مـر يومـان وكان هشـام قـد أخـبر نـدى عـن رغبتـه في الذهـاب معهـا إلى مستشـفى الأمـراض العقليـة الـتي تعمـل بهـا في الصبـاح

وأخبرهـا أيضـا أنـه يفكـر أن يكـون موضـوع رسـالة الدكتـوراة خاصتـه عـن الـدواء وتاثـيره عـلى سـلوك الإنسـان، فرحبـت نـدى بالفعـل وأخبرتـه أنـه فـور وصولهـم سـوف يجـد مفاجـأة لـه، وبالفعـل تحـركا في الصبـاح متجهـين للمستشـفى وفـور وصولهـم أخبرتـه نـدى أن عليـه لقـاء مديـر المستشـفى الـذي يعلـم الكثـير عنـه مـن كـثرة حديثهـا لـه، فرحـب هشـام وبدأالتحـرك في أروقـة المستشـفى حـتى وصـلا إلى مكتـب المديـر ومـا إن دلـف هشـام حـتى اعتـلى وجهـه دهشـة كبـيرة عندمـا وجـد أن مديـر المستشـفى هـو دكتـور سـمير شـاكر وهـو ذات الطبيـب الـذي كان يعالجـه مـن التلعثـم قبـل سـفره،تبادلا العنـاق والترحيـب وتطرقـا إلى الحديـث

في أمـور عـدة منهـا مـا يتعلـق بالطـب والعقاقـير ومنهـا ماهـو شـخصي وأخـبره عـن موضـوع رسـالة الدكتـوراه خاصتـه والـذي كان سـببا لزيارتـه للمستشـفى اليـوم ، فأخـبره سـمير أن قدومـه عـلى الرحـب والسـعة،وأنه سـيقدم لـه كل العـون، وانتهـت الجلسـة وانتقـلا إلى مكتـب نـدى الـذي كان يبعـد عـن مكتـب سـمير بقليـل، وطلـب هشـام مـن نـدى بعـض ملفـات المـرضى ليتفحصهـا ويختـار منهـا المريـض الـذي سـيبدأ بالحديـث معـه، وبالفعـل أخرجـت نـدى بعـض الملفـات وشرع هشـام يتفقدها إلى أن اسـتوقفه أحـد الملفـات والـذي كان مكتوبـا عليـه في المنتصـف

«حسين أبو اليزيد»

«جنائي»

فابتسـم هشـام وكأنـه ظفـر بمبتغـاه ثـم نحـى جميـع الملفـات جانبـا وفتـح هـذا الملـف، وأخـذ في التنقـل بـين أوراقـه ثـم قـال لنـدى:

- متهـم في قضيـة قتـل والمحكمـة شـاكة فى قـواه العقلية،حلـو دا، هـو انتـوا بتدوهـم جرعـة الصبـح مـن المهدئـات بتاعتهـم إمـتى؟

فردت ندى في تعجب:

- الساعة ١٠

ثم نظرت في ساعة يدها واستطردت قائلة:

- يعني كمان نص ساعة تقريبا

فرد عليها هشام مسرعا:

- طب أنا عاوز أقعد مع حسين دا بس من غير ما يكون واخد المهدئات، عاوزه يكون على طبيعته، ويا ريت لو في المكتب هنا يبقى تمام أوي.

فأبتسمت ندى وقالت:

- مع إني مش فاهمة حاجة، بس حاضر يا سيدي من عينيا.

رفعت ندى سماعة الهاتف الأرضي الموضوع أعلى مكتبها، واتصلت بغرفة التمريض وسألت عن شخص يدعى عبد الوهاب،وحين التقط عبد الوهاب السماعة على الطرف الآخر أمرته أن يحضر لها حسين أبو اليزيد، وأن لا يعطيه جرعته المحددة من الدواء إلا بعد انتهاء جلسته معها، وما إن انتهت مكالمتها حتى قام هشام من جلسته وتوجه إلى المكتبة التي كانت على يمين المكتب، وفتح أحد ضلفها ووضع بداخلها كاميرا كان قد أخرجها من جيبه ثم نظر إلى ندى قائلا:

- هو هايقعد فين؟!

فردت عليه ندى في استغراب شديد:

- أنت بتعمل ايه؟

فرد عليها هشام في عجالة:

- اخلصي قبل ما يجي، هايقعد فين؟!

ما أنا لازم أسجل كلامي معاه.

فأشارت ندى بيدها لكرسي تدلت منه عدة أشرطة تثبيت كان يتوسط الغرفة في مواجهة مكتب ندى، فعدل هشام وضعية الكاميرا في اتجاه الكرسي وقبل أن يغلق الضلفة الزجاجية كان الباب قد طرق، وما إن نطقت ندى كلمة (ادخل) حتى ظهر رجل طويل القامة،عريض الصدر، ذو شارب كث ثقيل، ببشرة خمرية،وعين واسعة، وملامح وجهه شديدة قاسية وبصوت أجش قال لندى:

- احزم يا دكتورة؟

فأومأت ندى برأسها أي نعم ، وكان معنى تلك الكلمة هو تثبيت المريض في الكرسي بالشرائط المتدلية منه أم لا،فهناك بعض المرضى لا يحتاجون لذلك من شدة هزالهم وضعفهم ، وما إن انتهى عبد الوهاب من تثبيت حسين جيدا حتى أمرته ندى بالإنصراف والانتظار بالخارج، وفور خروجه من الباب

أمسك هشام أحد الكتب الموجودةفي المكتبة التي مازال يقف أمامها وأثناء سحب الكتاب من على الرف كان قد ضغط على زر التسجيل وأغلق الضلفة وجلس على كرسي جانبي أمام مكتب ندى ونظر لحسين، ليجد أمامه شابا في منتصف عقده الثالث، أملس الوجه، ذا بشرة بيضاء،بعينين ضيقتين وأنف كبير نسبيا،فبادره هشام بالحديث قائلا:

- ازيك يا حسين،على الله تكون مبسوط هنا.

فنظر إليه حسين في حنق وكراهية غير مبررة ولم يرد، فابتسم هشام الذي كان متوقعا لرد الفعل هذا، وأمسك الملف الخاص بحسين وبدأ بالدوران حوله متقمصًا دور المحقق الجنائي وهو يقول:

- حسين أبو اليزيد الطوخي ٣٦ سنة، مهندس ديكورعاطل بقاله ٦ شهور، متهم بقضية قتل مراته وإخفاء جثتها

فادعى إن الجن هما اللي قتلوها، وخدوا جثتها معاهم علشان ييجي هنا ويفلت من حبل المشنقة،صح يا سحس.

هنا ثار حسين ثورة كبيرة، وأخذ يصيح ويحاول الافلات من على الكرسي،وهو يقول بصراخ، وصوت حانق:

- ماقتلتهاش، قولتلكم ١٠٠ مرة ماقتلتهاش، الجني اللي عاشقها هو اللي قتلها.

هنا اقتحم عبد الوهاب الغرفة ظنا منه أنهم في حاجة للمساعدة،فأشار إليه هشام أن انتظر بالخارج كما كنت، فخرج عبد الوهاب وأغلق الباب خلفه، وهنا وضع هشام الملف على المكتب وأعطى ظهره لحسين ليكن وجهه في مواجهة ندى وأخرج من جيبه محقنًا على شكل قلم مكتوب عليه عدة أرقام من أسفل إلى أعلى،وعلى جانبه بكرة سوداء صغيرة يتحكم بواسطتها في حجم الجرعة التي يريد استخدامها فنظرت اليه ندى في دهشة وتعجب، وقبل أن تنطق بحرف، نظر لها هشام بعد أن وسع حدقة عينيه بشكل كبير في إشارة منه لها أن اصمتي، ثم التف مواجها حسين وغرس الإبرة الموجودةفي أعلى القلم في يده وضغط على زر صغير في القلم فنقل المادة الموجودةفي المحقن إلى أوردة وشرايين حسين في أقل من خمس ثوانٍ، ثم نظر لحسين في ثبات وقال:

- طب اهدى بقى علشان نعرف نتكلم.

مكث هشام قرابة ثلاث دقائق دون حراك أو حديث، فقط ينظر لعيني حسين، وعندما لاحظ الهدوء والثبات الذي وصل إليه حسين باغته فجأة وهو ينظر إليه قائلا:

- قتلتها ليه؟

شعر هشام أن حسين يحاول النطق ولكنه لا يستطيع، وبعد عدة محاولات يفتح فمه ويحاول الكلام ثم يغلقه ثانية، هنا شعرت ندى بالخوف فهذه مسئوليتها وخصيصا أن هشام لم يخبر دكتور سمير أنه سيحقن المرضى بأية عقار، فقررت التدخل وقالت في تردد:

- أنت اديته إيه وإيه اللي حصله؟

هنا نزلت الصاعقة عليها، ولكن ليست من السماء بل من كلمات حسين الذي فتح فاه وتكلم قبل أن يجيب هشام على سؤالها وقال في هدوء شديد:

- قتلتلها عشان خاينة.

هنا اتسعت عينا ندى في دهشه وعدم تصديق لما تسمع، وابتسم هشام ابتسامة المنتصر وتنفس الصعداء وأيقن أن المصل يعمل بنجاح بعدما قام بتجربته في ألمانيا مرة واحدة سرا على أحد أفراد أمن البناية التي كان يقطنها بعدما أعطاه الأموال وأخبره أن هذا عقار جديد يجري تطويره في الجامعة لمرض السكر، وأنه اختاره لتجربة العقار عليه لأنه مريض بالسكر، وبعدما حقنه وكتب ملاحظاته أخذ عينه دم منه وأخبره أنه سيوافيه بالنتيجة،وبعدها زور نتيجة وهمية وأخبره

أن العقار لم يجد نفعا، وأراد تكرار التجربة مرة أخر ى لكنه اكتشف أن هذا الفرد تم نقله بواسطة الشركة التي يعمل بها إلى مكان آخر، ففكر أن يبحث عن شخص آخر ولكنه خاف من تكرار التجربة مرة أخرى هناك حتى لا يقع تحت طائلةالقانون.

هنا قام هشام من مجلسه وتوجه بخطوات بطيئة نحو المكتبة،ورمق بعينيه الكاميرا ليتأكد من أنها مستمرة في التسجيل ثم عاد إلى الدوران حول حسين مرة أخرى وربت على كتفه بهدوء،وجلس أمامه في ذات المقعد وقال في هدوء:

- قول لي بقى، قتلتها ليه وجثتها فين،وانقبض عليك ازاي؟احكيلي كل حاجة يا حسين

وبلا رد فعل ملفت يذكر من حسين، وبهدوء حاد، وملامح مبهمة لا تنم عن أي شعور بدأ في الحديث:

- كنت بقضي أوقات كتير بره البيت بحكم شغلي، ولأني كنت عارف إني مقصر في حقها كنت بخرجها في أي وقت أقدر علشان أعوض التقصير دا، جاتلي سفرية قعدت فيها حوالي ٦ شهور ورجعت منها وهي وحشاني أوي، بس ماحستش إن أنا واحشها بسبب تصرفاتها اللي اتغيرت معايا، وردودها الجافة اللي بقت تردها عليا، ابتديت أشك فيها وأفتش في رسايلها على الواتس والفيس لحد ما اكتشفت إنها على علاقة بواحد

اتعرفت عليه من الفيس، ولما واجهتها بالرسايل اعترفت بكل بجاحة وطلبت الطلاق،ما اتحكمتش في نفسي وأنا بخنقها وهي بتفرفر في إيدي زي الفرخة، تخيلت ساعتها كل حاجة ممكن تكون عملتها مع الواد دا وأنا مسافر،والخيالات دي ماخلصتش غير لما هي كمان خلصت، ساعتها مابقتش عارف أعمل إيه، والقانون في بلدنا مش هاينصرني علشان الخيانة عندنا في بلدنا من وجهة نظر القانون خيانة سرير وبس، مع إن الثقة والمشاعر والحب هما كمان المفروض يبقى ليهم قانون عندنا بيحبس اللي بيخونهم، هديت وابتديت أفكر أو بمعنى أصح الشيطان بدأ يفكرلي، قعدت ألف في الشقة زي المجنون لحد ما رجلي دخلتني الحمام وعيني وقعت على المصطبة الكبيرة اللي بين البانيو والحوض، ولأني عارف إنها مبنية بالطوب وإنها مجوفة من جوه جاتلي الفكرة، جبت سكينة كبيرة من المطبخ وجبت معاها طبق استانلس وقعدت أدق على السيراميك من فوق واحدة واحدة لحد ما طلع معايا وبعدين شيلتها ورميتها في قلب المصطبة،وحطيت حواليها شوال الفحم اللي كنا بنستخدمه في الشواية علشان الريحة، بعدين رجعت السيراميك مكانه تاني وقفلت عليها، وافتكرت إن في أسمنت أبيض في البلكونه بتاعت المطبخ كان فايض من السباك، جبته ورجعت السيراميك زي ما كان بالظبط، ولما

حسيت إن شكله جديد دخلت البلكونه الكبيرة وجبت شوية تراب من قصاري الزرع اللي فيها ووسخت بيه الاسمنت علشان يبقى زيه زي اللي في باقي الحمام، ولما اتأكدت ان كل شيء بقى تمام نزلت أجيب سجاير، بس وأنا نازل افتكرت الدفتر بتاع الأمن اللي مع فرد الأمن في العمارة واللي بيسجل فيه كل الناس اللي دخلت واللي خرجت،جت في دماغي فكرة تانيه علشان أبعد الشبهة عني وعن البيت خالص، جيت قدامه وعملت نفسي اتكعبلت ووقعت على الأرض، قام جري سندني وقعدني على الكرسي بتاعه، قولتله إن رجلي بس شادة عليا من الوقعة فمعلش خد الفلوس دي وهاتلي علبة سجاير وهات لنفسك حاجة تشربها وعلشان يتطمن قولتله إني قاعد مكانه على الكرسي هنا لحد ما ييجي, وأول ما خرج من باب العمارة فتحت الدفتر وكتبت إسمها بنفس القلم بتاعه ولأني هاوي خطوط من زمان قلدت خطه بالظبط وكتبت معاد خروجها من ساعةفاتت، وأول ما رجع أخدت منه السجاير وطلعت تاني على فوق، قفلت تليفونها واتصلت بمامتها من تليفوني، وسألتها عليها وقولتها إنها خرجت من بدري رايحالها بس تليفونها مقفول،وطبعا ماماتها قالتلي إنها لسه ماوصلتش وانها اول ما توصل هاتكلمني تطمني، وعلشان أظبط الحكاية بقيت كل ساعة تقريبا بكلمها لحد ما هي كمان قلقت وعلى

الساعه ١٠ بليل قولت لماماتها إني هنزل أعمل بلاغ فى القسم، وعدى ٣ ايام وبعدين المباحث بدأت تتحرك، علشان في بلاغات الاختفاء الموضوع بياخد وقت، عدت شوية أيام وانا بعيد عن الاشتباه خالص وجت المباحث وبصت فى الدفتر بتاع الأمن وشافوا إسمها مكتوب في خانة الخروج، بس لما سألوا بتاع الأمن قالهم انه مش فاكر انها خرجت بس مادام اسمها مكتوب يبقى أكيد خرجت بس هو مش فاكر أوي، ولما سأل رئيس المباحث بتاع الأمن عن أي أصوات سمعها او إن شافني يومها، حكالهم واقعةالسجاير، هنا ظابط المباحث بدأ يشك في الموضوع، وحرز الدفتر وطلب خبير خطوط يكشف عليه واللي أثبت إن الخط اللي مكتوب بيه وقت خروجها قريب جدا لباقي الخطوط لكن مش هو بنسبه ١٠٠ ٪، والمباحث قبضت عليا ووجهتلي تهمة قتلها والبلاغ الكاذب وأنا فضلت أنكر على طول الخط، بس حظي المهبب إن كان في واحد عندنا في العمارة كان مشكوك فيه إنه تبع جماعة إرهابية وأمن الدولة كانت بتراقبه ٢٤ ساعة ومن ضمن المراقبة كان في واحد قاعد قدام العمارة من بره بيسجل كل حاجة بتحصل فيها، ولما الموضوع سمع أمن الدولة حبت توجب مع المباحث فجالهم تليفون إن الست دي ماخرجتش في اليوم دا خالص، ودا أثبت إن ليا يد في الموضوع، وراحت المباحث قلبت الشقة

وقلبت العمارة والمنطقة كلها على جثتها مالقوهاش، الظاهر إن الفحم اللي أنا كنت حاطه حواليها منع ريحتها إنها تطلع، ولما رجعوا يحققوا معايا تاني وبدأوا يسألوني على الجثة اتأكدت إنهم مالقوهاش، فاخترعت موضوع إن الشقة بتاعتنا ساكنها جن وإن أكيد الجن اللي ساكن الشقة هو اللي خطفها وإن أكيد الجن كمان هو اللي كتب اسمها في دفتر الخروج، وإني كنت خايف أجيب سيرتهم علشان الجن ميأذينيش انا كمان، وفضلت ماسك في الموضوع دا لحد ما زهقوا مني وقالو عليا مجنون ومن يومها وانا هنا،ماليش دعوة بحد ولا حد ليه دعوة بيا.

كادت ندى تصرع من هول ما تسمع، وكان هشام هو الآخر في هول شديد مما يحكي الشيطان الجالس أمامه، ولكن كان في فرح شديد أيضا لأنه شعر أن مجهوده لم يذهب سُدًى.

قام هشام في اتجاه حسين وأخرج ذات المحقن مرةأخرى، ولكن تلك المرة كشف غطاء الجهة الأخرى منه وقام بغرسه مرةأخرى وقبل أن يضغط على الزر الآخر نظر إلى عيني حسين، وقال مبتسما:

- أشوفك في السجن يا سحس؟

وفي أقل من دقيقة كان قد غاب حسين عن الوعي فنظر هشام لندى التي مازالت غير قادرة على استيعاب ما حدث، وطلب منها أن تستدعي عبد الوهاب سريعا ليأخذه إلى فراشه وبعد ذلك سيشرح لها كل شيء.

قامت ندى باستدعاء عبد الوهاب الذي قام بدوره بحمل حسين على كتفه بعدما نظر إلى ندى وهو يقول:

- هو الموكوس نام وهو قاعد ولا إيه يا دكتورة؟

وعندما لم يجد من ندى ردا خرج وأغلق الباب خلفه، لتقوم ندى مسرعةعن مكتبها وتذهب إلى الباب لتتأكد من إحكام إغلاقه وتلتفت إلى هشام الذى توجه إلى المكتبة مسرعا وأخرج الكاميرا،وضغط زر إيقاف التسجيل ثم ضغط زرا آخر ليظهر صوت حسين في الخلفية وهو يحكي تفاصيل الواقعة التي قصها، فأغلق عينيه وأخذ شهيقا عميقا من أنفه بعدما تأكد أن كل ماسمعاه قد سجل بالصوت والصورة، أو بمعنى أدق أن ما بين يديه الآن هو اعتراف مصور لقاتل.

(١٢)

طلب هشام من ندى أن تختلق أي عذر لسمير لأن عليهم مغادرة هذا المكان على الفور، وبالفعل هاتفت ندى سمير على الهاتف

الأرضي وأخبرته أنها استقبلت اتصالا يفيد بأن والدتها مريضة وعليها المغادرة فورا، ولم يعترض سمير لأنه يعلم أن ندى مثال للموظف الملتزم الذي لا يتخلى عن عمله إلا في حالات الطوارىء، وتحرك هشام و ندى متجهين إلى إدارة شركةHMF بعدما أجرى هشام اتصالا لفوزي ليعلم أين مستقره الآن؟

وأثناء الطريق كان الفضول يقتل ندى لمعرفة ماهية المادة التي حقن هشام بها حسين، وكان رد هشام أن هذا العقار كل وظيفته هو استخراج الحقيقة من أي متعاطٍ له، أما ماهيته

وتفاصيله وتأثيره سيشرحها لها بالتفصيل حين لقاء فوزي حتى يقوم بالشرح مرة واحدة، ولكن الأهم الآن هو أن عليها التفكير في طريقة لاستخدام هذا التسجيل الاستخدام الأمثل دون وقوع ضرر عليهم.

وبعد حوالي ثلاثين دقيقة، وصل الثنائي إلى إدارة الشركة التي تقبع بإحدى عقارات منطقة مصر الجديدة، وما إن دلفا إلى المقر حتى دخل هشام إلى مكتب فوزي وبصحبته ندى وأغلق الباب خلفه، وطلب منه أن يوجه فتاة الاستقبال لعدم السماح لأي شخص بالدخول عليهم، وبالفعل قام فوزي بتلبية الطلب وسط دهشة عارمة فإن هشام لم يكن يوما بهذا الحرص، فتحرك هشام إلى طاولة الاجتماعات بعدما سحب جهاز الحاسب المحمول (اللاب توب) وقام بتوصيل الكاميرا عليه وطلب من فوزي الجلوس والمشاهدة قبل الشروع في أية حديث، وما إن أنهى فوزي مشاهدة التسجيل وسط صدمة ودهشة وذهول وعدة مشاعر متضاربة أخرى، كور قبضته وضرب بها سطح الطاولة وهو يقول:

- يا ابن الكلب

ثم نظر إلى هشام وتساءل في توتر:

- أنت جبت الفيديو دا منين ومين الواد دا؟

فرد عليه هشام دون شعور مميز ظاهر على وجهه:

- دا مريـض عنـد نـدى في المستشـفى متحـول مـن وزارة الداخليـة للكشـف عـلى سـلامة قـواه العقليـة بعـد مـا وجهتلـه النيابـة تهمـة قتـل مراتـه.

فرد عليه فوزى في تهكم:

- دا مريـض، ويتأكـدوا مـن سـلامة قـواه العقليـة كمـان، دا عـلى كـدا يـا ابـني احنـا الـلي مرضى،بـس تعـالى هنـا انتـوا سـجلتوا الفيديـو دا ازاي،وهـو أصـلا اعـترف الاعـتراف دا ازاي، إيـه ضمـيره صحـي فجـأة؟

فرد عليه هشام ساخرا وهو يقول:

- ضمير، هو اللي زي دا أصلا عنده ضمير.

فانفعل فوزي وقد بدا عليه مزيج من الغضب والفضول:

- طـب مـا تفهمـني يـا هشـام أنـا مـش عـارف أتلـم عـلى أعصـابي مـن بعـد مـا سـمعت كلام ابـن الكلـب دا.

فأخـرج هشـام مـن جيبـه المحقـن، وأمسـكه بـين أصابعـه ووضعـه في مواجهـة فـوزي وهـو يقـول:

- دا هو اللي خلاه ينطق.

فرد فوزي متهكما للمرة الثانية:

- وايه دا بقى ان شاء الله حبوب الصراحة!

فابتسم هشام الذي شعر أنه استطاع تحويل مزحة خاله لحقيقة وقال:

- طول عمري يا خالو بقول إنك أذكى واحد في عيلتنا، دي فعلا حبوب الصراحة بس بشكل مختلف.

فاستشاط فوزي غضبا وقال:

- أنت هاتفضل تلاعبني كدا كتير ولا إيه؟!

فرد هشام على الفور:

- إهدى بس يا خالو وأنا هافهمك كل حاجة.

ثم تحرك خطوتين إلى مكتب فوزي،وسحب ورقةً وقلما وعاد إليه وقبل أن يجلس قال:

- شدي الكرسي دا يا ندى، واقعدي وأنا هافهمكم كل حاجة.

جلس هشام فى مواجهتهم وأمسك بالقلم ورسم تشريحا بسيطا للمخ ثم أشار إلى الفص الجبهي للمخ وقال:

- دا الفص الجبهي للمخ وانتوا الاتنين درستوه وعارفين وظيفته كويس، عندنا في الجامعة لقيت في دراسات كتير معمولة عن المنطقةدي، ومن كتر ما بحثت في التجارب والأوراق العلمية اللي لقيتها اكتشفت إن كلهم أجمعوا إن الجزء دا بيكون نشاطه طبيعي جدا مادام الإنسان مابيعملش حاجة ضد فطرته، وبيحتاج طاقة أكبر لما بيخالف الفطرة دي.

نظر هشام لندى وفوزي وشعر أنه يحتاج إلى تبسيط المعلومة أكثر لأن حالة اللامبالاة التي تعلو وجهيهما تنم عن عدم وصول المعلومة لهما حتى الآن فاستطرد قائلا:

- هابسطها أكثر، مخ الإنسان مصمم إنه يعمل حاجات بشكل طبيعي، زي النظر والسمع والتفكيروالكلام، في حالة النظر مثلا احنا مخنا مصمم على الرؤية العادية للأشياء العادية اللي حوالينا، أو الحاجات اللي تخلينا نعيش يعني،لكن لو جينا في مرة مثلا قعدنا قدام التلفزيون ٥ او ٦ ساعات متواصل بنتفرج على أفلام، هنحس بصداع شديد وممكن يوصل لمرحلةالألم كمان علشان مخنا استخدم طاقة أكبر في استيعاب كم الصور اللي بتدخل له وتتخزن فيه، نفس الموضوع بالنسبة للسمع لو جبنا الهاند فري وفضلنا نسمع في أغاني نفس المدة أو دخلنا ديسكو مثلا أو فرح المزيكا فيه عالية، برده المخ هيستخدم طاقةأكبر هتسبب ألم لو

استمرت، ودا اللي بيحصل معانا بالظبط في حالات التفكير الشديد لأن المخ برضه بيستخدم طاقة أكبر علشان يفكر في حاجات زيادة عن الحاجات اللي بيفكر فيها علشان يعيش، وهنا برضه بنصدع لما بنفكر كتير أو زيادة عن الحد المطلوب.

هنا وقف هشام والتف حول فوزي وندى ووضع يده اليسرى على كتف فوزي ويده اليمنى على كتف ندى،وقال في هدوء شديد:

- حتى الكلام،طول ما احنا بنقول الحقيقة مخنا مش هايحتاج لطاقة زيادة، لكن أول ما بنبدأ نكذب مخنا بيبتدي يولد طاقة زيادة علشان تساعده على الكذب، لو الانسان مخه مقدرش يتحصل على الطاقة دي مش هيقدر ينطق غير الحقيقة، الحقيقةوبس!!

ثم نظر إلى ندى باهتمام وقال:

- ودا بيفسر ليه حسين حاول يتكلم مرتين تلاتة في الأول ومقدرش، هو مقدرش علشان مخه كان بيحاول يوصل لطاقة تساعده على الكذب اللي هو عاوز يقوله، والمصل كان مانع مصادر الطاقة في مخه إنها توصل للفص الجبهي اللي بيكذب عن طريقه، فلما الطاقة موصلتش عقله نساه أصلا إنه عاوز يكذب فنطق بالحقيقة بكل سهولة ومن غير ضغط.

استوعبت ندى ماأراد هشام إيصالهم له، ولكن طبيعة عملها التي جعلتها شديدة الملاحظة دفعتها للسؤال عن شيء آخر فقالت:

- طب ايه المادة اللي أنت اديتهاله في الآخر خلته ينام ؟!

فرد عليها هشام بعد أن مط شفته السفلية إلى الأمام تقليلا من شأن تلك المادةقائلا:

- لا عادي دا مجرد مهدىءقوي، نسخة مطورة من المورفين بتخليه ينام علشان أفصل مخه عن إنتاج الطاقة، وبعد ما هيصحى هيرجع مخه لطبيعته، وممكن ينسى أصلا إنه قال الكلام دا، بس أول ما يشوف الفيديو هيفتكر فعلا إنه قال الكلام دا ومش هيقدر ينكره.

هنا تدخل فوزي في الحديث بعد أن قام من جلسته على طاولة الاجتماعات وعاد إلى مكتبه وجلس على كرسيه وتنهد تنهيدة كبيرة، ثم قال:

- على قد ما أنا فخور بيك وبالإنجاز اللي وصلتله في السن الصغير دا على قد ما أنا بقيت مرعوب عليك.

هنا توجه هشام إليه وجلس على المقعد الموجود أمام المكتب وقال باهتمام:

- طب ليه يا خالو خايف عليا؟! دا اكتشاف هايقلب الدنيا

فرد عليه فوزى في حنق شديد:

- ماهو أنا خايف عليك علشان هايقلب الدنيا.

وسكت هنيهة ثم أكمل حديثه قائلا:

- أنت عارف يا هشام في كام واحد عايش في الأرض بيتمنى وجود مصل زي دا،أنا أقولك، كل الناس اللي عايشةعلى الأرض عاوزاه، أنت متخيل أو مدرك أهميةاللي في إيدك، أجهزة المخابرات عاوزاه علشان تكشف الجواسيس،أجهزة الشرطة عاوزاه علشان تكشف الحرامية وتجار المخدرات وقتالين القتلة، وأصحاب الشركات عاوزينه علشان يشوفوا الموظفين بتوعهم بيشتغلوا ولا بيلعبوا،وأصحاب المحلات عاوزينه عشان يشوفوا الواد اللي شغال عندهم بيسرقهم في الإيراد ولا لا، والأب والأم عاوزينه علشان يشوفوا ابنهم راح الدرس ولا خد الفلوس جاب بيها سجاير ولعب بلاي ستيشن، حتى ابن الكلب اللي قتل مراته دا لو ماكنش شاف المحادثات كان هايبقى عاوزه علشان يعرف هي بتخونه ولا لا.

ثم تنهد تنهيدةأخرى تنم عن خطورة الموقف ثم قال:

- مـن الآخـر يـا ابـني الكـدب هـو القفـل الـلي بنقفـل بيـه صنـدوق أسرارنـا والـلي في إيـدك دلوقـت دا هـو مفتـاح كل صناديق أسرار البـشر الـلي لـو اتفتحـت ممكـن تنهـي الحيـاة عـلى الأرض، وتدمـر العالـم كلـه.

هنا تنبه هشام لخطورة ما يرمي إليه فوزي فقال:

- طـب وليـه نفتـح كل الصناديق،احنـا نفتـح الصناديـق الـلي احنـا عاوزينهـا بـس وسـاعتها هيبقـى المصـل دا مفيـد مـش مضر.

فرد عليه فوزي في استنكار:

- كان نوبـل عـرف يحكمهـا ولا سـيرتورنر الـلي أنـت اعتبرتـه قدوتـك في العلـم، الموضـوع مـش بالسـهولة دي.

فرد عليه هشام بثبات قائلا:

- بـص يـا خالـو، أنـا مقـدر كل الـلي أنـت بتقولـه دا وهانتناقش فيـه بعديـن براحتنـا بـس احنـا عاوزيـن نشـوف هانعمـل ايـه في الفيديـو الـلي معانـا دا الأول، حسـين والـلي زيـه لازم ياخـدوا جزاءهـم ،وسـاعتها هتبـان فايـدة المصـل.

فرد عليه فوزي مقتنعا بكلماته:

- عنـدك حـق ،أنـا هكلـم حـد مـن حبايـبي في الداخليـة وأبعتلـه الفيديـو وهـو هيتصرف،وانتـوا الاتنـين مينفعـش تظهـروا فى

الصـورة خالـص، دا تسـجيل بـدون إذن نيابـة، واسـتخدام عقـار غـير مرخـص، وانـتزاع اعـتراف مـن غـير مختصـين، يعـني شـويه مصايـب تحبسـكوا ٢٠ سـنة، وأنـا قبـل مـا أبعـت الفيديـو هشـوف حـد مـن ال IT عنـدى يكـون أمـين يشـيل أي صـوت او صـوره ليـك أنـت أو ندى،والمهـم مفيـش مخلـوق يعـرف بالـلي حصـل دا غـير لمـا نشـوف الفيديـو دا هيعمـل ايـه بالظبـط، يـلا روحـوا انتـوا دلوقـتي وأنـا هبقـى أكلمكـم.

هـم هشـام ونـدى بالرحيـل بعدمـا أخـبراه بالموافقـة ومـا إن وصـلا إلى بـاب الغرفـة حـتى أتاهـم صـوت فـوزي مـرة أخـرى مـن الخلـف محـذرا هشـام وهـو يقـول:

- هشـام أوعـى تسـتخدم المصـل دا تـاني لحـد مـا نشـوف هنعمـل ايـه، آديـني نبهـت.

فرد عليه هشام بابتسامة ليطمئنه:

- متقلقش يا خالو خلاص.

خـرج هشـام ونـدى مـن المكتـب والتقـط فـوزي هاتفـه لإجراء مكالمـة مـع أحـد القيـادات المقربـين لـه في وزارةالداخلية.

(١٣)

الصدمة الثانية

تجمد هشام في مكانه واتسعت عيناه من هول ما يسمع وكان ذات التأثير تقريبا على نادر بل أشد، فإن ناصر لا يعلم إسم هشام الحقيقي؛ لأن التقديم تم باسم عادل، فكيف عرف إسمه الحقيقي؟!

التفت هشام لناصر وقال في دهشة يتخللها الفضول:

- أنت تعرفني؟

فرد عليه ناصر بملامح جامدة:

- أنا كنت بشوف صورتك كل يوم على مكتب مروان بيه قبل ما نرجع مصر، بس تصدق شكلك ماختلفش كتير عن آخر صورة شوفتها.

هنا هم نادر بالتدخل في الحوار فجنبه هشام بيده في ردة فعل لم يتوقعها نادر لكنه يقدر تمام ما يعصف برأس هشام الآن، اقترب هشام من ناصر وقال بترقب وثبات:

- مروان بيه مين؟

رد عليه ناصر وهو على نفس الحالة:

- مروان بيه السيوفي، أبوك

هنا شعر هشام بدوار شديد وكأن ألف مطرقة تدق على رأسه وترنح جسده للخلف، وقبل أن يسقط كان نادر قد تحرك مسرعا إليه، وأمسك به وأسنده وتحرك به خارجا من الغرفة، وما إن فتح الباب بيده الحرة التي لا يسند بها هشام حتى وجد أمامه فوزي وأيمن اللذان تحركا مسرعين من الغرفة التي كانا مستقرين بها بجانب غرفة التحقيق بعدما رأى فوزي ما حدث وما قيل على لسان ناصر أنه يعرف هشام، ويعرف والده وكان على يقين أن هشام لن يتحمل الصدمة فهرع إليه مسرعا في حالة هو الآخر.

أمر نادر في عصبية وغضب أحد أفراد الأمن الذين كانوا على جنبات الممر المؤدي للغرفة أن يحضر مقعدا بسرعة و بالفعل أحضر فرد الأمن الكرسي وأجلسوا عليه هشام الذي كان واعيا، ولكن شدة الصدمة جعلته يترنح فقط، بدأ الجميع

بالتحدث معه ليتأكدوا من أنه مستفيق، وتقدم أيمن إليه ونحى فوزي ونادر جانبا وبدأ بصفع هشام صفعات خفيفة على وجهه حتى استعاد هشام وعيه الكامل ونظر لفوزي وقال في صوت ضعيف قريب إلى الهمهمة:

- سمعت الراجل دا قال ايه؟

فرد عليه فوزي باهتمام:

- سمعت يا ابني بس والله ما فاهم حاجة زيك بالظبط، أبوك الدكتور رضوان زكريا مش مروان اللي بيتكلم عليه دا.

ثم صمت فوزي فجأة قبل أن يباغته هشام بعدما اعتدل في جلسته تماما وهز رأسه يمينا ويسارا فيشدة ثم قال:

- كمل يا دكتور فوزي، ومات في حادثة عربية زمان وأنا صغير ولا برضه هتقول لي هلاوس سمعية وبصرية نتيجة المهدىء.

ثم قام من على المقعد، واستقام ونظر لفوزي وقال:

- فاكر ولا نسيت يا دكتور، عموما لا ده وقته ولا دا مكانه.

ثم نظر لنادر وقال في ثبات كبير وحزم:

- نـادر بيـه احنـا لازم ندخـل للـواد دا حـالا مفعـول المصـل مـن غـير مـا ياخـد المهـدىء بيبتـدي يـزول بعـد حـوالي سـاعة، وأنـا مـش معايـا جرعـات تانيـة دلوقـتي، وأعتقـد إن المعلومـات الـلي مـع الـواد دا هتحتـاج أكـتر مـن سـاعة.

فرد عليه نادر قائلا:

- بس أنت عارف.

قاطعه هشام فجأة كالذي وجد ضالته قائلا في حزم:

- نـادر بيـه مافيـش بـس، أنـا ربنـا بعتـني هنـا النهـارده علشـان ألاقي إجابـة سـؤال اتسـأل مـن ١١ سـنة وماكنـش ليـه إجابـة.

ثـم نظـر لفـوزي الـذي طأطـأ رأسـه بمجـرد أن تلاقـت عينـاه بعيـني هشـام ولـم يحدثه،ثـم أعـاد النظـر لنـادر وقـال:

- يلا يا فندم مافيش وقت.

ولـم ينتظرهشـام ردًا مـن نـادر وتحـرك تجـاه البـاب وفتـح الغرفـة ودلـف إليهـا، ولحـق بـه نـادر الـذي تيقـن أن هنـاك صنـدوق أسرار كبـيرًا سـيفتح اليـوم ولـذا لـم يعـترض دخولـه ولـم ينتظـر حـتى تعليمـات بالسـماح لـه بالدخـول مـن عدمـه، مـا إن دخـل نـادر حـتى مـد هشـام يـده مغلقـا البـاب مـن الداخـل عـن طريـق المصـك الخـاص بـه (الكالـون)، وسـحب الكـرسي

وأرساه بجوار ناصر وجلس عليه وسط دهشة نادر من الثقة التي انتابت هشام فجأة،والتحول الكبير في تصرفاته التي توحي أنه هو من يقود التحقيق وليس نادر، ولكن كل هذه التجاوزات مادامت ستجدي نفعا سيتقبلها أي ضابط شرطة مادام سيحصل منها على معلومات تفيده فيقضيته.

نظر هشام لناصر بعد أن استطاع أن يواري كل غضبه بداخله،وقرر أن يجاريه في الحديث ليستخرج ما بجعبته وقال مبتسما:

- وبابا عامل ايه يا ناصر ؟

فرد عليه ناصر في هدوء سيسيطر عليه مادام يتحدث وقال:

- ماشوفتهوش من ساعة ما رجعت مصر يادكتور هشام، بس هو كويس لما كلمني آخر مرة قبل ما يتقبض عليا كان كويس ماتقلقش عليه.

فقال له هشام بذات الثبات مع ابتسامة ساخرة:

- لا أنا مش قلقان خالص، بس ماقولتليش يا ناصر قبل ما ترجع منين؟

فرد ناصر في هدوء:

- من إسرائيل.

هنا تجهم وجه نادر وهشام من وقع الكلمة، ونظرا إلى بعضهما البعض ثم شعر هشام بأهمية الوقت فأعاد نظره لناصر قائلا في هدوء:

- هو بابا عايش في إسرائيل؟

فرد عليه ناصر:

- لا، مروان بيه سايب إسرائيل من سنة، من بعد أنت ما اتخرجت على طول؟

فقال هشام مستنكرا:

- دا انتوا كنتوا متابعيني بقى.

فرد ناصر في هدوء أشبه بالخمول:

- صورتك اللي كانت على مكتب مروان بيه كانت بتتغير كل سنة يوم عيد ميلادك، وأنا اللي كنت بصورهالك من غير ما تاخد بالك زي ما كان مروان بيه موصيني، مرة في النادي، ومرة وأنت داخل المكتبة، ومرة في الحوش بتاع المدرسة، ومرة في ساحة الجامعة في ألمانيا، أنا وحظي بقى، قبل عيد ميلادك بيوم لو أنا في أي حتة في العالم كان لازم أجيلك وأصورك وأبعتله الصورة، وهو يشيل الصورة القديمة، ويحط الجديدة.

هنا انتاب هشام شعورغريب لم يستطع تفسيره، ودارت في رأسه عدة أسئلةأتت في غير وقتها: هل أبي حي فعلا؟

هل هذا الرجل هو أبي الحقيقي؟وهل رضوان زكريا المتوفى كان أبي أم أنه اسم مزيف حملته طوال عمري زأم أن هذا الرجل هو رضوان زكريا؟

وإن كان هو، فلماذا تركني؟

وإن كان تركني فلماذا يفعل ذلك،إن كان يحبني لما تركني؟ولماذا تخفي أمي وخالي الحقيقة عني؟

مئات ال»لماذا»تتبلور برأسه، ولكن كان عليه أن ينحيها جانبا ليكمل حديثه.

استجمع هشام ثناياه وعاود الحديث مع ناصر قائلا:

- وكنت بتعمل ايه في إسرائيل يا ناصر؟

فرد ناصر :

- كنت بسلم طلبية الدهب بتاعة كل سنة.

فرد هشام مستنكرا:

- دهب، دهب ايه وكنت بتسلمه لمين؟!

فـرد نـاصر بعـد أن بـدأت بعـض التعبـيرات في تشـكيل وجهـه فأبتسـم وقـال:

- نـص الاحتياطـي الاسـتراتيجي بتـاع إسرائيـل مـن الدهـب مشـترياه مـن مـروان بيـه.

فرد عليه هشام في فضول:

- ومـروان بيـه بيجيـب الدهـب الـلي بيبيعـه لإسرائيـل منين؟وبعديـن لمـا هـو معـاه دهـب كتـير كـدا مباعـوش كلـه مـرة واحـدة ليـه وخلـص؟

فرد عليه ناصر قائلا:

- مـروان بيـه طلـع ٣٨ طـن دهـب مـن منجـم المغارة،وبينقـط إسرائيـل علشـان كل سـنة السـعر بيزيـد اكـتر، وكل طلبيـه وليهـا سـعرها وفي الآخـر هـو المسـتفيد، الدهـب متخـزن فى مـكان مايعرفـوش الجـن الأزرق الـلي لا بيـاكل ولا بيـشرب، فإيـه الـلي يخليـه يبيعـه مـرة واحـدة ويخلـص منـه؟

صعـق هشـام ونـادر مـن المعلومـات الـتى يـدلي بهـا نـاصر ولكـن هنـا تدخـل نـادر فى الحديـث بعدمـا اقـترب مـن نـاصر وقـال في ترقـب:

- بس منجم المغارة دا بتاع فحم مش بتاع دهب.

فرد ناصر ساخرا:

- هـو دلوقـت بقـى بتـاع فحـم بـس يـا باشـا لكـن مـن ١٤ سـنة لمـا كانـت مـصر عاملـه شراكـه مـع شركـة بريطانية علشـان تشـغل المنجـم دا وتاخـد نسـبةواحد مـن المهندسـين اكتشـف مدخـل جانـبي لمنجـم دهـب فبلـغ رئيـس البعثـة وقتهـا مبـاشرة، ورئيـس البعثـة دا بلـغ مـروان بيـه الـلي هـو أصـلا صاحـب الشركـةدي، وطلـب مـروان بيـه مـن رئيـس البعثـة إنـه يـداري عـلى الخـبر تمامـا ويطلـب مـن المهنـدس دا مايفتحـش بقـه لحـد مـا يـنزل مـصر وعرفـت سـاعتها إنـه كان أول مـرة يـنزل مـصر مـن سـاعة مـا سـابها مـن ١١ سـنة، وبالصدفـة كانـت أجـازة العيـد بـدأت والعمـل موقـوف في المنجـم، وجـه مـروان بيـه واتأكـد بنفسـه وطلـب مـن رئيـس البعثـة إن المـكان دا يفضـل سر وإن الشـغل فيـه لازم يكون في الخفـا وفي أوقـات مافيهـاش شـغل في منجـم الفحـم، بس رئيس البعثـة رفـض وكان عـاوز يبلـغ عـن الاكتشـاف لكـن مالحقـش.

ثم صمت ناصر وقال:

- أنا عاوز أشرب مايه.

فرد عليه نادر في غضب:

- هبعـت أجيبلـك مايـه يـا نـاصر بـس كمـل ليـه رئيـس البعثـة مالحقـش؟!

فرد عليه ناصر ببطء:

- علشان المهندس اللي اكتشف الموضوع قتل رئيس البعثة قدام مروان بيه في المنجم علشان يثبت ولائه لمروان بيه واقترح عليه الفكرة اللي خرجت الدهب دا كله من المنجم.

ثم صمت ثانيةوقال:

- يا باشا عاوز أشرب ميه ريقي ناشف.

فأقترب هشام من نادر وقال له هامسا بصوت خافت:

- ممكن يكون من تأثير المصل اطلبله مايه بسرعة.

استطرد هشام في حديثه مع ناصر حتى يطلب نادر المياه له،فاقترب منه هشام وقال:

- وأنت عرفت منين موضوع رئيس البعثة والمنجم، مروان بيه اللي حكالك؟!

فرد ناصر مبتسما:

- أنا المهندس اللي قتل رئيس البعثة، ومن يومها وأنا واحد من دراعات مروان بيه اليمين.

فرد هشام ساخرا:

- أنعـم وأكـرم يـا عـم نـاصر، اه صحيـح مهـو واحـد زي دا مينفعـش يبقـى ليـه دراع واحـد، بـس قـولي ازاي خرجتـوا الدهـب مـن المنجـم مـن غـير مـا حـد يحـس؟

٣٨ طن مش شوية.

فرد ناصر متباهيا بفكرته الشيطانية وقال في فخر زائف:

- ولا حاجـة قولـت لمـروان بيـه يبعـت جـواب رسـمي للحكومـة المصريـة يقـول لهـم إن المنجـم هيتقفـل ٦ شـهور علشـان في تجديـدات في خـط النقـل وفي معـدات جديـدة جايـة مـن بـره، وإن الشركـة مـش هاتحاسـبهم عـلى أي تكاليـف مـن الـلي هاتتعمـل غـير بعـد ٤ سـنين، وطبعـا الحكومـة وافقـت وكانـت فرحانةكمـان، وفي الـ٦ شـهور دول خرجنـا كل الدهـب، ودفنـا المنجـم بتاعـه علشـان مايبقـاش ليـه أثـر وكل النـاس الـلي كانـت معانـا اتراضـت، ومـروان بيـه جابلهـم عقـود عمـل بـره مـصر كمـان علشـان يضمـن إنهـم يفضلـوا مرتاحـين وماحـدش يفتـح بقـه، ماهـو النـاس مابتتكلمـش غـير لمـا بتجـوع يـا دكتـور طـول مـا همـا شـبعانين يبقـوا سـاكتين.

بـدا عـلى وجـه هشـام الغضـب مـن الكلمـات الـتي لا تتـم إلا عـن شر مقيـت وبغيـض لا يمكـن أن يسـكن بداخـل بـشر ولكـن الفضـول مـازل مسـتمرا؛ لذلـك فالحديـث مـازال مسـتمرا.

دخـل فـرد أمـن كان قـد أمـره نـادر بإحضـار الميـاه وكان يحمـل كوبـا فارغـا وقنينـة ميـاه وضعهـم أمـام نـاصر وانصرف،فلـم يبـال نـاصر للكـوب وأمسـك القنينـة ورفعهـا إلى فمـه ولـم تفـارق شـفتيه إلا وهـي فارغـة، فوضعهـا أمامـه بعـد أن أفرغهـا وصمـت مرةأخـرى، فباغتـه هشـام قائـلا:

- والدهب اللي فاضل فين دلوقت يا ناصر؟

فرد ناصر بابتسامة ساخرةقائلا:

- ما أنا قولتلك يا دكتور، الجن الأزرق مايعرفش مكانه.

رد هشـام وهـو عـلى يقـين أن نـاصر لا يملـك إجابـة ذلـك السـؤال: فاسـتطرد قائـلا:

- ومروان بيه بيشتغل في ايه تاني يا ناصر؟!

فرد ناصر بعد أن عاد إلى مرحلة الهدوء السابقة:

- أنـا كنـت المسـئول عن الشـغل الـلي بيخلص في مصر، الشـغل الـلي أنـا بخلصـه لمـروان بيـه كان الدهـب والأعضاءالبشريـة، ولـم الـدولارات مـن السـوق وتهريبهـا ،لكـن بيشـتغل في ايـه تـاني ماعرفـش.

رد هشام في حنق وتهكم قائلا:

- دول كفايـة أوي يـا عـم نـاصر، بـس قـولي هـو مـروان بيـه فـين دلوقـت؟

رد ناصر بهدوء جم:

- مالطا.

لاحـظ هشـام أن هنـاك خيطـا رفيعـا مـن الدمـاء بـدأ يسـيل مـن أنـف نـاصر فأيقـن أن فصـه الجبهـي قـد رفـع درجـة حـرارة رأسـه مـن كـثرة المقاومـة، فأخـرج المحقـن المـزدوج مـن جيبـه وأدار بكرتـه وغرسـه في يـد نـاصر وقـال:

- هنتقابل تاني يا ناصر.

ومـا هـى إلا ثـوان معـدودة حـتى شرع المهـدىءفي التدفـق لشرايـين نـاصر وأفقـده الوعـي، ومالـت رأسـه للأمـام فارتطمـت بالمنضـدة الـتي أمامـه، وغـاص في سـبات عميـق.

(١٤)

خـرج هشـام ونـادر مـن الغرفـة وتوجهـا إلى غرفـة المراقبـة القابـع فيهـا كلٌ مـن فـوزي واللـواء كمـال والعميـد أيمـن، ومـا إن دلفـا للغرفـة حـتي سـاد الصمـت فالموقـف الآن حـرج وغـير متوقـع عـلى الاطـلاق، جلـس نـادر وبجـواره هشـام في مواجهـة فـوزي وأيمـن وبـدأ هشـام في الحديـث لفـوزي مهاجما إيـاه قائلا:

- عند حضرتك أي تفسير للي سمعناه كلنا دا؟

فرد فوزي في توتر:

- لا يـا هشـام ماعنديـش تفسـير، وزي مـا قولتلـك والـدك اسـمه رضـوان زكريـا كان دفعـتي وصديقـي وكان دكتـور جراحـة عامـة، ومـات بعـد ولادتـك بسـنة في حادثـة عربيـة، ولا أنـا ولا أمـك حضرنـا جنازتـه أو حـتى دفنتـه علشـان أسـباب ماينفعـش

تتقال هنا، والراجل اللي ناصر دا بيتكلم عليه أنا ماعرفوش.

هنا تدخل اللواء كمال في الحديث بهدوء ينم عن تقديره للموقف الشائك الذي يحضره الآن فقال:

- دكتور فوزي، انا مقدر الموقف تماما بس الوضع الحالي بيفرض علينا كلنا إن أي حد عنده معلومة أكيد هتكون مفيدة للتحقيق حتى لو كانت معلومة شخصية وحضرتك شوفت كم المصايب اللي بيعملها مروان دا في البلد.

رد فوزي بعد أن تجهم وجهه وقال:

- يا كمال بيه انا لو عارف إن السبب اللي خلى رضوان يخرج من حياتنا هيفيد في أي حاجة دلوقت كنت هقوله بس انا متأكد انها ملهاش لازمة، يا ريت ماتضغطش عليا أكتر من كدا.

هنا تدخل هشام مهاجما فوزي للمرة الثانية، متحدثا إلى كمال:

- الظاهر إن دكتور فوزي مش عاوز يتكلم في وجودي، وعاوز يفضل مكمل الكدبة اللي كدبوها عليا هو وأمي من سنيين،كمال بيه أعتقد إن وجودي ملوش لازمة على الأقل دلوقتي،بستأذن حضرتك إني أمشي ولو وصلتوا لأي جديد

هاكـون سـعيد لـو عرفتـه ولـو احتاجتـوا مسـاعدتي تـاني أنـا تحـت أمركـم.

هنـا شـعر كمـال ان السـماح لهشـام بالانـصراف سـيكون مفيداأكـثر مـن وجـوده، لعـل مـا يخفيـه فـوزي يكـون طرفـا لأول الخيـط الـذي سـيوصلهم لهـذا الشـبح المسـمى مـروان السـيوفي،وبالفعل قـام كمـال مـن جلسـته ومـد يـده لهشـام وقـال:

- طبعـا تقـدر تمـشي في أي وقـت وتشرفـني في أي وقـت يـا دكتـور هشـام، وانـا بشـكرك بشـكل شـخصي عـلى المعلومـات الـلي وصلنالهـا بسـببك وبسـبب اكتشـافك العظيـم، وأوعـدك يـا ابـني إن أي حاجـة أقـدر أسـاعدك بيهـا مـش هـتردد لحظـةإني أقدمهالـك.

مد هشام يده لكمال مصافحا إياه وقال في أسى:_

- شكرا يا فندم.

ثـم نظـر لفـوزي نظـرة لـم يعهدهـا فـوزي عـلى وجهـه مـن قبـل، نظـرة عـدم ثقـة وشـك وحـزن، نظـرة مفادهـا أنـك خدعتـني وأخفيـت عـني الحقيقةوغـادر هشـام ولـم ينطـق بكلمـة واحـدة فـإن تلـك النظـرة

قالت كل شيء دون حاجته للنطق.

صاحبه نادر لأعلى وهم أن يأمر أحد معاونيه بتجهيز سيارة لنقل هشام إلى أي مكان يريد فرفض هشام وشكره وأخبره أنه سيستقل سيارةأجرة كما أخبره أنه سينتظر منه مكاملة هاتفية بأي وقت إذا توصلوا لأي جديد،وانصرف هائما لا يعرف وجهته.

استقل هشام سيارة أجرة وعندما سأله السائق عن وجهته قال له في صوت حزين شارد:

- التجمع.

تحركت السيارة وتحركت معها كل المشاعر الدفينة داخل هشام ،ينظر للأبنية والعقارات التي تمر بجانبه وكأنه يشكو إليها همه، هائما بين أفكاره، مطاردامن كل الأسئلة التي اختارت فجأة أن تخرج من مخادعها الساكنة في عقله وتطفو على السطح، سطح عينيه!!

لا يعرف وجهته، حتى أنه لا يعرف لماذا أخبر السائق أن يذهب للتجمع، فكل ما يعرفه أنه لا يريد الذهاب للمنزل، لا يريد أن يرى أمه أو يصطدم بكذبها، لا يريد أن تتهدم كل الأشياء الجميلةفي حياته فجأة، يخشى أن يفقد أضلع المربع الذي يمثله، ولكن عقله قرر أن لا مفر من ذلك، لا مفر من المواجهة.

وصل هشام للمنزل وأعطى السائق مستحقاته ودلف للعقار وهو يقدم قدما ويتراجع بأخرى فهو مازال لا يملك الشجاعة، شجاعة مواجهة أمه، فاستجمع قواه ودلف لشقته فوجد أمه تجلس في غرفه الاستقبال وتمسك بيدها القرأن الكريم، وما إن رفعت عينيها ورأته حتى ختمت قراءتها ونظرت لهشام في حب جم وقالت:

- حمدالله على السلامة يا حبيبي.

فنظر إليها هشام وقال بملامح متوترة:

- الله يسلمك.

ردت عليه منى في قلق إثر ما رُسم على وجهه من حنق:

- مالك يا هشام وشك مخطوف كدا ليه؟!

فرد عليها هشام بعد أن حاول تغيير ملامح وجهه وقال:

- لا مفيش

ثم اقترب منها هشام في خطوات بطيئة وقد قرر أنه سيفعل ما لم يكن يتوقع حتى أن يفكر فيه يوما، هشام كذب بشأن جرعات المصل عندما أخبرهم أنها انتهت، فمازال محقنه يحوى جرعتين أو ثلاث.

جلس هشام على الأرض بجوار قدمي أمه وأمسك بيدها وقبلها بعد أن ذرفت عيناه دمعتان عنوة، ومد يده لجيبه وقبل أن يخرج المحقن باغتته أمه -بعين دامعة بعدما شعرت بما سيقوم به هشام-قائلة:

- من غير حقن يا هشام المرة دي لو سألتني مش هاكدب عليك .

هنا صعق هشام؛أولا من أن أمه على دراية بالمصل، وثانيا أنها علمت غرض هشام من وضع يده في جيبه، فقال في أسف:

- نسيت إن أكيد دكتور فوزي كلمك، أنا آسف يا أمي.

فردت منى بعيون دامعة فقد حانت لحظة فتح الصندوق الذي أغلق لسنوات:

- خالك لسه قافل معايا، أولا اسمه خالو زي ما طول عمرك بتناديه لأني مش شايفة سبب لهجومك عليه، ثانيا أنا أوهو لو كنا خبينا عليك حاجة زمان أو حتى كنا لسه مخبينها فدا علشان مصلحتك أنت،علشان ماتتكسرش وتعيش طول عمرك بشرخ كبير جوه روحك محدش هايعرف يرممه ولا حتى أنت.

فرد هشام متهكما على غير عادته في الحديث مع أمه:

- مـع إنـه نفـس الـكلام الـلي بشـوفه في كل فيلـم أو بقـرأه في أي روايـة بيكـون فيهـا البطـل قصتـه زي قصـتي كـدا، بـس مـاشي يـا ماما أعتقـد جـه الوقـت الـلي تصارحيـني فيـه بـكل حاجـة وأهمهـا يـوم القيامـة هينـادوا عـلى اسـمي هشـام مـروان،ولا هشـام رضـوان.

فردت منى وقد ازدادت دموعها وقالت:

- مـع إنـك بتهيـني لأول مـرة في حياتـك بـس أنـا مقـدرة الـلي أنـت فيـه، بـس تقديـري دا هينتهـي بمجـرد مـا احكيلـك عـلى كل حاجـة، سـاعتها يـا ترجـع هشـام ابـني الـلي ربيتـه يـا هاخـرج مـن حياتـك للأبـد.

هنـا حاولـت مـنى تمالـك أعصابهـا وأوقفـت بكاؤهـا عنـوة، ومسـحت عبراتهـا بيدهـا وأقسـمت قسـما داخليـا أنهـا لـن تخفـي شـيئا عـن ابنهـا بعـد الآن حـتى وإن كان مـا سـتقصه سـيزلزل كل ثوابـت هشـام السـابقة، وبـدأت في الحديـث.

(١٥)

الصدمة الثالثة

تنفست منى الصعداء وبدأت بقص تاريخ مضى كانت تظن أنه دفن في تابوت لن يخرج منه أبدا، وبدأت بقولها أنها كانت فتاة حالمة تملؤها البهجة ويداعبها السرور، وكانت تعيش مع أبيها وأمها و أخيها الأكبر، حياة هادئة لا يعكر صفوها شيء،ومرت الأيام وكبرت، وكبر بداخلها حلم الحب الصادق الذي كانت دوما تراه في الأفلام وتقرأ عنه في الروايات، حتى دخل حياتها (رضوان) صديق أخيها فوزي الذي تعرفت عليه في بداية المرحلةالثانوية، وأصبح كثير التردد على منزلهم، وأصبح يقترب من فوزي ومن عائلتها كل يوم أكثر مما سبقه، وحتى عندما تفرقا في مرحلة الجامعة والتحق أخوها بكلية الصيدلة، والتحق رضوان بكلية الطب

لـم تهـتز صداقتهمـا، فكانـا يتقابـلان بشـكل دوري وباسـتمرار، وكان أبوهـا وأمهـا يعتبرونـه أخاهـم الثالـث.

كانـت في حالـة انبهـار بشـخصيته ووسـامته وعقلـه المتفتـح، وشـعرت أن الـداء المسـمى بالحـب قـد أصابهـا بفـيروس خـرج منه وسـكنها، وبـدأ في التحـول حـتى تمكـن منهـا، وكانـت تشـعر أنـه يهتـم بهـا هـو الآخـر، حـتى أتى أول أيامهـا في الجامعـة وعندمـا همـت بالـنزول مـن المـنزل وجدتـه بانتظارهـا بالأسـفل وأخبرهـا أنـه قـد أفـرغ يومـه خصيصـا لهـا حـتى يصحبهـا في أول أيـام حياتهـا الجديـدة بالجامعـة، وبالفعـل قضيـا اليـوم بأكمله سـويا، تحدثـا في أشـياء كثـيرة عنـه وعنهـا حـتى حانـت لحظـة فقـدت فيهـا السـيطرة عـلى لسـانها فانطلقـت منهـا كلمـة تحطمـت بعدهـا كل الحواجـز عندمـا اعترفـت لـه بحبهـا لـه الـذي كان يكـبر داخلهـا كل يـوم منـذ ثـلاث سـنوات، نطقتهـا ومـا كانـت تعلـم ردة فعلـه، ولا حـتى كانـت تنتظرهـا، فقـد تخلصـت مـن جبـل كان يضغـط عـلى قلبهـا بشـدة، فمـا كان سـيحدث بعدهـا كانـت غـير مباليـة بـه، إمـا أن يتحـول هـذا الجبـل إلى كهـف بداخلـه منجـم حـب وسـعادة وسرور، أو ينفجـر مـن داخلـه بـركان يحرقهـا ويحـرق كل معتقـد رسـخ في ذهنهـا في الأعـوام السـابقة عـن حبهـا لـه، ولكـن الغريـب في ردة فعلـه أنـه أخبرهـا أن عليهـم الذهـاب للمـنزل الآن لأنـه تذكـر أمـرا هامـا عليـه القيـام به،فشـعرت بالخـزي وشـعرت أنـه

غير مبالٍ بما قالت له وانسحبت بهدوء وأخبرته أنها ستعود للمنزل بمفردها، وما إن وصلت حتى دلفت لغرفتها ،انتابتها نوبة بكاء شديدة انتهت بالنوم ،استيقظت منها على صوت أخيها وهو يوقظها ويخبرها أنه يريد التحدث معها في أمر ما، وأن عليها إتمام إفاقتها واللحاق به في غرفته،وبالفعل استعادت كامل وعيها وذهبت اليه وإذ به يخبرنها أن رضوان تحدث معه بشأنها وأخبره أنه يريد الارتباط بها رسميا، لكنه لن يقدم على المجىء للمنزل والحديث مع أبيها إلا إذا حصل على موافقة مبدئيةمنها،هنا علمت أنها أحبت شخصا احترمها قبل أن يحترم نفسه بعدم إخبار أخيها عما دار بينهما وما أخبرته به، وأخبرت أخاها بموافقتها، وهو بدوره أخبره بردها.

وأتى للمنزل وتحدث لأبيها وتمت الخطبة،وشعرت حينها أن سعادتها قد اكتملت ولن تنقص للأبد، ومرت السنوات وتزوجا بعد تخرجها مباشرة لأن أباها اشترط ذلك» لا زواج قبل التخرج «وكان رضوان حينها قد تخرج وتم تعيينه بأحد المستشفيات الحكومية براتب بسيط، وكانت الأمور المادية متوسطة الحال ليسوا بأغنياء ولا فقراء، ولكنه كان يؤمن أن الوظيفة تقيهم الفقر ولكنها تمنعهم من الغنى، فقد كان طموحه وشغفه أن يصبح من الأغنياء ولا مثيل له فبحث عن عمل في إحدى المستشفيات الخاصة وتم تعيينه بسهولة؛ لأنه

كان طبيبا ماهرا رغم صغر سنه فكان دائما الأول على أقران صفه الدراسي طوال فترة دراسته،وهذا ما جعل منه مبتغى لكثير من المستشفيات الخاصة ومر عام كامل قبل أن تبشَّر منى بحملها الأول،وما إن حدث حتى تملكها الفرح والسرور لأن ما بينهما من حب سيكلل بطفل جميل، يمنحانه الحب والاهتمام ليردهما إليهما فخرا وعزة عند نجاحه في المستقبل، ولكن بخلافها كان رضوان الذي كان على اعتقاد أن الأطفال في بداية العمر مسئولية ليس مستعدا لها،وبدأت الخلافات بينهما حول رغبته في إجهاض الطفل، وعندما هددت بتركها للمنزل رضخ للأمر الواقع ووافق على استكمال الحمل أو أن هذا ما كانت تتوقعه بعدما بدأ الاهتمام بها وبصحةطفلها وكان دائم الاصطحاب لها لعيادة أحد أصدقائه المتخصصين في الأمورالنسائية حتى أتى يوم الوضع وأخبرها أنهما سيذهبان لعيادة صديقه لتضع مولودها هناك وأنه قد أتم استعداداته وتجهيزاته وفي انتظارهما.

طلبت منه أن تتصل بأخيها ليكون معها فرفض وأخبرها أنه لا داعى أن نسبب له القلق، وأنه فور وضعها والاطمئنان على صحتها سيتصل به فورا، فقد كان أخوها هو أسرتها الوحيدة بعد وفاة أبيها وأمها تباعا، وبالفعل تم الوضع وكانت مرهقة جدا ومتعبة إثر الوضع الأول ورأت ابنتها

الجميلة بعينيها كأنها ترى ملاكا خرج من رحمها يبتسم لها، أخذ رضوان الطفلة هو وصديقه وأخبرها أنها لابد أن تدخل الحضانة بسبب نسبة الصفراء وأن هذا سيستمر يوما أو يومين على الأكثر، فوافقت منى على أمل أنها ستلتقي بها مجددا بعد عدة سويعات حتى دخل رضوان الغرفة في المساء وبصحبته أخوها وبعد تمهيد طويل أخبرها أن ابنتهما توفاها الله، انهارت أعصابها وظلت تصرخ وتولول، وساءت حالتها الصحية لفترة حتى بعد خروجها من العيادة وذهابها إلى المنزل، ومكثت على هذا الوضع لأسابيع، كان يشعرها في تلك الأسابيع بالإهتمام، ولكنها لاحظت تغيرا في أمور كثيرة لم يعلم هو أنها لاحظتها، فوجدته انقطع عن الصلاةتماما، وبدأ في قراءة كتب كثيرة لم ترها في منزلهم من قبل وعندما تصفحت أحدها ذات مرة وجدت كل ما به ينكر وجود الله والذات الإلهية، وعندما واجهته بمحتواها أخبرها أنها للاطلاع فقط، وأنه يقرأها ليكتشف هذا العالم الذى بدأ ساكنوه في التزايد بكميات كبيرة، وهو عالم الإلحاد، لم تجادله كثيرا فحزنها على ابنتها التي رأتها مرة واحدة فقط لم ينته بعد، ولكنه قرر أن ينهيه عندما طلب منها أن تمتنع عن تناول حبوب منع الحمل ليرزقا بطفل آخر، عندما طلب منها هذا الطلب شعرت بريبة على عكس ما هو المفترض من أن تشعر

بالسعادة، ولم تجد داخلها سببا مقنعا لهذه الريبة ولكنها أتت وكان عليها التعامل معها وإخفاءها.

وبالفعل حدث الحمل وبدأت بالتردد على عيادة صديقه مرةأخرى بصحبته حتى جاء يوم كان هو غير موجود فيه بالقاهرة،وأخبرها أن تذهب للمتابعة وحدها، ولأنها لم تعتد على ذلك هاتفت أخاها وأخبرته أنها تريده أن يصطحبها وبالفعل وافق أخوها وحضر في الموعد المطلوب.

كانت قد أتمت شهرها السابع، وما إن انتهيا من الكشف وغادرا العيادة وأثناء هبوطهم لأسفل أتت إحدى الممرضات مسرعة وسألت فوزي عن صلة قرابته بها فرد عليها وأخبرها أنه أخوها الوحيد، فطلبت منه رقم هاتفه لأمر هام لا تستطيع الإفصاح عنه هنا،وبالفعل أعطاها فوزي الرقم وانصرفا دون أن تعطي للأمر بالأهمية،

وحل موعد ولادتها وكالعادة طلبت وجود أخيها، وكان رد رضوان المعتاد أنه فور الانتهاء سيخبره بالأمر، وأدخلت غرفة الولادة ورأت تلك المرة رزقها الأول من الذكور، ولكن للمرة الثانية يطلب منها ذات الطلب وهو أن يأخذ ابنها ليوضع في الحضانة، ولكن تلك المرة لم تكن كمثيلتها، فبعد خروجهم بأقل من عشر دقائق سمعت صياحا وأصواتا متضاربة عالية،

والـتي توحـي بمشـاجرة تجـري في الخارج،ولكنهـا سـمعت صوتـا تسـتطيع تميـيزه وسـط ألـف صـوت متداخـل فقـد كان صـوت أخيهـا فـوزي، وبعدهـا مبـاشرة دلـف للغرفـة وهـو يحمـل ابنهـا بـين ذراعيـه ويقـول:

- لا تجعليـه يفارقـك أبـدا، هيـا بنـا مـن هنـا، وعندمـا بـدأت تسـأل عـن هـذا الهـرج والمـرج أسـكتها وقـال لهـا: لـن نتحـدث هنـا.

وبالفعـل كانـت هنـاك سـيارة إسـعاف أسـفل العقـار الـذي تتواجـد بـه العيـادة في انتظارهـا لتعيدهـا إلى المـنزل وكان معهـا فـوزي حينها،وعندمـا سـألته عـن رضـوان قـال لهـا:

- أخبرتك أن لنا منزلا نتحدث به.

ولكـن الغريـب في الأمـر أنـه أخذهـا لمنزلـه وليـس لمنزلهـا، وعندمـا اسـتراحت مـن عنـاء التنقـل وهـي لـم يمـر عـلى ولادتهـا سـوى عدةسـاعات طلبـت مـن فـوزي أن يخبرهـا مـا حـدث وكان مـا تسـمعه منـه لا يتحملـه بـشر ولا يسـتطيع تصـوره إنسـان فقدأخبرهـا أن الممرضـة الـتي أخـذت منـه رقـم الهاتـف أخبرتـه أن الفتـاة الـتي وضعتهـا منـذ أكـثر مـن عـام، لـم تمـت ولكـن تـم بيعهـا لأحـد السـيدات مـن أثريـاء العـرب نظـير مبلـغ مـالي كبـير لا تعـرف قـدره، وأن هـذا الأمـر قـد تكـرر كثـيرا مـع عـدة أشـخاص في

تلك العيادة ولكن تلك المرة قد شعرت أن الأم لا تعلم شيئا مما حدث عندما سمعت رضوان وصديقه يخبرانها أن الفتاة قد ماتت، وأخبرت الممرضة فوزي أيضا أنها على يقين أن هذا الأمر سوف يتكرر مرةأخرى مع هذا المولود أيضا، ولكن اختفاءه سيكون بعذر آخر غير الوفاة أو حتى ذات العذر إن شعروا أنها ستصدقه، وقال لها فوزي أنه نهرها بشدة، ونعتها بالكاذبة ولكنها قالت له أنها في يوم الولادة سوف تتصل به فور وصول منى، وعليه أن يبقى أسفل العقار وحين وصول المشترى ستبلغه فورا ليرى كل شيء بعينيه، وبالفعل عندما حضرت السيدة التي كانت ستتمم الصفقة هاتفته وحضر ورأى تلك السيدة وهي تحمل إبن منى بين ذراعيها كأنها تملكته، وما إن رأى رضوان فوزي حتى توتر وعندما واجه فوزى السيدة لم تنكر وقالت أنها لم تسرق شيئا، ولكنها تشتريه بعلم والده،فلماذا ستنكر؟!

ولكن الغريب هو عدم قدرة منى على الاعتراف بما تسمع، وعدم قدرتها على تصديقه، وهو ما دفعها لنعت أخيها بالكاذب الملفق،وأن كل ما قصه عليها ما هو إلا افتراء وتدليس، وطلبت منه أن يعيدها لمنزلها فورا وأن لا يتحدث معها ثانية، وأن ينسى أن له اختا من الأساس،وبالفعل غادرت لمنزلها ولكن أثناء فتحها لباب المنزل وجدت مظروفا مغلقا

فالتقطه بيدها ودخلت للمنزل، وما إن دلفت وفتحت المظروف حتى وجدت أنه خطاب مرسل من البنك لرضوان،وكان يحوى الخطاب بين تفاصيله رصيد رضوان في البنك، الرقم الذي جعلها تصدق مما لا مجال فيه للشك ان أخاها لم يكذب عليها في حرف مما قاله، فكيف لطبيب ممارس أن يحصل على حساب بنكي يحوي بداخله عشرة ملايين جنيه؟!

هنا لم تستطع كلمات الأرض في كل لغاتها أن تصف ما بداخها من حسرة وقهر وظلم وكراهية لهذا الرضوان، أو كما يجب أن يطلق عليه هذا الشيطان الذي باع ابنتها وابنته للحصول على بعض النقود، فقدت وعيها تماما وما إن أفاقت حتى وجدت أخوها بجانبها فقد أصر على إيصالها للمنزل حتى لو كانت تلك آخر مرة يراها فيها، ولكنه قال حينها أنه لن يتركها تذهب لمنزلها بمفردها، وهو من كان بجوارها لحظة دخولها المنزل، ولحظة رؤيتها لخطاب البنك، وما إن فتحت عينيها ووجدته حتى شرعت ببكاء يصحبه نحيب بكى على إثره ابنها وهو بين ذراعيها كأنه يخبرها أنه من الآن فصاعدا هناك من سيحزن لحزنها ويفرح لفرحها ويرعاها.

ارتميت بين أحضان أخيها - وهي غير متمالكة لنفسها من كثرة البكاء - في عناق طويل كأنه يسحب كل ما بداخلها من خوف وحزن وقهر ويستبدلها بالأمان والسلام، وما إن انتهى

العناق حتى قبل أخوها يدها وأقسم انه لن يجعلها تحزن مرة أخرى وأنها منذ تلك اللحظة مسئولة منه مسئولية كاملة، وأنه لن يسمح للحزن أن يقترب منها ثانية، وبعد أن هدأت قليلا أخبرها أنه سيذهب لمنزله ليحضر زوجته لتقيم معها تلك الفترة وتقوم على خدمتها حتى تسترد عافيتها، وأنه لن يتأخر عليها وسيعود فورا. وما إن خرج فوزي حتى رن جرس الهاتف، وما إن رفعت السماعة حتى وجدته هو «الشيطان» كان يبكي بندم، ويطلب السماح والعفو والمغفرة وقبل أن تغلق الهاتف قالت له: أنها لو رأته مرة أخرى ستقتله، وأن ابنتها التي باعها سوف تعيدها مرة أخرى ولو بكنوز الأرض، وكانت تلك آخر مرة سمعت فيها صوته، كان يبكي وينتحب، وما سكن داخل عقلها من صوت له في كل تلك السنوات هو صوت بكائه فقط،

وعندما عاد فوزي أخبرته بما حدث وقال لها أنه في الصباح سيذهب للنيابة العامة ويقدم بلاغا للسلطات حتى يتقصوا الحقائق حول موقع ابنتها، ويتم القبض على رضوان والطبيب شريكه والتحقيق في جرائمهم التي لابد أنها امتدت أبعد من ابنتها، وبعد يومين جاءتهم مكالمة هاتفية من قسم الشرطة تفيد بوفاة رضوان في حادث سيارة فجر اليوم وبصحبته أحد أصدقائه،حينها ساعتها انتابها شعور متضارب

بين أن الله قد انتقم لها وأن رضوان الآن يحرق في نار جهنم عن ما اكتسبت يداه، وبين أنها كانت تتمنى أن تقتله هي بيدها بعد أن تعرف كل التفاصيل عن مكان تواجد ابنتها، ولكنها رضخت للأمر الواقع وشكرت الله على انتقامه السريع، وعلمت بعد عدة أيام من رفضهم لاستلام جثته أنه دفن في مدافن الصدقة لعدم وجود أي شخص يقوم باستلام جثته، فقد كان وحيدا وكان أبواه متوفيين منذ سنين، ومنذ ذلك الحين قررت أن يبقى هذا سرا بينها وبين أخيها لا يعلمه سواهما بعد الله، وبعد محاولات عدة - للوصول لأية معلومة تخص ابنتها - باءت كلها بالفشل استعوضت الله، وأصبح همها الأول والأخير هو ابنها، ابنها فقط، ابنها الذى سيعيش كارها لأبيه الذي لم يره من قبل ولكنه علم بخطاياه؛ لذا آثرت أن لا تخبر ابنها بشيء حتى يكبر أمام عينيها بروح سليمة لا يشوبها ألم العار ولا تتغصها ذكريات البغض والكراهية.

وما إن انتهت من قص الماضي وسرده نظرت لهشام وقالت في أسى:

- هذا هو سري الذي أقسمت على اخفائه، ولكن الله أذن له بالإفشاء.

(١٦)

كان هشام يسمع كلمات منى وهو جالس عند قدميها، يبكي بدموع حارةساخنة، بكاؤه كان على ظلمه لأمه وليس لمعرفته حقيقة أبيه، بكاؤه كان لأنه طوال حياته لم يقدر أمه حق قدرها،- بكاؤه كان لشعوره بالذنب أنه فكر ولو لمرة أن يظلمها أو يقسو عليها.

ارتمى هشام عند قدم أمه يقبلها،ولكنها لم تسمح له بذلك ورفعته بيدها لأعلى وعانقته وهي تبكى بشدة هي الأخرى، كأن كلا منهما تبادل موقعه مع الآخر،فألقت منى مابقلبها من ثقل ليلتقطه منها هشام ويضعه بقلبه، كان مشهدا قاسيا على كليهما ولكن تحتم وقوعه حتى يعلم هشام حقيقة ما هو مقبل عليه أولا، وحتى يعلم قيمة المرأة التي تحملت كل شيء لتصل به لبر الأمان .

كان هشام يردد كلمة واحدة أثناء بكائه:

- سامحيني يا أمي،سامحيني.

وكانت رد منى دوما:

- أنا عمري ما زعلت منك علشان أسامحك يا ابني.

رن جرس الباب لينهي ما يحدث، قام هشام من جلسته وقبل يد أمه ثانية وذهب ليفتح الباب فوجد فوزي أمامه.

عانقه هشام عناقا طويلا بعد أن عاد للبكاء مرة أخرى، فها هو إنسان آخر ظلمه هشام عندما شك به، وكان هشام يطلب منه هو الآخر العفو على ما بدر منه تجاهه،وكان فوزي يربت على ظهره وهو معانقا إياه،ويقول:

- كنا خايفين عليك لما تعرف، بس أنت راجل يا ابني، راجل أنا فخور إني ربيته وكبرته قدام عيني.

ثم أخرج فوزي هشام من بين ذراعيه وأمسك بوجهه بين كفيه وقال مداعبا له:

- بطل عياط بقى لأحسن أمك تقفش عليك، أنت ناسي الطقوس ولا ايه؟!

هنا ابتسمت منى التي سمعت كلمات أخيها وقالت:

- ادخلوا من على الباب الأول وابقوا هزروا براحتكم.

هنا أكمل فوزي مداعبته قائلا:

- هوبا، خدنا مخالفة كدا يا معلم، يلا تعالى.

دلف كل من فوزي وهشام إلى غرفة الاستقبال بعدما قام فوزي بإغلاق باب المنزل خلفه وجلسا بصحبة منى وبدأ فوزي بالحديث:

- ننسي اللي فات بقى يا هشام بحلوه وبمره علشان نشوف هنعمل ايه في اللي جاي،الموضوع مش بسيط والراجل اللي بيقول إنه أبوك دا محدش يعرف عنه حاجة غير البلاوي اللي أنت سمعتها.

رد عليه هشام بعدما تماسك تماما:

- أنت حكيت ليهم في الجهاز اللي حصل زمان، أقصد اللي ماما حكتهولي يعني.

فرد فوزي ساخرا:

- هما دول يا ابني حد يعرف يفلت منهم، حكتلهم طبعا كل حاجة، ولما عرفوا الموضوع قدروا ليه ماكنتش عاوز أتكلم قدامك، واستبعدوا نقطةإني عندي معلومات وكنت عاوزأخفيها عنهم، وصدقوا إن الموضوع شخصي بحت، ودا اللي خلاهم

بلغـوني إنهـم هيبقـوا عـلى اتصـال بينـا اليومـين الجايـين لـو وصلـوا لأي حاجـة.

هنا تدخلت منى في الحديث متسائلة بطيبة وبراءة:

- طـب همـا مـش معاهـم صـورة ليـه نقـدر نعـرف منهـا هـو رضـوان ولا لا؟!

رد عليها فوزي يائسا:

- صـورة ايـه بـس يـا مـنى، دا شـبح محـدش يعـرف عنـه حاجـة، حـتى الموبايـل بتـاع الـواد الـلي اتمسـك طلبـت منهـم إنهـم يجيبـوه وأنـا أشـوف الصـور الـلي عليـه عـلى أمـل إني ألاقي صـورة لرضـوان، دا لـو طلـع فعـلا عايـش وطلـع هـو مـروان دا بـس للأسـف مالقـوش عليـه أي صـور ولا بيانـات ممكـن توصلهـم لحاجـة.

هنا تدخل هشام في الحديث قائلا:

- كـدا احنـا قدامنـا طريقـين بيكملـوا بعـض؛الأول إن مـروان دا هـو رضـوان فعـلا وإنـه لسـه عايـش ودبـر حادثـة موتـه زمـان علشـان يهـرب بـره البلـد وميتحاكمـش، والتـاني:إن مـروان دا شـخص تـاني خالـص ودا هيكـون اللغـز الأكـبر لأنـه واحـد بيقـول إنـه أبويـا وهـو أصـلا مـش أبويـا.

ثم استطرد قائلا بعدما سكت لبرهة:

- لازم نحـدد الأول إن كان رضـوان مـات فعـلا ولا لا علشـان نتحـرك صـح.

ثـم أخـرج هاتفـه النقـال واسـتخرج أحـد الأرقـام مـن السـجل وضغـط زر الاتصـال، ووضعـه عـلى أذنـه، وقبـل أن يجيـب الطرف الآخـر قـال هشـام لفـوزي ومـنى:

- في خيط صغير ممكن نمشي وراه.

فور ما أجاب الطرف الآخر رد هشام قائلا:

- نـادر بيـه، ازي حضرتـك، في حاجـة مهمـة عـاوز حضرتـك تتحـرى عنهـا الأول علشـان دي هتسـهل لنـا كتـير أوي إننـا نحـدد الشـخص الـلي بنواجهـه، فاكـر جـواب البنـك الـلي خالـو قـال لحضراتكـم عليـه، هـل حضرتـك تقـدر تتحـرى عـن الحسـاب الـلي في البنـك دا وتشـوف آخـر حـركات تعامـل عليـه قبـل معـاد وفـاة رضـوان ولا صعـب؟!

- طـب كويـس جـدا اعمـل حضرتـك تحرياتـك وأنـا هنتظـر منـك تليفـون، أشـكرك يـا نـادر بيـه.

ما إن أنهى هشام حديثه حتى قال له فوزي باهتمام:

- أنت بتفكر في ايه؟

فرد عليه هشام قائلا:

- في فرق يوم بين آخر مكالمة ليه بعد الواقعةإياها وبين الحادثة اللي مات فيها، لو دا واحد هيهرب بره البلد ويدبر حادثة يموت فيها علشان محدش يدور عليه ولا يلاحقه قانونيا إيه اللي هيخليه يسيب مبلغ كبير زي دا في البنك؟ أكيد هيحتاجه علشان يبتدي بيه حياته بره، ولأنه بديهي لو مات محدش هيقدر يسحب الفلوس غير الورثة، ولأن انتوا مورثوش حاجة فأكيد الفلوس دي يا اتسحبت قبل الحادثة بيوم يا اتحولت بره مصر وفي الحالتين هنتأكد إن كان رضوان مات فعلا ولا لسه عايش.

كان وقع كلمات هشام الأخيرة قاسيا على مسامع منى، فهل سيفتح صندوق الماضى بقسوته مرةأخرى؟هل مازال الشيطان حيا يرزق؟ ولكن حتى لا تتملك منها تلك الأفكار قامت من جلستها وقالت بوهن شديد:

- أنا هاقوم أصلي وأدعي ربنا يعديها على خير.

فهم فوزي هو الآخر من جلسته واقفا، وقال:

- وأنا هاقوم أمشي، انا بره من صباحية ربنا والليل ليل خلاص، كان يوم طويل ورخم.

ثم ربت على كتف هشام وقال:

- ابقى بلغني بأي جديد، وخد بالك من ماما، مجرد بس إنها تفكر إن رضوان لسه حي مش سهل عليها يا ابني.

فرد عليه هشام قائلا:

- حاضر يا خالو ماتقلقش إن شاء الله.

تفرق الجمع كل إلى وجهته، ودلف هشام إلى غرفته بعدما قضى في المرحاض قرابةالساعة، اغتسل فيها بماء بارد، ليزيل به كل ما نبت بداخله من صدمات تعرض لها طوال اليوم، ثم استلقى على فراشه وشحذ حواسه جميعا،صار يبحث وينقب في عقله، كأثري ينقب في صحراء عن خبيئة قديمة، أو كعاهرة مسنة همت بتذكر أول عاشق لها ولكن كثرتهم لا تسعفها، ولكن عن ماذا يبحث ؟

أفكار متضاربة، مشاعر تتصارع كقطيع من الذئاب لا يملك سوى جيفة واحدة.

هل هو أبي؟

هل هو شخص آخر؟

هل لو كان أبي سأكرهه جراء ما فعل بأمي وأختي؟

هل سينتابني الضعف إذ أبصرته بعيني؟

هل سأنتقم للماضي؟!

هل سأنتقم للأخلاق والقيم؟

هل على أن أغفر له ؟

هل الغفران بيدي أو حتى بمقدوري؟

هل أشعر للمرة الأولي أنى أملك أبا كغيري من البشر؟ هل علي أن اسمح لهذا الشعور بالتواجد أم أحافظ على حياق كعيسي بلا أب؟

هل سأختار أن تظل أمي هي الأخرى كمريم؟

هل؟

هل؟

هل؟

ضعف، فتور، وهن، تجشم، إنهاك، مكابدة، كلل، معاناة، لغوب، عجز؛

كل تلك المشاعر الجديدة على روحه أجبرته على إغلاق عينيه،وفصل التيار عن عقله حتى لا ينفجر، وغاص عنوة في سبات عميق على أمل أن يستقيظ وكأن كل ما حدث كان

كابوسا،فإن كان الجميع يتمنون دوما أحلاما سعيدة، فهو الآن يتمنى كابوسا،لأن الواقع أشد أسىً و إيلامًا وتأوهًا من كابوس سينتهي بمجرد فتح عينيه.

نام هشام لعدة ساعات حتى أتاه جرس الهاتف ليوقظه، جلس في مهجعه وحاول إفاقة نفسه سريعا فقد كان جسده يؤلمه بشدة كأنه نام مائة عام كالنبي عزير، والتقط الهاتف بصعوبة من على الكومود المجاور لفراشه ورد في صوت رخيم:

- صباح الخير يا نادر بيه.

فرد عليه نادر متهكما

- صباح ايه يا دكتور هشام الساعة ٣ العصر دلوقتي.

فرد عليه هشام في دهشة:

- يا خبر أبيض أنا نمت كتير أوي.

رد عليه نادر ممازحا:

- يلا صحي النوم، قوم اغسل وشك كدا وفوق وكلمني بسرعة.

رد عليه هشام في فضول وعدم صبر:

- لا أغسل ايه، أنا معاك يا نادر بيه، وصلت لحاجة؟

رد عليه نادر قائلا في ثقة:

- بص يا سيدي بعد تحرياتنا السريعة اكتشفنا فعلا إن وقت ولادتك كان في حساب في البنك اللي دكتور فوزى قالنا على اسمه، باسم رضوان صالح زكريا، وإن آخر حركتين اتعملوا عليه قبل ما يتقفل كانت واحدة سحب والتانية تحويل، كان في سحب بمبلغ ٦٠٠ ألف جنيه نقدي،وتحويل باقي الرصيد على حساب في سوريا، وحبايبنا في المخابرات قدروا يعرفوا إن الحساب السوري دا اتقفل بعد ما التحويل تم بأسبوع، وقبل القفل كان المبلغ اللي فيه بالكامل اتحول لحسابين بالتساوي؛ واحد في اليونان باسم واحدة اسمها (هولجا ديمتري) و دا ماتمش عليه أي معاملات طول السنين اللي فاتت، والتاني في قبرص، بس الأهم كان الحساب بتاع قبرص دا لأنه كان باسم شخص إنجليزى الجنسية اسمه (مروان جوزيف ديمتري)، وبعد التحويل بيومين المبلغ بالكامل اتسحب والحساب اتقفل دون رجعه.

فرد عليه هشام في أسى:

- يعني برضه موصلناش لحاجة؟!

قال نادر في تفاؤل:

- لا وصلنا لحاجة مهمة؛ إن احتمال كبير جدا يكون والدك لسه عايش ويكون هو مروان السيوفي.

فرد عليه هشام في حنق ونبرة يتخللها بعض الغضب:

- اسمه رضوان زكريا يا نادر بيه من فضلك؟!

رد عليه نادر بعد أن شعر ببعض الإحراج قائلا:

- اللي تشوفه يا دكتور هشام مش هتفرق كتير، المهم دلوقتي إننا قدرنا نوصل لطريقة توصلنا لمروان السيوفي في مالطا لأن أكيد واحد زي دا وبالجبروت دا كله صعب إخفاؤه، مهندسين الاتصالات عندنا قدروا يحددوا كل المكالمات اللي جت لناصر قبل ما يتقبض عليه، واللي خلانا ندور في المكالمات اللي طبعا كان السجل بتاعها كله اتمسح إن ناصر وسط التحقيق قال إن آخر مكالمة بينه وبين مروان كانت قبل ما يتقبض عليه بيوم، ولما لقينا رقم مالطي ضمن القائمة تتبعناه ووصلنا للمكان اللي فيه البرج اللي كان الخط دا واخد منه الخدمة، بس الأغرب بقى إن المكان دا كله عبارة عن ساحل،ومارينا يخوت،وقصر كبير جدا.

- يعني دلوقتي احنا قدام اختيارين: يا إما القصر دا بتاعه، يا إما لما عمل المكالمة كان على يخت من اليخوت اللي في المارينا،وفي الحالتين مش هيكون الوصول ليه سهل،علشان

اللي وصل لنا إن القصر دا عبارة عن حصن منيع،الدخول ليه بدون إذن هايكون شبه مستحيل، ولو قررنا ندور في المارينا هنبقى بندور على إبرة في كوم قش.

كان هشام قد اتخذ قراره بالفعل وكان ينتظر أن ينهي نادر كلماته فقط ليخبره به، فأثناء حديث نادر كان هشام يحلل كل ما يسمع،وهذا ما فاض به عقله عندما قال لنادر في مفاجأة له:

- أنا هسافر مالطا يا نادر بيه.

هنا صمت نادر من هول الصدمة لبرهة ثم قال فيحدة:

- أنت ايه اللي بتقوله دا،هتسافر تعمل ايه؟!

فرد عليه هشام بثبات:

- زي ما قولت لحضرتك في الجهاز،الموضوع دلوقتي بالنسبالي هو أمر شخصي مالوش أي علاقة بالجانب الأمني، واللي أنا قدرت أساعدكم بيه عملته بالفعل، وأي حاجة هاقدر أقدمهالكم مش هتردد لحظة إني أقدمها، بس أنا لازم أوصل للراجل دا سواء قبلكم أو بعدكم أو حتى بالتنسيق معاكم، المهم أوصله، ومعتقدش إني هقدرأوصله وأنا قاعد هنا في البيت.

فرد عليه نادر وقد استشاط غضبا:

- وأنت متخيل أصلا إن ممكن نسمحلك تسافر.

فرد عليه هشام بحدة:_

- أفهم من كدا إني بقيت محبوس في البلد مش هاقدر أخرج منها ولا ايه، وبعدين وحضراتكم بأي حق هتمنعوني إني أسافر، أنا لا متهم في قضايا ولا عليا أحكام.

استدرك نادر الأمر وعلم أنه ما كان عليه أن يتفوه بنواياهم الدفينة، فقال في ود محاولا إصلاح الموقف:

- هشام أنت زي أخويا الصغير، وأنا بقولك كدا علشان خايف عليك مش اكتر، وأنت يا سيدي لا حد مانعك من سفر ولا غيره، بس الموضوع محتاج إننا نقعد مع بعض ونرتب الأمورالأول ونشوف ايه الصح ونعمله بهدوء وبدون قرارات انفعالية.

تغيير نبرة الصوت والطريقة الخاصة بنادر في الحديث أثارت الريبة داخل هشام ولكنه لم يبديها له،وقال في هدوء شديد:

- أنا اسف يا نادر بيه متزعلش مني، بس أنت عارف اللي أنا فيه، وعموما أنت عندك حق، لما نقعد ونتكلم نبقى ناخد قرارنا.

ثم استطرد قائلا:

- شكلك سايق، لما توصل بالسلامة كدا شوف مواعيدك وابقى عرفني ممكن اجي لحضرتك امتى.

فرد عليه نادر قائلا:

- فعـلا أنـا سـايق عنـدي كام مشـوار هاخلصهـم وبعديـن أروح عـلى البيـت، خـلاص اتفقنـا يـا دكتـور هشـام، هاكلمـك لـو في جديد،سـلام.

أنهـى هشـام المحادثـة ومـد يـده إلى الكومـود المجـاور لـه وسـحب جهـاز الحاسـب الآلي المحمـول خاصتـه ودلـف إلى موقـع أحـد شركات الطـيران باحثـا عـن ميعـاد أول رحلـة طـيران لمالطـا فـإن جوابـه عـلى نـادر كان مجـرد تمويـه ليـس إلا ليتحـرك بحريـة دون قيـود، وبالفعـل وجـد رحلـة في تمـام السـاعة الرابعـة فجـرا أي بعـد مـا يقـارب ال١٣ سـاعة، فقـام بإدخـال ال١٦ رقمـا المطبوعـة عـلى واجهـة بطاقتـه الائتمانيةوالـتي يحفظهـا في إحـدى خلايـا عقله،وأتبعهـا برمـز التحقـق المكـون مـن ثلاثةأرقـام وقـام بتأكيـد الحجز،ثـم دلـف لأحـد مواقـع حجـز الفنـادق واختـار فندقـا قريبـا مـن السـاحل الـذي أخـبره بـه نـادر والواقـع في إحـدى مـدن مالطـا المسـماة»فاليتا» وهـي عاصمـة مالطـا وأهـم مدنهـا، ثـم هـم إلى المرحـاض لتلبيـة نـداء الطبيعـة ومـا إن انتهـى حـتى بـدأ في الاسـتعداد لرحلتـه الـتي لـن يعلـم عنهـا أحـد حـتى يصـل إلى مالطـا ويجدضالتـه.

(١٧)

ظـل هشـام قرابـة السـاعتين يبحـث ويتقـصى ويجمـع المعلومـات ومـا إن انفـض مـن ذلـك حـتى أخـبر أمـه انـه سـيذهب لنـدى لقضـاء بعـض الوقـت معهـا في الأسـفل، وبالفعـل خـرج مـن شـقته ونـزل طابقـين ووقـف أمـام شـقة نـدى وطـرق البـاب ومـا هـي إلا ثـوانٍ معـدودة، وقامـت أمـيرة بفتـح البـاب وعندمـا رأت هشـام ابتسـمت في فـرح وقالـت:

- يـاه أخـيرا قـررت تيجـي تقعـد معانا شـوية، اتفضل يا هشـام

رد هشام أثناء دخوله قائلا وهو يبتسم :_

- معلـش بقـى يـا طنـط مـا انـتي عارفـة مـن يـوم مـا رجعـت وانـا كان ورايـا ١٠٠ حاجـة.

ردت أميرة بصوت خاشع:

- ربنا معاك ويعينك يا ابني، ثواني هاندهلك ندى.

رد هشام وهو يتفقد بعينيه أثاث المنزل الذى لم يره منذ سبع سنوات وهو يقول:

- اتفضلي يا طنط براحتك.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يدخل فيها هشام شقة ندى وأميرة بعد ما حدث في شرم الشيخ،ولأن هشام كان قد اعتاد على كل تفصيلة في هذا المكان من كثرة تردده عليه في صباه كان هناك اشتياق خفي للمنزل وأثاثه وتفاصيله وذكرياته التي عاشها فيه هشام في صغره أثناء لعب البلايستيشن، مراجعة الواجبات المدرسية، حتى رؤية ملابس ندى الجديدة التي كانت تستدعيه ليراها عليها في أول مرة ترتديها بعد شرائها قبل أن يراها عليها أى شخص آخر.

كانت ذكريات الطفولة الجميلة من الثوابت في خلايا عقل هشام، لم يبدلها زمن ولم تستطيع المواقف السيئة المساس بمكانتها في قلبه، هنا قطع صوت ندى سجل الذكريات المار أمام عيني هشام حين أتت من خلفه وقالت ممازحة إياه:

- أهلا أهلا بالناس اللي حنت علينا أخيرا.

لـم ينظـر إليهـا هشـام أثنـاء رده بـل ظـل ينظـر إلى الإطـارات المعلقـة عـلى الحائـط والـتي تحتـوى عـدة صـور لهمـا في الصغـر، وأشـار بيـده إلى صـورة كانـت نـدى تحمـل فيهـا كتابـا وبجوارهـا هشـام وقـال في سرور:_

- ياه فاكرة الكتاب اللي في ايدك دا؟!

ردت ندى بعد أن ضحكت ضحكة عالية وقالت ممازحةإياه:

- المثنـوي، هـو انـا عمـري هنـسى اليـوم دا .... كنـت هتجـنن منـك، يـوم عيـد ميـلادي وأنـا مسـتنية الهديـة الجميلـة بقـى؛_ دبـدوب ... صنـدوق شـيكولاته مثـلا ... الاقيـك داخـل عليـا بتديني كتـاب لجـلال الديـن الرومـي.

ضحك هشام وقال ساخرا منها:

- يـا بنـتي انـتي كان همـك عـلى بطنك وأنـا كان همي عـلى عقلك، تـلاقي الكتـاب دا متفتحـش لحـد دلوقـتي أصـلا ... دا لـو كان لسـه موجـود مـن الأسـاس متبدلـش بشـيكولاته مـارس ولا ميجـا يعـني.

ضحكت ندى على مزحة هشام وقالت بعد ان تنحنحت:

- لطالما قرأت أسطورة عشقك بالروح.

هنا ابتسم هشام ونظر في عين ندى وقال في حب:

- فاقرأني أنت الآن، فقد صرتُ أسطورة.

ضحك كليهما وقال هشام:

- لا كدا يبقى الكتاب اتقرى ... عفونا عنك.

ثم استطرد قائلا:

- هو لسه عندك؟!

فردت ندى في ثقةقائلة:

- يا حبيبي دا هو الشعار بتاع المكتبة اللي عندي أصلا

رد هشام في دهشةمما قالت وقال:

- مكتبة، انتي بقى عندك مكتبة، يا بنتى دا نص خناقتنا مع بعض كانت علشان انتي مش بتحبي القراية.

فردت ندى مبتسمة وقالت:

- دى الحسنة الوحيدة اللي اخدتها من سفرك، الوحدة اللي كنت حساها كان لازم يملاها حاجة منك انت، حاجة كل ما اعملها احس ان انت هتبقى مبسوط لما تشوفني بعملها ... ومع الوقت بقت القراية عالم كبير بهرب ليه كل ما اتضايق.... بقى الملاذ يا دكتور.

فأبتسم هشام فرحا بعد تلك الكلمات التي كان لها تأثير رائع على قلبه وقال:

- خلاص احنا نلغي الدهب والكلام الفارغ دا وناخد عربية نقل وننزل نجيبلك شبكتك من ألف ولا الشروق.

تعالت الضحكات في غرفة الاستقبال قبل أن تدلف أميرة اليهم وتقول:

- ربنا يسعدكم يا ولاد ... إعمل حسابك هاتتغدى معانا يا هشام.

فرد هشام مبتسما:

- حاضر يا طنط انتي فعلا أكلك واحشني جدا.

فردت أميرة مبتسمة:

- بالهنا والشفا يا حبيبى، ساعة والأكل هيكون جاهز ... قومي يا ندى هاتيلكم عصير على ما أجهز الاكل.

تدخل هشام في الحديث قائلا:

- لا يا ندى خليها قهوة علشان حاسس بشوية صداع، وانا هقوم ابص على المكتبة لحد ما تخلصي .... مش عارف ليه يا ندى حاسس انى هلاقى فيها مجلات ميكي وعلاء الدين.

تعالت الضحكات مرة أخرى بين ثلاثتهم وردت ندى قائلة:

- والأمير الصغير كمان وحياتك.

دلفت ندى وأميرة إلى غرفة إعداد الطعام، ودلف هشام إلى غرفة المكتب بعدما دلته ندى على مكانها،وما إن فتح الباب ودلف إلى الغرفة حتى وجد مكتبة خشبية كبيرة يتوسطها رف كبير وضع عليه كتاب مثنوي لجلال الدين الرومي في منتصف المكتبة،بواجهة الغلاف كأنه هو التميمة الأصلية لها

، بينما وضعت باقي الكتب بصفوف جانبية يظهر منها الشريط الجانبي للكتاب المطبوع عليه اسم الكتاب واسم الكاتب، ظل هشام يتحرك ببطء بجانب أرفف المكتبة يتفحصها بعينيه ويتحسس أغلفتها بيديه فى حب جم، كالذي وجد حبيبة جديدة، فقد كان حب هشام للكتب والمكتبات لا يوصف، مد يده لأحد الكتب وسحبه من على الرف وشرع يقلب صفحاته، وهو يستعد لمداعبة طويلة على غير عادته، ولكنه كان يعلم أنها ستكون التمهيد الأفضل لما ينوي أن يخبر به ندى، لعل هذا اللقاء سيكون آخر لقاء يجمعهما سويا.

هنا دخلت ندى ممسكة بيديها طبقا صغير ا يعلوه كأس من القهوة، وضعته على الطاولة المجاورة للمكتبة وقالت ساخرة:

- احنا ابتدينا ولا ايه؟

رد هشـام متسـائلا متهكمـا وهـو يشـير إلى أحـد أقسـام المكتبـة، وينطـق أسـماء الكتـب:

- ابتدينا ايه بس،ايه يا بنتي الكتب دي؟!

- المبعوث

- الملعون

- الشيخ الأسود

- الجثةالخامسة

- إبليس يعلن عن نفسه

- أحفاد الشر

- سفر القتل

- جرعة رعب

- هـي الكتـب دي في تحضـير الأرواح ولا ايـه، نـار ولعـن ومـس وجثـث وشر وقتـل ،في ايـه بالظبـط؟!

خرجت من ندى ضحكة رنانة وأتبعتها قائلة:

- لا خالـص ... وعـلى فكـرة كل الكتـاب دول أصحـابي كمـان، خـاف مـني بقـى.

تحـرك هشـام خطـوة أخـرى تجـاه رف آخـر وأمسـك بيـده كتابـا آخـر وقـال:

- العائـد مـن بابل،ويـا تـرى دا عرف يرجـع لوحده ولا اسـتخدم الـــ GPS ... ودا مـين دا كمـان ... ايـه ... حا .. ايه

فردت ندى قائلة:

- حموءة ... هكذا تكلم حموءة.

فرد هشام متهكما

- أه .. دا اكيـد الصـبي الـلي كان بيخـدم عـلى القعـدة بتاعـة التحضـير صـح، ماهـو في جـني عـلى الغـلاف اهـو.

فردت ندى ضاحكة وقالت:

- أنـا بقـول يـلا بينـا نـشرب القهـوة في البلكونـة أحسن،علشـان انـا مـش هخلـص فيـك.

فرد هشام قائلا:

- وانا كمان بقول كداء يلا قبل ما نتلبس.

خـرج هشـام ونـدى مـن الغرفـة ودلفـا إلى الشرفـة وهمـا يتبـادلان التعليقـات السـاخرة ومـا إن جلسـا قـال هشـام:

- بس أسامي الكتاب دول أنا أول مرة أشوفها.

ردت ندى مستنكرة:

- لا عشـان انـت مسـافر بقالـك كتـير بـس. ٧ سـنين مـش شـوية برضـه، دا جيـل الكتـاب الشـباب الـلى همـا مـن سـني وسـنك أو اكـبر مننـا ٣ او ٤ سـنين بالكتـير، مجتهديـن وأفكارهـم حلـوة وجديـدة مـش مكـررة وليهـم قاعـدة قـراء كبـيرة جـدا عـلى فكرة،أنـت حظـك بـس إنـك ابتديـت بقسـم الرعـب لكـن في كتـاب كتـير شـباب مبدعـين ظهـروا مؤخـرا بيكتبـوا في مجـالات كتيـير جـدا وأثبتـوا موهبتهـم.

رد هشام مبتسما:

- على قد ما أنا مبسوط بكلامك بس ليه كله رعب كدا.

ردت ندى مستنكرة مدافعةوقالت:

- منـا قولتلـك أنـت حظـك إنـك وقفـت قـدام رف الرعـب لكن في مجـالات كتـير جـدا الشـباب دول أبدعـوا فيهـا، منهـم الـلي بيكتب رومانـسي ومنهـم اجتماعـي ومنهـم سـاخر ... بـس برضـو أدب الرعـب أدب عالمـي ويمكـن يكـون أصعبهـم عـلى فكـرة لأن كتـب

الرعـب غـير أفـلام الرعب،الأفـلام فيهـا مؤثـرات بصريـة وسـمعية بتسـاعد إنهـا تخـلي المتفـرج يخـاف فعـلا، لكـن شـطارة الكاتـب انـه يخليـك تخـاف لمجـرد انـك تتخيـل ودا في حـد ذاتـه إبـداع أنـا حبيتـه.

- وبعديـن تعـالى هنـا هـو احنـا نقـرأ لسـتوكر وألان بـو ومـاري شـيري ولافكرافـت وسـتيفن كينـج ويبقـوا عـلى قلبنـا زي العسـل لكـن نيجـي لكتـاب الرعـب المصريـين ونقـول همـا بيكتبـوا رعـب ليـه، عقـدة الخواجـه يعـني!!

- صدقـني يـا هشـام الكتـاب دول شـباب لـو أعمالهـم خـدت فرصـة واترجمـت والعالـم قراهـا ممكـن ناخـد نوبـل في الأدب مـرة واتنـين وتلاتـة بـدل المـرة اليتيمـة الـلي محفـوظ خدهـا دي.

قال هشام في اقتناع بملامح سعيدة.

- عنـدك حـق فعـلا .. سـيبك بقـى مـن كل دا علشـان انـا عـاوزك تركـزي في الـلي أنـا هقولـه كويس.

ردت ندى في إنصات وقالت:

- معاك

بـدأ هشـام في سرد مـا حـدث معـه بالأمـس بالتفصيـل وسـط حالـة مـن الدهشـة انتابـت نـدى ممـا تسـمع حـتى وصـل الأمـر

في بعض الأوقات إلى عدم تصديق ما يقول، ولكن لأنها على علم بشخصية هشام التي لا تحبذ التهويل وتضخيم الأمور صدقت كل ما قيل لها، وهي على نفس الحالة من الذهول،فإن ما تسمع أشبه بإحياء الأموات الذين دفنوا داخل ذكرياتنا ودفنت معهم كل مشاعر تجاههم، وما إن أنهى هشام حديثه حتى أخبرها بما عزم عليه، والذي قابله رد فعل رافض من ندى وغير مقتنع بسفره إلى مالطا،وكان الرفض والاعتراض لسببين: أولهما: خوفها عليه من عواقب سفره سواء ما يمكن أن يحدث له هناك أو من رد فعل الجهات الأمنية التي لم يقم بالتنسيق معها، وثانيا: هو عدم تملكه للمعرفة التي هي أهم شيء في هذا الأمر؛ المعرفة بماهية ما يواجهه، المعرفة التي يتحتم عليه أن يدركها أولا قبل الشروع في أي شيء ،ولكن وسط حالة الإصرار التي كان عليها هشام استسلمت للأمر الواقع ورضخت لرغبته وقلبها يعتصر خوفا عليه، وما إن أنهى توصياته لها بعدم إخبار أمه أو فوزي بوجهته حتى يصل إليها حتى دلفت أميرة للشرفة وأخبرتهم أن الطعام جاهز على المنضدة، فخرج كلاهما وانضما لأميرة وتناولا الطعام معا وسط نظرات كثيرة من ندى لهشام كأنها تودعه للمرة الأخيرة.

أنهى هشام جلسته معهم وودع ندى وأميرة التي شعرت بتغير داخلي في ابنتها منذ أن خرجوا من الشرفة، ولكنها عندما أخبرتها بذلك وأنكرت ندى لم تعد سؤالها مرة أخرى،لأن ندى دلفت إلى غرفتها بعد مغادرة هشام ولم تخرج منها ثانية.

كان هشام على يقين أن منى سترفض الأمر جملة وتفصيلا وكذلك فوزى لذلك اختار أن لا يخبرهما بشيء حتى يصل إلى مالطا، وكذلك أوصى ندى هى الأخرى بذلك،ولأنه كان على يقين أنه يجب عليه إخبار أحد بوجهته فاختار ندى،أولا لأنه يستطيع السيطرة عليها وثانيا لمنحها بعض الخصوصية التى تقوي ما بينهما وتشعرها أنها شخص مهم في حياته يأتمنه حتى على أقوى أسراره، وهذا بالفعل ما وصل إلى ندى، وكما أدخل عليها السرور بما فعل أدخل عليها أيضا الخوف والقلق .

أتت ساعة الرحيل وكانت منى تغط في نوم عميق عندما فتح هشام عليها باب غرفتها واختلس النظر إليها من بعيد،لم يرد الاقتراب حتى لا توقظها خطواته، ولكن لم يستطع الرحيل دون توديع أمه ولو حتى بالنظر إلى وجهها فقط.

غـادر هشـام المـنزل متوجهـا إلى المطـار بسـيارة أجـرة تـاركا سـيارته أسـفل المـنزل، وصـل المطـار وأنهـى الاجـراءات واسـتقل الطائـرة الـتي اسـتغرقت قرابـة السـاعتين ونصـف بمـا فيهـا الصعـود والهبـوط حـتى وصلـت إلى مالطـا، ومـا إن أنهـى إجـراءات الدخـول حـتى خـرج مـن صالـة الاسـتقبال باحثـا عـن سـيارة أجـرة تقلـه إلى الفندق،وبالفعـل مـا إن خـرج حـتى وجـد سـيارة تقـف أمامـه ويسـأله السـائق إن كان في حاجـة إلى مـن يوصلـه إلى وجهته، فأخـبره هشـام باسـم الفنـدق فأومـأ السـائق برأسـه بالموافقـة وتـرك المقـود ونـزل ليفتـح الخزانـة الخلفيـة للسـيارة لوضـع حقائـب هشـام بهـا ومـا إن دلـف هشـام إلى السـيارة وجلـس السـائق خلـف المقـود وبـدأ في التحـرك ببـطء حـتى وجـد هشـام سـيدة عجـوزا تبـكي وتصيـح ناطقـة باللغـة العربيـةأن أموالهـا قـد سرقـت فأمـر هشـام السـائق بالتوقـف، ونـزل إليهـا مسرعـا يسـألها إن كان يسـتطيع تقديـم العـون لهـا فأخبرتـه أن حقيبـة يدهـا قـد سرقـت وبهـا أموالهـا وهاتفهـا وأنهـا قادمـة مـن سـوريا لملاقـاة ابنهـا الـذي رزقـه الله بمولـود جديـد وأنهـا لا تسـتطيع التواصـل معـه لأنهـا كانـت عـلى اتفـاق معـه أن تهاتفه فـور وصولهـا، فطلب منهـا هشـام بقلبـه الطيـب أن تهـدأ وتطمـئن وأنـه سـيوصلها إلى ابنهـا مهمـا تكلـف الأمـر، وعندمـا سـألها هـل تعلـم بمـكان إقامتـه أخبرتـه أنهـا لا تعلـم مـكان المـنزل ولكنهـا تعلـم أنـه يعمـل

مديرا للعلاقات العامةفي إحدى الفنادق وأخبرته اسم الفندق فابتسم هشام كأنه شعر أن الله هو من أوقفه لتلك السيدة، وفورا أخبرها أنه متجه إلى ذات الفندق الآن ويمكنه اصطحابها معه وفور وصولهم سيبادر بالسؤال عن ابنها وإيصالهما ببعضما البعض،فابتسمت السيدة وتنفست الصعداء وانهالت على هشام بسيل من الدعوات الطيبة ما إن اشار هشام للسائق حتى حمل حقائب السيدة ووضعها بجوار حقائبه في الخلف ودلف هو والسيدة إلى السيارة، وتحركا مغادرين المطار،بعد أن خرجت السيارة من حرم المطار واستقلت الطريق السريع، ربتت السيدة العجوز التي تجلس في الخلف على كتف هشام الذى يجلس بجانب السائق وهي تقول:

- جزاك الله خيرا يا بني.

وما ان التفت هشام إليها ليخبرها أن هذا من واجبه حتى بادره السائق بغرز محقن صغير كان في يديه فى رقبه هشام وأفرغ محتوياته بداخله و شعر بدوار شديد وغاب عن الوعي فورا فنظر السائق إلى السيدة العجوز وابتسم فابتسمت له هي الأخرى كأنهما أتما عملهما على أكمل وجه، وانطلقت السيارة إلى المجهول .

(١٨)

الصدمة الرابعة

مطارق تعصف برأسه يمينا ويسارا من شدة الألم، بدأت جفون عينيه في التباعد ببطء شديد وثقل لا تقوى عضلات وجهه على تحمله، وبدأ الضوء الخافت في التسلل إلى قزحيته ليعكس صورة مشوشة غير مكتملة تنم عن أنه لم يستفق بعد، و بعد قرابة الدقيقة التي استمر فيها هذا الصراع مع وعيه الذي يأبى أن يعود مرة أخرى بسهولة،:رضخ الوعي لمقاومة هشام وبدأ يعود تدريجيا حتى اكتمل ليجد هشام نفسه وحيدا مستلقى على فراش حريرى في غرفة كبيرة تتسع أمام عينيه قرابة العشرة أمتار يبدو على أثاثها الفخامة، كانت جدرانها ملونة باللون الزهري وستائرها بيضاء ناصعة والحلي المنتشرة في أرجائها مصنوعة من الفضة الخالصة والذهب الصافي الذي ينم عن ثراء فاحش .

قـام هشـام مـن اسـتلقائه وجلـس عـلى الفـراش ومـازال الألـم في رأسـه متواجـدا ولكنـه يبـدأ في الـزوال تدريجيـا، نظـر خلفـه فوجـد إنـاءً بـه مـاء وكأس فـارغ، وكأنهمـا في هـذا المـكان عـن عمـد لـيروي هشـام الظمـأ الشـديد الـذى يجتـاح حلقـه، وبالفعـل رفـع هشـام الإنـاء عـلى الفـور إلى فمـه دون ان يرعـى للـكأس انتباهـا لـيروي بلعومـه الـذي تحـول فجـأة إلى أرض بـور لـم يطأهـا المـاء منـذ سـنين، بعـد أن ارتـوى شـعر أن الألـم في رأسـه زال بالكامـل إلا مـن بعـض النبضـات الصغـيرة الـتي تـأتي مـن حـين لآخـر، أنـزل قدميـه مـن عـلى الفـراش ووقـف أمـام الجـدار الموجـود عـلى يمينـه مندهشـا متسـع العينـين، فمـا يـراه عـلى الجـدار يخـبره أيـن هـو الان .

إطـارات مسـتطيلة كبـير معلقـة عـلى الحائـط يرتفـع كل منهـا قرابـة المـتر بعـرض يقـارب الخمسـين سـنتيمترا وفي داخـل كل إطـار صـورة لهشـام بتطـور مراحلـه العمريـة المختلفـة، كانـت صـورة تزيـن الحائـط بأكملـه حـتى نهايتـه، ظـل ينظـر إلى الصـور في دهشـة وهـو ينتقـل مـن إطـار لإطـار حـتى أنهاهـم جميعـا، وأمـام الإطـار الأخـير ارتمـى عـلى أحـد المقاعـد المجـاورة للجـدار بعدمـا أيقـن أنـه الآن في قـصر مـروان السـيوفي.

ولكن ماذا حدث؟!

وكيف علم مروان بقدومه؟!

وقبل أن ينفتح الجرف ويسمح لسيل الأسئلة بالعبور إلى عقله انفتح الباب فجأة ودلفت منه امرأة ثلاثينة شقراء ابتسمت في وجهه، وألقت عليه تحية المساء باللغة الانجليزية ووضعت بعض الملابس التي كانت في يدها على الفراش، وأخبرت هشام ان عليه تبديل ملابسه والاستعداد لملاقاة مروان، وكل هذا دون رد من هشام الذي بدا أمامها كالأخرس الذي لا ينطق.

وما إن خرجت الفتاة وأغلقت الباب خلفها حتى انتاب هشام الخوف، خوف شديد، ليس من مروان أو من رضوان لو كان هو بالفعل، ولكن خوف من اللقاء ذاته،أو خوف من ما يمكن أن يترتب على اللقاء، أو خوف من سطوة هذا الرجل وجبروته الذي علم بتحركات هشام ووصوله إلى مقربة منه، لم يستطع تحديد نوع الخوف ولم يبال بنوعه، ولكنه يبالي بأنه خائف، إحساس بشع يسيطر عليه ويقترب من تملكه ولكنه قاوم وهم من جلسته واقفا، ودلف إلى الباب الجانبي في الغرفة والذي توقع أنه مرحاضا وبالفعل وجده كما ظن، وضع رأسه أسفل صنبور المياه ليساعد ضغط دمه المرتفع - والذي يسبب له هذا الألم- ان يهبط قليلا ويعود إلى معدلاته الطبيعية وما إن انتهى حتى خرج واستبدل ملابسه بالملابس

الموضوعة على الفراش والتي وجدها مناسبة له تماما كأن من خاطها خاطها خصيصا له.

كان هشام قد اكتشف أن المحقن الذي يحتوي على المصل غير موجود في ملابسه، وأنه يتذكر جيدا انه كان بحوذته في احد جيوب سترته التي كان يرتديها، لأنه اثناء مروره خلال جهاز كشف المعادن في المطار قام الجهاز بإصدار أزيز واستوقفه فرد الأمن لسؤاله عن أي معدن يحمله، وأخرج هشام المحقن وأخبره أنه مريض بالسكر وأن هذا المحقن يحتوي على الإنسولين الخاص به،فابتسم له فرد الأمن وتمنى له الشفاء، ولكن الآن المحقن غير موجود فلابد أن من أحضره إلى هنا هو من أخذه، أو ان المحقن سقط من جيبه أثناء حمله من السيارة إلى الفراش.

خرج هشام من الغرفة فوجد أن الفتاة التي أدخلت له الملابس في انتظاره خارج الباب، نظرت له وهي تبتسم وأشارت بيدها في اتجاه الممر الذي توجد الغرفة في نهايته، وتقدمت أمام هشام لترشده إلى الطريق.

كان هشام منبهرا من معالم الثراء الفاحش الواضحة وضوح الشمس على الديكورات والأثاث وكان كالذي يسير داخل متحف أو قصر ملكي، مقاعد وأرائك مرصعة بالذهب، ثرايا مضيئة

متدليـة مـن الأسـقف مصنوعـة مـن الكريسـتال النقـي ولوحـات فنيـة تزيـن الحوائـط، سـيوف وخناجـر فضيـة متقابلـة ومتقاطعـة،

أنهـت الفتـاة انبهـاره عندمـا وقفـت أمـام أحـد الغـرف وقامـت بفتـح البـاب الجـرار بطريقـة جانبيـةإلى اليمـين واليسـار وأشـارت لـه بالدخـول.

دلـف هشـام إلى الغرفـة فوجـد في مواجهتـه مكتبـا زجاجيـا أسـودواللون يجلـس خلفـه رجـل خمسـيني اجتـاح الشـيب شـعره الناعـم ليقـضي عـلى أي أثـر كان لشـعرة سـوداء يومـا، أبيـض البشرة،بوجنتـين حمراوتـين تنمـان عـن دورة دمويةجيـدة، يعلوهمـا أنـف صغـير وعيـون بنيـة.

نظـر هشـام والرجـل إلى بعضهمـا البعـض نظـرة صامتـة دون حديث،طالـت النظـرة بينهمـا قرابـة الدقيقـة حـتى أنهاهـا الرجـل عندمـا أشـار إلى الفتـاة بيـده أن تخـرج، وبالفعـل خرجـت وأغلقـت البـاب خلفهـا ثـم بـدأ الرجـل في الحديـث إلى هشـام بثبـات وبـطء قائـلا:

- هشـام رضـوان زكريـا، إبـني الـلي ماشـفتوش مـن ٢٦ سـنة،طبعا أنـا متوقـع إنـك مـش هاتيجـي تترمـى في حضـني مثـلا بعـد الـلي عرفتـه عني،بـس الـلي هاقولهولـك انـك لمـا تفهـم يمكـن تغـير رأيك،اقعـد انـت واقـف ليـه؟

تقدم هشام خطوات بطيئةإلى الأمام وجلس بجوار المكتب وقد هربت كل الكلمات من رأسه وعقد لسانه، فإنه الآن يجلس أمام أبيه الذي لم يره منذ أن دبت فيه الحياةعلى الأرض ولم يعرف ملامحه قط، ولكنه أيضا يعرف أنه يجلس أمام قاتل، بائع لابنته،وخصال كثيرة لا يلقب بها إلاالشيطان، فرد عليه هشام بثبات وقال:

- وأنت متخيل ان في حاجة ممكن تغير رأيي فيك.

فنظر إليه رضوان وقال بابتسامةخبيثة:

- هانشوف .

ضغط على زر أحمر اللون كان على سطح المكتب ففتح الباب ودلف منه رجل يجر أمامه عربة عليها بعض المشروبات، وما إن وقف أمام هشام ورفع رأسه الذي كان مطأطأها إلى أسفل أثناء دخوله، حتى أتت هشام صدمة لم يكن يتوقعها فإنه يرى أمام عينيه حارس العقار الذي التقى به في ألمانيا وقام بتجربة المصل عليه ثم اختفى فجأة، وما إن قام من جلسته ونظر إلى الرجل في عينيه حتى ابتسم الرجل له دون أن يتفوه بكلمة حتى أتاه الرد من رضوان من الخلف قائلا في ثقه وهو ينفث دخان السيجار الكوبي القاطن بين أصابعه:

- هانـز، واحـد مـن رجالـتي والـلي كان مسـئول عـن تأمينـك في ألمانيـا لـو حـس إنـك في أي خطـر، وطبعـا حظـه الحلـو إن لمـا اتجـرب عليـه المصـل بتاعـك متسـألش عـلى حاجـة بخصـوص شـغله أو بخصـوصي، وكانـت أسـئلة عامـة،

- كنـت سـهران فـين امبـارح، فاكـر الأسـئلة الـلي سـألتهاله ولا تحـب نفتكرهـا مـع بعـض.

ثم سكت لبرهة وقال في استفزاز:

- تعالى نشوفها مع بعض أحسن.

التقـط مـن عـلى المكتـب جهـاز تحكـم لاسـلكي ووجهـه ناحيـة شاشـة بيضـاء كانـت في مواجهـة هشـام ،وضغط عـلى أحـد الازرار في جهـاز التحكـم ليظهـر عـلى الشاشـة هشـام في غرفـة الاسـتقبال في الشـقة الـتي كان يقطنهـا في ألمانيـا في فـترة دراسـته وأمامـه هانـز وهـو يحقنـه بالمصـل وبعدهـا يبـدأ في الأسـئلة، ومـا إن انتهـى الفيديـو حـتى اشـار رضـوان إلى هانـز الـذي كان يقـف أمامـه واضعـا يديـه أمـام خـصره وينتظـر الإذن بالمغـادرة، ومـا إن خـرج حـتى نظـر رضـوان إلى هشـام الـذي لا يسـتطيع النطـق ولا يسـتطيع إدراك مـا يحـدث ولا يعلـم كيـف علـم هـذا الرجـل عـن المصـل، وقـال رضـوان:

- الصور جامدة أوي مافيهاش مشاعر، فاحطيت الكاميرات دي في الشقة علشان اشوفك بتتحرك قدامي، ولما شوفت الفيديو دا بالصدفة حسيت بحاجة غريبة فسحبت هانز فورا وبدلته بواحد تاني فضل مأمنك برضه لحد ما خلصت دراستك ورجعت مصر، بس كنت منبه عليه مايحتكش بيك تماما حتى لو أنت قربت منه يصدك .

فرد هشام في حنق كالذي كان يعيش في تيه لا يدرى ما يحدث حوله وقال في غضب:

- كنت بتراقبني يعني.

فرد رضوان مبتسما:

- إهدى .... وزى ما قولتلك استنى للأخر واحكم براحتك.

وضغط على الزر مرة أخرى وفتح الباب للمرة الثانية وصدم هشام للمرة الثانية وفتح فاه وقال:

- عبد الوهاب!!

فرد عليه رضوان للمرة الثانيةوقال:

- ما اسموش عبد الوهاب، اسمه منصور وعينته في المستشفى بعد ما انت خطبت ندى على طول لأن اكيد سلامتها بقت تهمك، وأي حد سلامته تهمك يبقى تهمني

انا كمان، وهو اللي كلمني بعد ما أنت جربت المصل للمرة التانية على الواد اللي قتل مراته علشان كان وقف على الباب وسمع كل حاجة حصلت بالتفصيل، ومن هنا عرفت الطريقة اللي هاجيبك بيها لحد عندي.

فرد هشام بعدما اعتلى الغضب وجهه وقال في صوت مرتفع:

- تجيبني ازاي يعني، عاوز تقنعنى ان انت دخلت جوه عقلي وخلتني.أخد قرار اني اجي. هنا كمان

ثم استطرد هشام في تهكم:

- وسعت منك شوية يا رضوان بيه

فابتسم رضوان وقال ساخرا من هشام:

- أنا عاذرك علشان أنت لسه ماتعرفش مين أبوك كويس ويقدر يعمل ايه.

انفعل هشام وقال بصوت مرتفع:

- بس ماتقولش أبوك.

هنا تبخرت الابتسامة من على وجه رضوان واحمرت عينيه و قذف الكأس الزجاجي الذي كان بيده في الحائط ليسقط مهشما،وقال في غضب شديد:

- لا أبوك ...

- بمزاجك أو غصب عنك أبوك.

- والغلطة اللي غلطتها زمان مش هافضل أتحاسب عليها طول العمر ..

- انت فاهم ولا لا .

- كفايةإني اتحرمت منك السنين اللي فاتت دي كلها .

- كفاية إني كنت بشوفك بتكبر قدامي يوم عن يوم ومش قادر ألمسك ولا آخدك في حضني.

- كفاية إني كنت مسخر كل قوتي علشان أحميك من بعيد لأني ماكنتش قادر أحميك من قريب.

- كفاية اني بقيت واحد تاني غير اللي كنت عليه علشان أمك مقدرتش تسامح زمان.

- بقالي ٢٦ سنة موجود في حياتك وأنت مش شايفني.

- عارف ليه علشان غلطة وسوسلي بيها الشيطان زمان وامك ماغفرتهاش .

- ومن يومها وأنا بقيت أقوى من الشيطان نفسه.

- لـو كل الـلى أنـت شـوفته بعينـك دا لسـه مخليـك شـاكك إني ماكنتـش في حياتـك وكنـت بعيـد عنـك وماكنتـش بحميـك يبقـى أنـت أعمـى.

- عاوز تعرف الشيطان ممكن يعمل إيه،انا هاعرفك.

نظـر رضـوان إلى منصـور وقـال ومـازال الانفعـال والغضـب في صوتـه:

- دخل الكلب اللي عندك.

لـم تكـن تلـك الصدمـة كسـابقتيها ولكـن كان وقعهـا أشـد تاثيرا عليـه لأن المشـهد الـذى يـراه أمـام عينيـه لا يتحملـه بـشر، مشـهد نـزع مـن قلـب مـن صممـه كل ذرات الرحمـة والرأفـة والإنسـانية، فـإن مـن يفعـل ذلـك بالفعـل لابـد أنـه شـيطان رجيـم، فهـو يـرى إنسـانا هزيـل االبنيـة، شـعره أشعث،يسـيرعلى أربـع، قدميـه ويديـه ويلتـف حـول عنقـه طـوق كالـذي يوضـع في عنـق الـكلاب، جسـده عـار تمامـا إلا مـن سروال قصـير يـواري سـوءته، وجسـده ممتـلىء بالجـروح والنـدوب كالـذي يعـذب منـذ أن رسـت سـفينة نـوح عـلى الجـودي.

هنـا خلـع قلـب هشـام مـن مسـتقره عندمـا مـد منصـور يـده إلى شـعر مـن يسـير عـلى أربـع وجذبـه إلى أعـلى ورفـع وجهـه لـيراه هشـام فقـال في دهشـة ممزوجـة بـأسى وخـوف:

- حاتم !!

فجاءه الرد من رضوان الذي مازال الغضب والانفعال يتملكه والذي لا يسمح لأحد أن يتحدث في وجوده غيره وقال صارخا:

- أيوه حاتم .

- حاتم اللي ظلمك زمان.

- حاتم اللي افترى عليك ولبسك نجاسته.

- حاتم اللي كان هايخليك تفقد النطق ويحرق قلبي عليك.

- حاتم اللي وراك العذاب يوم وشاف قصادهم عندي هنا ٧ سنين.

- ٧ سنين مرمي هنا زي الكلب علشان فكر بس يأذيك ويظلمك.

- وأي حد كان ممكن بس يفكر يأذيك كنت هاكله بسناني.

- أنا اللي سربت المعلومات للشرطة علشان تقبض على ناصر علشان عارف إنهم هايجيبوك تستجوبه بالمصل بتاعك.

- وأنا اللي وصلت لنادر بيه بتاعك معلومات غلط علشان يفتكر إنه شاطر وعرف يوصلي علشان أكيد كان هايبلغك بكل حاجة.

- واللحظة اللي كنت قاعد فيها على اللاب بتاعك بتحجز تذاكر الطيران والفندق أنا كنت قاعد هنا وشايف كل حاجة.

- عرفت بقى إن أنا اللس جبتك لحد عندي وإن كل اللي حصل دا مش صدفة.

أشار رضوان بيده في حنق إلى منصور أن يخرج ويصطحب حاتم بعدما ارتمى على قدم هشام محاولا تقبيلها وهو يقول بصوت لا يكاد يسمع:

- اهرب

- اهرب

هنا قام منصور بشد السلسلة التي تنتهي بالطوق الملفوف حول عنق حاتم بعنف حتى كاد أن يختنق،وفي نفس اللحظة كان هشام يسحب قدمه بعيدا حتى لا يقبلها حاتم، وما إن رأى منصور وهو يسحب السلسلة حتى اندفع إليه وصدمه في صدره محاولا إفلات حاتم من يده، ولم يستطع منصور إبداء أية ردة فعل تجاه هشام إلاأنه ترك السلسة تسقط من يده أرضا، وما كان على هشام سوى أنه مد يده لكتفي حاتم محاولا إيقافه، وبالفعل استقام حاتم بصعوبة وهو يبكي بشدة، ومد يده محاولا إمساك يد هشام ليقبلها مرة أخرى، ولكن هشام ابعد يده ثانية، وقبل أن ينطق بحرف كان رضوان قد أشار إلى منصور ثانية، الذي بدوره أمسك بكتف حاتم وأداره إلى الخلف وأخرجه من الغرفة وأغلق الباب خلفه؛ ليعود هشام ورضوان منفردين.

هنا انفجر هشام ووصل الغضب إلى منتهاه وقال:

- أنت عايز مني ايه؟!!

- بتعمل كدا ليه؟!

- عاوز تثبت ليا إيه؟!

- عاوز تثبت إنك أب فعلا!!

- عـاوز تثبـت إنـك بتحبـني وبتخاف عليـا وإني كنت فـارق معاك.

- ولا عـاوز تثبـت إن الـلي يفكـر فى يـوم يبيـع لحمـه ممكـن يبقـى لسـة في قلبـه ذره رحمـة ناحيـة أي حـد حـتى لـو كان ابنـه .

نظر رضوان إلى هشام في أسى لم يؤثر على هيبته وقال:

- أنا قابلت حاجات كتير أوى في حياتي.

- مافيش حاجة منهم كسرتني.

- ولا في حاجة فيهم قربت حتى إنها ممكن تكسرني.

- الحاجـة الوحيـدة الـلي سـابت علامـة كبـيرة جوايـا هـي بعـدك أنـت ومـنى عـني.

- بـس عمومـا لسـه فى حاجـات كتـير ماتعرفهـاش يمكـن لمـا تعرفهـا تغـير رأيـك.

- هانكمل كلامنا بعد ما تهدى وتفكر علشان أنت مش من عوايدك تتفعل.

هنا تلقى هشام آخر صدمتين لينتهى بهما لقائهما الأول وكانت الصدمة عندما ضغط رضوان على الزر للمرة الأخيرة،ودلفت الفتاة التي اصطحبت هشام في المرة الأولى ووقفت في وضع انتباه أمامه، قبل أن يتحرك من خلف المكتب على كرسي متحرك ينم عن أنه قعيد فاقد للحركة.

هنا صعق هشام عندما رأى أن كل هذا الجبروت يخرج من إنسان قعيد، ولم يستطع إخفاء نظرة الشفقة التي اعتلت وجهه، ولكن سرعان ما تبددت تلك النظرة عندما تكلم رضوان وألقى على مسامعه الصاعقة الثانية عندما تحدث إلى الفتاة باللغة الانجليزية وهو يضغط على ذراع التحكم في جانب الكرسي الأيمن والذي يحركه إلى الأمام خارجا من الغرفة وقال:

- اصطحبي السيد هشام إلى غرفته ليأخذ قسطاً من الراحة قبل ملاقاة السيدة (منى) في المساء.

ثم نظر إلى هشام قبل أن يتوارى عن أنظاره وقال:

- منى أخته.

(١٩)

لـم يسـتطع هشـام تمالـك أعصابـه عندمـا سـمع تلـك الكلمـات وانفجـر صارخـا:

- أنت بتعمل كدا ليه؟!

- أختي انت بعتها من زمان.

- أختي مش موجودة.

- مش موجودة.

لـم يسـتطع جهـاز هشـام العصـبي تحمـل الانفعـال الزائـد الـذي لـم يعتـد عليـه فقـرر فصـل جميـع المحـركات خاصتـه ليخـر هشـام مغشـيا عليـه داخـل غرفـة المكتـب، ومـا إن حـدث ذلـك حـتى عـاد رضـوان مسرعـا وأمـر مسـاعديه بحملـه

إلى فراشه ومحاولة إفاقته، وبالفعل ما إن وصل هشام إلى فراشه محمولا على أعناق خدم رضوان حتى وصل (دينزيل) الطبيب الخاص برضوان والذي يقيم في القصر إقامة كاملة لمتابعة حالة رضوان الصحية، والذي تزامن وجوده قريبا من الأحداث لأنه كان في طريقه إلى رضوان ليحقنه ببعض الأدوية التي تساعد على إبقاء دورته الدموية وبعض أعضائه بحالة جيدة أو حتى مستقرة لأن مصابي الشلل النصفي تكون دورتهم الدموية ضعيفة وبالتالي: يتأثر بذلك بعض الأعضاء الداخلية وخاصة عندما يكون سبب الشلل هو السم .

بدأ هشام في استعادة وعيه بعدما ساعده دينزيل في ذلك، وما إن استفاق حتى وجد بجوار فراشه رضوان يجلس على كرسيه المتحرك، ويقف بجواره دينزيل وفتاة عشرينية غير التي رأها في القصر مسبقا، نظر إليه دينزيل متحدثا باللغة الانجليزيةوقال مبتسما:

- لديك جهاز عصبي ذكي يا سيد هشام، عندما وصل ضغط دمك لحد الخطر قام بالتعامل مع الأمر.

ثم أتاه صوت رضوان قائلا:

- حمدالله على السلامة،ماتوصلش نفسك لكدا تاني لو سمحت، متوجعش قلبي عليك يا ابني.

رد هشام بصوت ضعيف مستنكرا وقال:

- برضه بتقولي يا ابني.

نظر إلى رضوان وقال مبتسما:

- شششششششش ... أعرفك بأختك (مني) هي بتتكلم عربي مكسر شوية بس بتتكلم خمس لغات تانية.

اعتدل هشام بصعوبة ونظر إلى وجه الفتاة التي تقف أمامه نظرة طويلة كأنه يتفحصها بدقة فوجدها تشبه أمه كثيرا عندما كانت صغيرة، وهذا ما دفعه ليمد يده مصافحا إياها بعدما شعر بخفقان غريب في قلبه كان يتزايد كلما طالت نظرته إليها ثم ازداد الخفقان أكثر وأكثر عندما تحدثت الفتاة وهي تصافحه وقالت وعلى وجهها علامات الفرح:

- مرحبا بعودتك يا أخي، انتظرت لقاءنا كثيرا وها هو قد أتى بعد ان تأخر لسنوات.

كان التوتر الداخلي يطفو على وجهه عندما قال:

- مرحبا!

هنا ابتسم رضوان وأشار إلى دينزيل بالخروج وقال:

- أسيبكم مع بعض شوية.

فبادلتـه مـنى الابتسـامة دون أن تتحـدث ومـا إن خـرج رضـوان مـن الغرفـة وأغلـق البـاب حـتى بـدأت في الحديـث مـع هشـام بالانجليزيـة قائلـة:

- انـا أعلـم أنـك في دهشـة وصدمـة مـن كل شيء حولك،وأقـدر ذلـك تمامـا، وكثـيرا مـا حـذرت أبي مـن وطـأة أول لقـاء يجمعنـا بك،ولكنـه كان يقـول أنـه ينتظـر فقـط الوقـت المناسـب.

رد عليها هشام بنبرة حزينة متحدثا بالإنجليزية أيضا قائلا:

- لا يوجـد وقـت مناسـب ليعـود أب إلى ابنـه بعدمـا تخـلى عنـه كل تلـك السـنوات.

ردت منى مدافعة عن رضوان:

- أحيانـا تجبرنـا الحيـاة عـلى خـوض معـارك لا نريدهـا، ومـن حيـاتي مـع أبي أخـبرك أن أكـبر معركـة خاضهـا وخـسر فيهـا كان ابتعـاده عنـك وعـن أمـي.

قال هشام مستنكرا حديثها:

- عـلى مـا يبـدو أنكِ أصبحت مثلـه، فكيف لفتـاة أن تعيش بدون أم وهـى تعلـم أنهـا عـلى قيـد الحيـاة ولا تحـاول الوصـول إليهـا.

ردت منى في أسى:

- إنك قمت بتصميم عقارك حتى تحد من انتشار الظلم في الأرض،فلا تظلمني يا أخي، أبي كان يخفي عني وجود أمي على قيد الحياة حتى اتخذ قرارا أن يكشف لك كل شيء،فكشف لي أيضا عن كل شيء، وحينها كانت ثورتي لا حد لها، ولكن شعوري بأن أبي تبدل عن ما كان في الماضي ومع وعده لي أنه سيتركني أذهب معك إلى مصر لرؤية أمي فغفرت له وسامحته حتى لا أصبح عونا لمرضه في القضاء عليه.

رد هشام معتذرا وقال:

- سامحيني يا أختي لم أكن أعلم أنك كنت ضحية مثلي،ولكن كيف علمتم عن عقاري، ومن هذا الرجل الذي كان بصحبتكم عندما استفقت وكيف أصيب هذا الرجل بالشلل؟!

ردت منى بابتسامة حزينة وهي تقول:

- أرى أن قلبك مازال يمنعك أن تنطق كلمة أبي ولكن أنا أقدر ذلك، فغضبي منه عندما علمت أنه حرمني من أمي كل تلك السنوات كان يفوق غضبك بمراحل ولكني أعلم أنك ستسامحه مع الوقت.

وبدأت منى في الإجابة عن أسئلة هشام وأخبرته أن رضوان علم عن عقاره عندما استدعى هانز وأمر الاطباء بفحص دمه أخبروه انه تم حقنه بمكون غريب لا يعلمون تركيبته

الكاملة، وان ما استطاعوا استخلاصه منه هو مكون أو اثنين على الأكثر وهنا شعر رضوان أن هناك حدثا جللا هشام على وشك الوصول إليه ولأنه كان يراقبه عن كثب منذ سنين ويضع بالقرب منه أفرادا يساعدون على بقائه آمنا كما علم بواقعة المستشفى حتى قبل أن ينتشر التسجيل، وعندما انتشر التسجيل واستعان به الأمن المصري لفك اللغز أخبرها أنه استطاع أن يصل لفكرة المصل وطريقة عمله من أحد الأفراد الذين تم استدعاؤهم معه للتحقيق ولكنه لم يخبرها من هو، وهنا أخبرها أن هشام سيكون في خطر حقيقي لأن الأمن المصري سيحاول الاستحواذ عليه وعلى اكتشافه، وأنه يجب أن يساعده في الخروج من مصر بأية طريقة حتى يستطيع تأمينه وحمايته، وحتى يساعده في استخدام عقاره بالشكل الذي يريده ليس بالشكل الذي يريده الأمن المصري وبتلك الطريقة من الممكن أن يستطيع تعويضه عن السنوات الماضية.

هنا قاطعها هشام وقال في حنق:

- أخبرتك سابقا أن الشيء الذي يستطيع تعويضي عن حياتي بلا أب لم يخلق بعد.

فابتسمت منى دون أن ترد على كلماته وأكملت حديثها عن دينزيل وعن الشلل وأخبرت هشام أن دينزيل مع صغر

سنه فهو ماهر في عمله، وهذا ما دفع رضوان إلى استقطابه بعدما تعرف عليه في المستشفى الذي كان يتلقى فيها علاجه بعدما أصيب بالشلل منذ خمسة اشهرعندما دس صديقه سم (الكوارى) له في شرابه، ونقل على إثرها إلى المستشفى سريعا وتلقى الإسعافات التى أبقته حيا، وأثناء فترة إقامته في المستشفى أخبره الأطباء أن جرعة السم كانت قليلة فسببت له الشلل فقط، أما إن كان تعرض لجرعة أكبر كان سيلقى حتفه في غضون يومين، لأن سم (الكوارى) هو مجموعة من سموم نباتية جرعاته القليلة تؤدي إلى الشلل والكبيرة منها تؤدي إلى الموت البطيء، وأخبروه أيضا أنه في الماضي كان يستخدم فى الأمرين معا وأن القبائل الأصلية في أمريكا كانت تستخدمه في الصيد، أما الهولنديون فكانوا يستخدمونه في عمليات القتل الرحيم كما كان يطلق عليها حين ذاك، ولكن الغريب أن رضوان عندما خرج من المستشفى وبدأ في التقصي حول هذا السم وكيفية العلاج منه، اكتشف أن هذا السم لم يكن موجودا على وجه الأرض فى العصر الحديث إلا في قنينة صغيرة كانت محفوظةفي خزانةفي متحف (بورهافه) في مدينة ليدن االهولندية، وأن هذه القنينة قد سرقت من المتحف قبل محاولة قتله بيومين فقط ولم تعثر الشرطة على الفاعل، هنا شعر رضوان أن من يستهدفه ويريد التخلص منه أقوى

منه بكثير نفوذا وسطوة بعدما كان يظن أنه لن يقدر عليه احد، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يشعر فيها رضوان بالخوف، ومن حينها وهو لا يغادر القصر، و يدير كل اعماله الشرعية منها وغير الشرعية عن طريق بعض المساعدين الذين يثق بهم ولكن ليس ثقة كاملة، حتى أنه أصبح قليل الكلام معها، وأصبح لا يجلس معها كثيرا كالسابق، حتى أنها في بعض الأحيان تشعر أن رضوان الذي دخل إلى المستشفى غير الذى خرج منها، فما حدث له أثر على علاقاته بكل من حوله كثيرا وبدل طباعه فأصبح يشعر أنه كالاسد الذي إذا سقط سترقص على جثته الكلاب .

أنهت منى حديثها وقبل أن تغادر الغرفة أخبرت هشام، عليه أن يستريح الآن على أن يجمعهما لقاء آخر في المساء فإنها تتحرق شوقا لأخيها وللجلوس معه والتقرب منه، وأن عليه أن يعيد تفكيره مرة أخرى في الأمر المتعلق برضوان، لعل الله يغفر له ما تقدم من ذنبه ويصلح نفسه وروحه عندما يسامحه أول من أخطأ في حقهم .

شعر هشام أن العطف والحنين قد بدءا في التسلل لقلبه تجاه أبيه ودوت في جنبات عقله كلمات رضوان له عندما قال أنه من الظلم أن يظل يحاسب على ذنب واحد مدى الحياة، ولكن هنا تدخل عقل هشام ليذكره بأفعال رضوان الشيطانية

من تجارة أعضاء إلى اغتصاب حق المصريين وثرواتهم عندما سرق ذهبهم وباعه، وغيرها من الذنوب التي لا تغتفر، ولكن عاد قلبه للحديث مرة أخرى وأخبره أن الغفران والسماح لهما مفعول السحر، وأنه من الممكن أن يربط غفرانه لأبيه بعدة مطالب نبيلة كالتوقف عن الأعمال غير المشروعة،وتسليم الذهب المتبقي للحكومة المصرية وإعادة الأموال التي اكتسبها من بيع الذهب إلى مصر، وغيرها من الأشياء الأخرى فاستمع هشام لصوت قلبه وقرر أن يتحدث مع رضوان في هذا الشأن فإن قبل ووافق كان هذا خير دليل على أنه يستحق تجديد الثقة فيه مرة أخرى، وإن رفض فلا مكان له في قلب هشام أو في حياته مرة أخرى، وسيظل بالنسبة له أبا مات في حادث سيارة منذ ستٍ وعشرين عاما.

حل المساء واجتمع ثلاثتهم على العشاء، ولكن رضوان ومنى لاحظا أن هشام لا يتناول أى طعام فقط يجلس في صمت فبدأ رضوان في الحديث قائلا:

- ما تاكل يا ابني، إيه الأكل مش عاجبك؟!

فرد هشام في حنق قائل:ا

- آكل ازاي وأنا مخطوف، وبعدين أنا مش هاكل من مال حرام.

فرد رضوان متهكما:

- طـب لمـا أنـت مخطـوف والأكل دا مـن مـال حـرام ودا أول يـوم في الخطـف، هاتعمـل إيـه في الفـترة الـلي أنـت مخطـوف فيهـا هنـا، هتـضرب عـن الطعـام ؟

فرد هشام في تأفف:

- انا عندى أضرب عن الطعام وأموت ولا إني أكل حرام.

هنـا شـعرت مـنى أن الحديـث يسـير إلى اتجـاه غـير محمـود فتدخلـت فـورا قائلـة لرضـوان متحدثـة بالعربيـة بلهجـة ركيكـة:

- أبي مـتى سـأذهب لزيـارة أمـي، ألـم تعـدني أنـني سـأراها بعـد قـدوم أخي؟!

- فنظر إليها رضوان وقال:

- عندمـا يعـترف أخيـكِ أولا أن لـه أبـا ولـه أختـا سـوف تذهبـين لزيارتهم.

شـعر هشـام أن الفرصـة الآن أصبحـت مواتيـة لمـا قـرر أن يطلبـه فقـال:

- كل حاجـة وليهـا تمـن يـا رضـوان بيـه، وزي مـا أنا وأمـي دفعنا تمـن غيابـك أنـت وأخـتي عننـا السـنين الـلي فاتـت دي، كمـان لازم

انت تدفع التمن، بس يا ترى هاتقدر عليه، ولا رجوعي أنا وأمي لحياتك مالوش تمن عندك.

رد رضوان في دهشة متهكما وهو يقول:

- ايه عاوزني أكتبلك ثروتي من دلوقتي، مش قادر تستنى لما أموت؟

فضحك هشام ساخرا وقال:

- مشكلتك إنك فاكر إن كل الناس أهم حاجة عندها الفلوس زيك،ومتعرفش ان في ناس أهم حاجة عندها الحق والعدل زيي أنا.

فرد رضوان منتبها وهو يقول:

- طب تقدر تقولي ازاي أحقق العدل والحق اللي أنت عاوزه بدل ما تهيني وخلاص؟

رد هشام في ثبات وهو يقول:

- الموضوع بسيط، اللي خد حاجة مش بتاعته وصاحبها لسه موجود يقدر يرجعهاله، واللي خد حاجة من حد وصاحبها مبقاش موجود يقدر يرجعها لأهله أو على الاقل يعوضهم.

رد رضوان مستفهما وقال:

- أه انت بتتكلم على الدهب؟

فرد هشام مستنكرا وقال:

- مش الدهب بس ،أنا بتكلم عن الدهب وفلوس الدهب،وفلوس الناس اللي أنت قطعتهم حتت وبعتهم كأنهم خرفان في مدبح.

رد رضوان مستنكرا مرة أخرى وقال:

- طب الدهب وفلوسه وفهمناها لكن الناس دي مبقتش موجودة أصلا ومانعرفش حتى نوصل لأهاليهم ازاي لأن اكيد مفيش كشوفات بأسمائهم ولا جنسياتهم ،هتحلها ازاي دي يا عبقري؟!

رد هشام في حنق قائلا:

- أنت بتتريق!!

رد رضوان متهكما:

- تعتبرني بتريق، تعتبرني صعبان عليا المثالية اللي انت فيها، تعتبرني زي ما تعتبرني، المهم ماتلفش وتدور عليا وقولي أنت عاوز ايه بالظبط؟!

رد هشام بعدما فاض به الكيل وقال:

- أولا تسيب حاتم يمشي ويرجع مصر لبنته ومراته وتعوضه عن الذل والعذاب اللي شافه هنا مع إن المنظر اللي انا شوفته يقول إن فلوس الدنيا مش ممكن تعوضه عن كسرته وقهره اللي حس بيهم هنا، وثانيا تسيبني أنا وأختي نرجع مصر وبكدا تبقى رجعت لأمي حقها اللي سرقته منها زمان يمكن تسامحك، وثالثا الدهب اللي فاضل وفلوس الدهب اللي اتباع تتسلم للحكومة المصرية علشان دا حق بلد كاملة بشعبها مش حقك أنت، ورابعا ودا الأهم: فلوس الضحايا اللي تاجرت بيهم اللي نقدر نوصل لأهله نعوضه، والباقي نعمل بيه مشاريع خيرية تعالج الناس من المرض مجانا وبدون أي مقابل، ساعتها بس ممكن اترمي في حضنك واشكر ربنا انه رجعلي أبويا وجمعني بيه تاني وادعيلك انه يغفرلك كل اللي فات واقدر ساعتها وانا بدعي أقوله يا رب هو غلط وصلح غلطته.

سكت رضوان عدة ثوان قبل أن تدمع عيناه تأثراً بكلمات هشام ،وقال بعيون اغرورقت بالدموع:

- طب وقبل ما تترمي فى حضني مش هتحط حلمك أنت كمان في قايمة الشروط دي يا دكتور هشام؟

رق قلب هشام ما رأى دموع رضوان ولكنه حافظ على ثباته بصعوبة وقال:

- حلم ايه؟! أنا ماليش أحلام.

فرد رضوان وهو على نفس الحالةوقال:

- المصل يا هشام، المصل اللي أنت تعبت فيه سنين علشان تحقق بيه العدل والحق وتمنع بيه الظلم.

فرد هشام بعد أن بدأ أول حصون ثباته في الانهيار وقال:

- أنا خلاص حققت حلمي وقدرت أصنع المصل.

فرد رضوان في تأثر وقال:

- لا يا ابني مش اكتشاف المصل هو حلمك،تحقيق العدل باستخدامه هو حلمك وأنا هساعدك في تحقيقه.

فقال هشام مستفهما:

- ازاى؟!

فرد رضوان وقال:

- قبل ما أعمل كل اللي أنت عاوزه دا أنا هستخدم نفوذي لآخر مرة علشان هاجيبلك اعتراف رسمي من منظمة الصحة العالمية بالمصل بتاعك، وهاسجهلولك كبرائة اختراع باسمك

عـن طريـق معاهـدة الـــ PCT علشـان تضمـن حقـك في كل دول العالـم ، وهاسـجلهولك كمـان في هيئـة الغـذاء والـدواء الأمريكيـة وسـاعتها بـس هكـون قـدرت أسـاعدك وهايكـون القـرار قـرارك في النهايـة تمنـح المصـل لمـين وتحجبـه عـن مـين.

هنـا انتفـض هشـام مـن جلسـته وانكـب عـلى رضـوان وهـو جالـس عـلى كرسـيه المتحـرك وعانقـه عناقـا شـديدا طالمـا انتظـره وانهـار باكيـا وهـو بـين يديـه كمحـارب عـاد إلى أهلـه بعـد انتهـاء الحـرب، ومـن شـدة تأثـر مـنى هـي الأخـرى مما تـرى انضمـت اليهـم وعانقـت بيدهـا رضـوان وهشـام مـن الأعـلى وطالـت تلـك اللحظـة قرابـة الدقيقـة ثـم نهاهـا رضـوان عندمـا تراجـع بكرسـيه للخلـف وطلـب مـن هشـام أن يتبعـه إلى غرفـة المكتـب بعدمـا مسـح دموعـه ليسـتعيد هيبتـه مـرة أخـرى أمـام خدمـه ومسـاعديه، ومـا إن وصـل إلى غرفـة المكتـب ودلـف إليهـا حـتى تبعـه هشـام فـورا ومـا إن جلـس أمامـه حـتى أخـرج مـن درج مكتبـه جهـاز لاسـلكي يعمـل بالأقمـار الصناعيـة يصعـب تتبعـه أو تحديـد موقعـه وأعطـاه لهشـام وطلـب منـه أن يتصـل بالضابـط نـادر ويخـبره أنـه سيرسـل لـه إحداثيـات موقـع في واحـة الفرافـرة بالـوادي الجديـد وعندمـا يصـل إليـه سـيجد مـا يقـارب الخمسـة أطنـان مـن الذهـب الخالـص مدفونـةفي غرفـة تحـت الأرض مغطاةبالرمـال، وطلـب منـه أيضـا أن لا يخـبره بمكانـه ولا يقـص

عليه أية تفاصيل، فقط يخبره أنه سيرسل له الإحداثيات من رقم مجهول، وأن عليه أن يتحرك بنفسه إلى هناك مع قواته وأن لا يخبر أمن المحافظة قبل وصوله منعا لسرقة أية سبيكة من هذا الكنز، وبالفعل قام هشام بالاتصال وإبلاغ نادر بكل ما أراده رضوان وسط تساؤلات كثيرة من نادر عن مكان تواجده وعن طريقة حصوله على تلك المعلومات، ولكن هشام نفذ تعليمات رضوان حرفيا ولم يبد أية معلومات غير التي طلبها منه، وبعدما أنهى اتصاله نظر إلى رضوان وقال له:

- عاوز اكلم ماما أطمنها عليا، أكيد هتموت من القلق لأني حتى سافرت من غير ما اودعها.

فنظر إليه رضوان وقال مبتسما:

- ملهاش لازمة علشان كلها أربع ساعات وهاتبقى في حضنها.

ثم أخرج رضوان من درج المكتب جواز السفر الخاص بحاتم ،وبداخله حجز طيران باسمه إلى القاهرة، وأعطاه أيضا جواز سفره الشخصي وجواز سفر منى،وبداخلهما حجز طيران باسميهما إلى القاهرةعلى ذات الرحلة ونظر لهشام وقال بوجه حزين:

- الباسبورات وتذاكر السفر جاهزة من ساعتين يا ابني، من قبل حتى ما اعرف انك هاتطلب مني انكم تسافروا، انا عمري ما كنت هاخليك تفضل معايا غصب عنك وعمري ما كنت هاحرم أختك من أمها أكتر من كدا، كفاية إنها اتحرمت منها السنين دي كلها، ويمكن أمك لما تشوفها وتاخدها في حضنها تقدر تسامحني، أما حاتم فدا هدية جوازك من ندى،أعتقد إن مافيش هدية ممكن تتقدم لواحدة يوم فرحها أجمل من إن ابوها يرجعلها تاني.

ثم استطرد قائلا في أسى:

- انا تعبت يا ابني وجه الوقت إني ارتاح.

فنظر له هشام مبتسما وقال في سرور:

- ربنا يريح قلبك يا بابا.

فنظر إليه رضوان وقد انفرجت ملامحه وقال:

- بابا .... الله على جمال الكلمة دي وهي خارجة منك يا ابني.

فابتسم هشام دون رد وقد احمرت وجنتاه، ثم استكمل رضوان حديثه بعدما أخرج من درج المكتب ورقة أخرى مكتوب عليها بعض الكلمات باللغة الانجليزية وأمام كل كلمة

توجد نسبة مئوية،وفي النهاية مكتوب كلمة unknown وأمامها نسبة مئوية.وأعطاها لهشام وقال له:

- دي تركيبة المصل بتاعك ماعدا مادة واحدة دينزيل ومساعدينه مقدروش يوصلولها، اكتبلهم اسمها علشان يقدروا يكتبولي تقرير كامل أتحرك بيه للجهات اللي قولتلك عليها علشان نسجل المصل باسمك.

تغير وجه هشام فجأة وتبدلت ملامحه، وقبل أن ينطق بكلمة أخرج رضوان المحقن الخاص بهشام ومعه محقن آخر يشبهه تماما ووضعهم أمام هشام وقال:

- دا القلم بتاعك اللي فيه المصل، ودا قلم تاني فيه نفس المصل بتاعك بالظبط، دينزيل قدر يحلله ويعمل نفس التركيبة وحتى المادة اللي معرفش هي ايه قدر يصنع مادة كيميائية بنفس الخواص بالظبط علشان تدي نفس التأثير يعني أنا لو عاوز أستخدمه من وراك كنت هعمل كدا، بس علشان أقدر أسجله لازم التركيبة تكون مكتوبة بالمواد اللي اتصنعت منها بالحرف علشان تتقارن بالمادة نفسها بعد التجارب، وأنت أكيد سيد العارفين يا دكتور.

ثم اخذ شهيقا طويلا وقال:

- متخافش يا ابني أنا مش هأذيك تاني أبدا.

عادت البسمة إلى وجه هشام وقال في ثقة:

- وانا مش خايف يا بابا.

ثم التقط الورقة المكتوب عليها التركيبة وظل يتفحصها جيدا وينتقل بنظره بين الكلمات المكتوبةمثل: الهيوثين، المورفين،الليثيوم، وغيرها من العناصر ثم التقط القلم وكتب في الأسفل باللغة الانجليزية العنصر الأخير هو:

(بوروندانجا) وهو مركب كيميائي يستخلص من زهرة (البوراتشيرو) وموطنها الأصلي كولومبيا

ثم أعطى الورقة لرضوان وهو يبتسم ويقول:

- مش هاترجع معايا مصر بقى ونتلم كلنا مع بعض؟!

رد رضوان في عجالة وقال:

- لما نادر يلاقي الدهب هايبقى دا عربون كويس أنت قدمته تقدر تستخدمه كويس علشان تتمم صفقة رجوعي مصر، علشان مش هاقدر أرجع غير لما نعمل تسوية والتسوية دي هاتبقى أنت الوسيط فيها، يلا قوم استعد وخلي منى كمان تجهز علشان الطيارة كمان ساعتين واطلب من الخدم يجهزوا حاتم.

- أنـت خـلاص بقيـت الملـك هنـا دلوقـت وهياخـدوا تعليماتهـم بعـد كـدا منـك، علشـان في حاجـة عـاوز اجهزهالـك تاخدهـا معـاك مـصر وتسـلمها لأمـك.

رد هشام في فضول وقال:

- حاجة إيه؟!

رد عليه رضوان مستنكرا:

- يلا ماتضيعش وقت وقبل ما تمشي هاتعرف.

أومـأ هشـام برأسـه موافقـة وخـرج مـن غرفـة المكتـب ليجـد الفتـاة الـتي يراهـا دائمـا موجـودة في انتظـاره فأمرهـا بتجهـيز حاتـم للسـفر، ومـا إن ألقـى عليهـا التعليمـات حـتى وجـد مـنى أمامـه فأخبرهـا بمـا أخـبره بـه أبـوه وطلـب منهـا أن تتجهـز سريعـا للسـفر عـلى أن يتقابـلا في غرفـة المكتـب بعـد نصـف سـاعة، وبالفعـل تحركـت مـنى لغرفتهـا بعدمـا اعتـلى وجههـا كل تعبـيرات الفـرح والـسرور فتربيتهـا المتنقلـة بـين دول أوروبـا لـم تـنزع مـن قلبهـا تعلـق الشرقيـين بأمهـم، ولـم تمـر النصـف سـاعة حـتى تقابـل الجمـع في غرفـة المكتـب وبـدأت مراسـم الـوداع المؤقـت عـلى أمـل أن يتقابلـوا جميعـا عمـا قريـب.

وقبل أن يغادر الجميع القصر أعطى رضوان قرصا مضغوطاً لهشام، وأخبره أنه يحتوى على ملف به عنوان بريد الكترونى والرقم السري الخاص به، وأخبره أيضا أنه بعد وصوله إلى القاهرة والتقائه بأمه والتقاط أنفاسه عليه أن يلج هذا البريد وسيجد فيه تسجيلا مرئيا عبارة عن ملف فيديو وعليه أن يجعل أمه تشاهده لعلها تسامحه بعدها.

تفرق الجمع بعد ذلك ووصل الثلاثي للمطار وقاموا بإنهاء الاجرائات ومنه إلى الطائرة التي أقلعت بسلام وهبطت بسلام في مطار القاهرة، ثم بعدها استقلوا سيارة أجرة إلى المنزل في منطقة التجمع وما إن غادرت السيارة حتى وقف الثلاثي ليستعد للّقاء المرتقب متبادلين النظرات.

(٢٠)

نظر هشام لحاتم فوجده هائما، ينظر إلى المنزل بحزن وقهر لأنه حرم منه وحرم من قاطنيه طوال السنوات الفائتة بسبب شهوة تزول لكن تأثيرها يستمر، وما إن بدأت دموعه تنهمر حتى ربت هشام على كتفه وعانقه عناق ابن لأبيه في محاولة منه للتخفيف عنه، وبالفعل ما إن تمالك حاتم ما تبقى له من أعصاب حتى دلف الجمع إلى المنزل واستقلا المصعد وكان الوقوف الأول فى الطابق الثاني الذي تقبع فيه شقة حاتم وندى وأميرة، طلب هشام من حاتم ومنى أن يتواريا عن الأنظار قليلا ووقف هو أمام الباب وطرقه وانتظر قرابة الدقيقة حتى فتحت ندى الباب ومن خلفها اميرة وما إن رمقت ندى هشام حتى ارتمت بين ذراعيه معانقةإياه في شوق كالكفيف الذي رد إليه بصره، بعد أن أنساها حنينها أن أمها

تقف خلفها وأن هذا لايليق ،وما إن تنبه هشام لذلك حتى أخرجها من بين ذراعيه ووقف أمامهم وقال مبتسما:

- مش أنا لوحدي اللي رجعت، في حد مهم أوي رجع معايا،واعتقد إن زي ما أنا سامحته وفرحت برجوعه إنتوا كمان هتسامحوه وهتفرحوا برجوعه.

ما إن استمعت أميرة لتلك الكلمات حتى ظهر حاتم في عقلها قبل أن يظهر أمام عينيها حتى أنها بدأت تشعر بوجوده بالفعل، وما إن رأى هشام نظرة عينيها التي تخبره أنها سامحته ومستعدة لاستقباله حتى أشار بيده لحاتم الذي كان يقف على الدرج الجانبي خارج نطاق رؤية ندى وأميرة، وبدأ حاتم في نزول الدرج حتى ظهر أمامهم، وما إن رمق أميرة وندى حتى وجد دموعه تنهمر عنوة عندما رأى أن ندى قد كبرت وأصبحت شابة يافعة أية في الجمال، ووجد أن أميرة تبدل حالها وظهرت ملامح المسئولية والحزن على وجهها، فقال لهم وعينيه مازالتا تدمعان:

- انا غبت عنكم غصب عني، ولو كنت أقدر ارجع أبوس إيديكم وقتها علشان تسامحوني كنت رجعت، واديني دلوقتي رجعت ومستعد أعمل اكتر من كدا علشان تسامحوني وماغبش عنكم تاني أبدا.

كانت كلمات حاتم كالشرارة التي أشعلت نار الحنين مرة أخرى في قلب ندى وأميرة، وبالفعل ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى ارتمت ندى بأحضان أبيها باكية بشدة كأنها تنعي سنوات عمرها التي ولت وأباها بعيد عنها.

كانت تعانقه كالمغناطيس الذي يحاول جذب كل طاقة الحنان المخزونة داخله تجاهها وكانت تستعيد طاقة روحها التي انطفئت بعد غيابه، أما أميرة التي أومأ لها هشام برأسه أن تغفر وتسامح فقد كانت على مقربة منهم تشكر روحها التي كانت تخبرها دوما أن زوجها حي وسوف يعود ذات يوم، وعندما يعود فيجب أن تسامحه.

ما إن نظر حاتم لأميرة التي تقف خلف ندى ووجد دموعها تسيل حتى تقدم تجاهها وهو يعانق ابنته، وضمها هي الأخرى إلى صدره،وكانت ضمته لهم تشبه ضمة نسر جامح عاد لأبنائه بعد رحلة صيد طويلة، رحلة صيد عاد منها جريحا ينزف، ولكنه لا يبالي بدمائه التي تنزف فكلما طالت ضمته لهم وكلما ارتشف من حنان قلوبهم التأمت جراحه تباعا، وعادت له روحه التي سرقت منه في محبسه جراء ما ذاق من عذاب وذل وقهر.

ابتسم هشام فرحا بعدما اجتمع أول من شتتهم الأيام وأمسك بالباب وأغلقه تاركا خلف هذا الباب أرواحا يرتوي كل منها بالآخر.

دلف هشام للمصعد بصحبة منى ودقات قلبه يرتفع صوتها عن دقات طبول الحرب، وما إن وقف أمام الباب حتى استنشق من الهواء كمية كبيرة من الأكسجين ليساعد عقله على استيعاب ما سيحدث، ثم فتح الباب بواسطة المفتاح الخاص به، ودلف إلى الشقة ومن خلفه منى التي كانت تحلم بتلك اللحظة منذ أن فتحت عينيها واكتشفت أنها تعيش بلا أم، تحسس الثنائي خطاه حتى رأى هشام ظهر أمه وهي تقف مؤدية صلاة الفجر وظل واقفا مكانه وبجانبه منى ينظران لأمهما وهى تركع وتسجد وتقف فى خشوع جم حتى أنه شعر أنها لا تشعر بوجودهما،وبالفعل تيقن من ذلك عندما نظرت إلى يمينها مسلمةعلى ملائكة اليمين، ونظرت ليسارها تلقي ذات السلام على ملائكة اليسار ثم نظرت إلى أعلى وهى تمد يدها داعية ربها وتقول:

- يارب، إن كنت لم أرها بعيني فأنا دوما أراها بقلبي،

اللهم إن كانت حية ترزق فردها إلى كما رددت موسى إلى أمه، وكما رددت يوسف ليعقوب، وإن كانت تسبح في ملكوتك

الأعـلى منعمـة في جنتـك فاجمعـني بهـا جمعـا لا فـراق بعـده، اللهـم كمـا أنعمـت عـلي بابـني وباركـت لي فيـه وجعلتـه بـارا بي دون أن أسـألك فـرده إلى سـالما،

وأناأسـألك اللهـم أن اغفـر لنـا وارحمنـا وارزقنـا حسـن الخاتمة وقنـا عـذاب النار.

كانـت عيـني هشـام قـد اغرورقتـا بالدمـوع عندمـا سـمع دعـاء أمـه وكان قـد اقـترب منهـا عـدة خطـوات ليصبـح عـلى مقربـة منهـا، وكانـت مـنى لا تـزال واقفـة في مكانهـا، ومـاإن أنهـت الأم دعاءهـا حـتى وضـع هشـام يـده عـلى كتفهـا وقـال:

- حرما يا أمي.

مـا إن رمقتـه بعينيهـا حـتى فتحـت ذراعيهـا وعانقتـه عناقـا شـديدا وهـي تحمـد الله عـلى اسـتجابته لدعوتهـا وعـودة ابنهـا سـالما، وكان شـوقها لـه أكـبر مـن أن تأنبـه عـلى رحيلـه دون أن يخبرها،فالأهـم الآن أنـه قـد عـاد سـالما، ولأن مـنى الكبـيرة كانـت عـلى ذات الوضـع حـين وصولهـم ومـع فرحهـا بعـودة هشـام، لـم تلحـظ وقـوف مـنى الصغـيرة خلفهـا، ولذلـك خـرج هشـام مـن بـين أحضـان أمـه وقـال لهـا بعـد أن قبـل يديهـا ونظـر لهـا بعينـين دامعتين،وقـال:

- سمعتك وانتي بتدعي ربنا و بتقولي إنك دايما شيفاها بقلبك ونفسك ربنا يجمعك بيها، والظاهر إن ربنا الرحمن الرحيم استجاب النهارده لدعواتك كلها.

وقف هشام أمام أمه ومد يده لها ليوقفها، وما إن استقامت حتى أمسك بكتفيها وأدارها للخلف مائة وثمانين درجة لتقف في مواجهة منى الصغيرة، واقترب من أذنها وقال هامسا:

- ربنا ردهالك زي ما رد موسى لأمه ويوسف ليعقوب.

ثم اشار إلى منى الصغيرة أن تقدمي، وبالفعل تقدمت منى خطوات بطيئة جدا نحو هشام وأمها وهي تعلق نظرها عليها بعين دامعة، وما إن وقفت أمامها حتى مدت منى الكبيرة يدها لوجه ابنتها تتحسسه برفق كما فعلت في المرة الوحيدة التي رأتها فيها حين ولادتها، وكانت كل دقة بقلبها تخبرها أنها هي ابنتها، فكل أجهزة الاستشعار تصبح بلا قيمة بمواجهة قلب أم يشعر بوليده، وما إن أمسكت منى الصغيرة يد أمها التي تتحسس بها وجنتيها وقبلتها حتى اختطفتها أمها بداخل ذراعيها،وأخذتها وهوت إلى الأرض لترتكزا على ركبتيهما في عناق شديد مكون من مزيج يصعُب فصله بين الألم والأمل. تحولت دموع الأم الصامتة إلى نحيب له صوت

مسموع، عناق بنحيب قوى يبدوا منذ الوهلة الأولى أنه عناق وداع لا عناق عودة، ولكن العودة أحيانا تكون أصعب من الوداع، العودة بعد حرمان، بعد تمزق الروح من الانتظار، بعد وأد الامل في التلاقي، بعد فقدان رغبة الحياة وعودتها مرة أخرى، هنا فقط يصبح عناق العودة أقوى وأصعب من عناق الوداع.

ارتكز هشام هو الآخر على ركبتيه و التحق بهذا العناق الحاني وهو يشعر للمرة الأولى أنه استطاع أن يقدم شيئا ذا قيمة لأمه،استطاع بتوفيق من الله أن يرد إلى أمه روحها التي سلبت منها فى الماضي عنوة.

قطع هذا العناق وتلك الدموع وهذه المشاعر صوت طرق الباب،فوقف هشام مستقيما وذهب ليفتح لأنه بكل تأكيد يعلم أن الطارق هو فوزي الذي هاتفه فور وصوله إلى مطار القاهرة، وطلب منه أن يتبعه فورا إلى المنزل دون أن يتطرق لأية تفاصيل، وبالفعل فور أن فتح الباب وجد فوزي أمامه وارتمى بين أحضانه فى عناق يملؤه شوق حقيقي، وما إن دلف للداخل وأغلق الباب حتى رأى فوزى الأم وابنتها تتعانقان وتبكيان في مشهد مهيب فوقف مصدوما لا يعلم ماذا يحدث؟

ولا يعلم من تلك الفتاة التي تعانقها أخته بحرارة، حتى اقترب هشام من أذنه وقال هامسا وهو يبتسم:

- أختى، وعلى فكرة هي كمان اسمها منى.

تقدم فوزي تجاههم ببطء هو الآخر يتفحص ملامحها من بعيد، وما إن اقترب منهما حتى استقامت منى الكبيرة ومعها منى الصغيرة التي بادلته ذات النظرة المطولة وقالت وهي تدمع:

- بالتأكيدإنك الخال فوزي كما وصفك لى أخي بالضبط، فمنذ أن بدأت رحلةعودتنا لم يتوقف حديثه عنك وعن أمي.

دمعت عينا فوزي وهو يسمع تلك الكلمات، وعانقها هو الآخر عناقا قويا كعناق أب لابنته ليلة زفافها، ثم أخرجها من بين ذراعيه ونظر بعينيها وقال مبتسما:

- كأني حاضن أمك وهي صغيرة بالظبط، سبحان الله الخالق الناطق هي، حمدالله على سلامتك يا بنتي.

هنا تدخل هشام ممازحا الجميع بعدما قلب كفيه ومسح بهما دموعه وقال:

- هنفضل نعيط كلنا كدا كتير، هو مش العياط كان ممنوع فى البيت دا ولا ايه:

هنا ابتسم فوزي وقال:

- عنـدك حـق، كنـت فـين يـا ابـني اليومـين الـلي فاتوا،ووصلـت لأختـك ازاي.

فابتسـم هشـام بعدمـا اخـترق الصفـوف، ووضـع يـده عـلى كتـف أخته،ووضـع اليـد الأخـرى عـلى كتـف أمـه وسـار بهمـا قليـلا نحـو الأريكـة، وأجلسـهما وجلـس بينهمـا وهـو يقـول:

- دي حكايـة طويلـة أوي، عاوزكـم تقعـدوا كـدا وتهدوا علشـان أحكيهالكم .

(٢١)

بـدأ هشـام في قـص كل مـا حـدث معـه منـذ أن قـرر السـفر لمالطـا لملاحقـة رضـوان، وأخبرهـم أيضـا عـن التغير الـذي حدث لـه بعدمـا أصيـب بالشـلل، وأخبرهـم عـن كشـفه لمـكان الذهـب المتبقـي للسـلطات المصريـة، وعـن مسـاعدته لـه في تسـجيل المصـل والاسـتفادة منـه عالميـا، وعـن التنـازلات الـذي قـرر أن يقدمهـا مقابـل أن تسـامحه مـنى ويعـود مـرة أخـرى لحياتهـم، وعـن حاتـم الـذي عـاد معـه مـرة أخـرى وجمـع شـمله بأسرتـه.

كانـت مـنى وفـوزي يسـتمعان لكلمـات هشـام بمشـاعر تتبـدل وتتغـير في كل موقـف يحكيـه، فشـعرا بالكراهيـة والسـخط عندمـا علمـا باختطافـه لحاتـم وتعذيبـه، ثـم بالشـفقة والعطـف عندمـا علمـا بالسـم والشـلل، ثـم بالعرفـان عندمـا علمـا باهتمامـه بهشـام طـوال السـنوات الماضيـة وأنـه لـم يغـب عـن نظـره

البتة، ثم بالرحمة والشكر عندما سمى صغيرته باسم زوجته عندما استعادها ممن اشتراها، ثم بالغفران عندما أعاد ابنته لأمها واختار ان يساند هشام ويدعمه عندما شعر بالخطر الذي يحيط به .

أنهى هشام حديثه بعدما قص كل ما حدث وتذكر القرص المضغوط الذي منحه إياه أبوه فنظر لأمه وقال في امل:

- قبل ما تقرري هتسامحيه ولا لا هو باعت معايا حاجة لازم تشوفيها الأول وبعديين تقرري.

قام هشام من جلسته ودلف لغرفته، واحضر الحاسوب المحمول خاصته وأدرج القرص المضغوط ليجد بداخله ملفا مكتوب بداخله اسم بريد إلكتروني والرقم السري الخاص به وعنوان موقع إلكتروني، وموضح بالأسفل خطوات الولوج للموقع وكيفية إدراج البريد والرقم السري، وما لاحظه هشام في الملف ان هذا الموقع الالكتروني ليس على شبكة الانترنت العادية التي يدلف إليها كثيرا، ولكن المتصفح المطلوب أن يدلف للموقع من خلاله هو عبارة عن متصفح يدلف إلى شبكة الانترنت السوداء أو الـ(dark web)وأن هذا الموقع هو أحد مواقع عرض الفيديو بداخلها، الذي يصعب تعقبه أو تحديد موقع رفعه لتلك الشبكة القذرة، لم يبال هشام

لدخوله لتلك الشبكة فهو يستخدم برنامجا مضادا للفيروسات قويا يستطيع أن يحميه ويحمي خصوصيته على تلك المواقع المشبوهة، وبالفعل ما إن دلف للموقع حتى وجد أمامه فيديو مكتوب أسفله:

(for mona and hesham)

وقبل أن يشرع في تشغيل الفيديو قام بتوصيل الحاسوب إلى شاشة التلفاز الذكية عن طريق الانترنت اللاسلكي كي يتسنى للجميع مشاهدته،وبالفعل قام بضغط زر التشغيل وعاد ليجلس بجوار أمه التي اقتربت من ابنتها في جلستهم ووضعت يدها على كتفها محتضن إياها في وضع الجلوس، وما إن جلس هشام واستقر حتى ظهرت شاشة سوداء اللون استمرت قرابة ال٢٠ ثانية، وما إن انتهت هذه الشاشة وظهر من خلفها رجل جالس على مقعد حتى انتفض الجميع عدا هشام وقالو بأصوات متقاطعة:

رأفت،أونكل رأفت.

فشعر هشام أنه الوحيد الذي لا يعرفه فقال في فضول مسرعا:

- مين دا؟

فرد فوزي في حنق:

- دا الدكتـور الـلي ولـد أمـك في المرتـين والـلي اختفـى مـع رضـوان زمـان.

ثم ردت منى الصغيرة،وقالت:

- دا أونـكل رأفـت صاحـب بابـا الـلي حطلـه السـم في الأكل، واختفـى مـن سـاعتها.

سـاد الصمـت مـرة أخـرى، وارتفعـت درجـة الانتبـاه والتركـيز ليسـمعا مـا سـيقوله هـذا الوغـد وبالفعـل مـا إن عـم الصمـت حـتى بـدأ الرجـل في الحديـث وهـو جالـس عـلى المقعـد ويقـول:

- طبعـا يـا هشـام أنـت كنـت منتظـر إن رضـوان يبقـى هـو الـلي مـكاني دلوقـتي، وكنـت متخيـل إن الفيديـو دا هتـلاقي فيـه أبـوك بيسـتعطف أمـك علشـان ترجعلـه، وهـي دي الحقيقـة عـلى فكـرة، لـو كان رضـوان لسـه عايـش كان هايعمـل أي حاجـة علشـان تسـامحيه يـا منى، يمكـن القـرار دا هـو الـلي كان السـبب في قتله،طبعـا أنـت دلوقـتي يـا هشـام افتكـرت إن أبـوك اتقتـل بعـد مـا سـافرت أنـت وأختـك لكـن مـش دي الحقيقة،الحقيقـة إن الـلي أنـت قابلتـه دا مـش رضـوان دا شـبيه رضـوان الـلي كان بيسـتخدمه في العمليـات الخطـيرة الـلي كان بيخـاف يحضرهـا بنفسـه، وطبعـا علشـان محـدش كان يعـرف بوجـود الشـبيه دا غـيري أنـا ورضـوان

بـس، كان مـن السـهل عليـا إني أفضـل أسـتخدمه بعـد مـوت أبـوك بالسـم في المستشـفى، وأبدلـه مكانـه وأخـترع موضـوع الشـلل دا علشـان ألاقي حجـة أقلـل بيهـا التعامـل بينـه وبـين أختـك، علشـان طبيعـى مفيـش واحـدة بتتلخبـط في أبوهـا، وعـلى فكـرة صـورة أبـوك وشـبيهه هتلاقيهـا عـلى موقـع أيرلنـدى اسـمه twinstrangers ودا الموقـع الـلي عـن طريقـه لقينـا شـبيه لأبـوك ومـن حظنـا إنـه كان فقـير ومعـدم فـكان مـن السـهل أوي إنـه يشـتغل معانـا مقابـل شـوية فلـوس، والموقـع موجـود لـو حابـب تتأكـد مـن كلامـي بنفسـك، ولا أقولـك أنـا هاخليـك تتأكـد بـدل مـا تتعـب نفسـك.

ثـم أشـار بيـده إلى يمينـه فظهـر الرجـل الـذي قابلـه هشـام في مالطـا أمـام عدسـات الكاميرا، والـذي كان منتحـلا لشـخصية رضـوان الحقيقـي،وكان بالفعـل واقفـا عـلى قدميـه لا يبـدو عليـه أيـة أثـر لشـلل أصابـه يومـا، و لـوح بيـده للكاميرا، وخـرج مـن الـكادر ثانيـة ليعـود رأفـت للحديـث ثانيةويقـول:

- أنـا ماكنتـش عـاوز أقتلـه، بـس لمـا جـالي في يـوم وقـال لي إنـه حلـم بنفسـه بعـد المـوت، وإنـه خايـف مـن الآخـرة الـلي كان نسـيها، وإنـه قـرر يرجـع مـصر مهمـا حصـل حسـيت إنـه هايضيـع كل حاجـة عملناهـا في السـنين الـلي فاتـت، ولمـا اتكلمـت معـاه كتير ومـا اقتنعـش كان لازم أتخلـص منـه قبـل مـا يضيعنـا كلنـا،وكان

لازم أختـار دينزيـل يبقـى جنـب الشـبيه في كل وقـت علشـان دينزيـل ظابـط مخابـرات سـابق وهايعـرف يتـصرف لـو حصـل أي حاجـة، وعـدت الأيـام وكنـا ناويـين ننقـل ثروةأبـوك ليـا وخـلاص ونتخلـص مـن أختـك في أي حادثـة لحـد مـا أنـت ظهـرت تـاني وعرفنا بالكـنز الـلي أنـت وصلتلـه، المصـل الـلي جربتـه عـلى هانـز زمـان ومكنـاش نعـرف هـو ايـه بالظبط،ابتديـت أدور لحـد مـا عرفـت كل التفاصيـل وكان لازم أجيبـك عنـدي هنـا علشـان أقـدر آخـد منـك التركيبـة علشـان الثمـن الـلي معـروض فيهـا عقلـك صعـب يتخيلـه، كنـت هانـسى أقولـك إن القلـم الـلي أنـت شـوفته هنـا ماكنـش فيـه التركيبـة ولا حاجـة دا كان أنسـولين عـادي لأننـا معرفنـاش نصنـع المـادة المجهولـة كيميائيـا ولا حاجـة زي مـا أنـت سـمعت حـتي الإحداثيـات الـلي أنـت بعتهـا للظابـط المـصري، دا مـكان مقـبرة قديمـة بعناهـا زمـان ولمـا يوصـل مـش هيـلاقي غـير ٥ مليـون دولار باقيـة تمـن المعلومـات الـلي باعهالنـا، والمعلومـات الـلي وصلهالـك علشـان تيجـي عـلى مالطـا لأن الدهـب احنـا خرجنـاه مـن مـصر قبـل مـا نبلـغ عـن نـاصر، علشـان كنـا متأكديـن إنـك لمـا تسـتخدم عليـه المصـل كان هايقـول عـلى كل حاجـة يعرفهـا وسـاعتها أنـت هاتبتـدي تـدور عـلى رضـوان وتيجـي عـلى هنـا علشـان تسـلمنا المصـل.

- أبـوك مـات علشـان اشـتراك أنـت ومـنى وباعنـا، وأنـت عشـت علشـان سـلمتنا المصـل واشـتريت نفسـك،أنا بعرفـك الـلي حصـل علشـان تعـرف أنـت بتتعامـل مـع مـين، ولـو فكـرت تتكلـم أو تـدي التركيبـة لحـد تـاني هاتدفـع التمـن غـالي أوي، دخولـك وخروجـك مـن مـصر متقيـد في الجـوازات والورقـة الـلي فيهـا سر التركيبـة مكتـوب عليهـا العنـصر الـلي ناقـص بخـط ايدك،ونـادر دلوقـتي هيلاقـوه مقتـول جنـب المقـبرة الـلي في الصحـراء ومعـاه شـنطة فيهـا ٥ مليـون دولار، يعـنى ببسـاطة قضيـة التخابـر مـع دولـة أجنبيـة وبيـع عقـار لاسـتخدامه في أعمـال اسـتخباراتية متفصلـة عـلى مقاسـك بالظبـط.

- ظابـط أمـن وطـني مقتـول ومعـاه رشـوة قيمتهـا ٥ مليـون دولار، خرجـت مـن البلـد ورجعـت بـدون التنسـيق مـع الجهـات الأمنيـة بعـد اكتشـاف إن أبـوك مطلـوب للعدالـة، وورقـة مكتـوب عليهـا بخـط ايـدك و٥٠ مليـون دولار هيبقـوا في حسـابك في البنـك أول مـا البنـوك تفتـح يعـنى الاختيـار دلوقـتي في إيـدك، تسـكت وتقبـل تمـن مصلـك وجثـة نـادر تختفـي ومتحاولـش تـدور ورانـا، أو ترفـض وتتعـدم عـلى إيـد الأمـن المـصري، وبعدهـا احنـا هانتخلـص مـن كل أهلـك بـدم بـارد، عمومـا أيـا كان قـرارك احنـا هانعرفـه بطريقتنـا وهانتـصرف عـلى أساسـه والفيديـو دا هايتمسـح دلوقـتي أتوماتيـك كأنـه عمـره مـا اتسـجل.

فـور انتهـاء التسـجيل كان الجميـع يدمـع عـلى مـوت رضـوان، وكان الجميـع يحمـد الله عـلى ترتيـب القـدر الـذي أخـرج هشـام مـن مـا كان يدبـر لـه، لأنـه فـور بـدأ التسـجيل اقتحمـت قـوة مـن جهـاز أمـن الدولـة المـنزل لاصطحـاب هشـام للجهـاز للتحقيـق في سـفره وعودتـه دون التنسـيق معهـم ، ولكـن اسـتاذنهم فـوزي بإكمـال مشـاهدة التسـجيل قبـل مغادرتهـم وأن محتـواه مـن الممكـن أن يكـون مفيـدا، وبالفعـل كان لطـف القـدر أن كل أعضـاء القـوة شـاهدوا جميعـا التسـجيل،وأصبحوا شـهودا لصالح هشـام أن مـا سـيظهر ضـده فيمـا بعـد هـي أدلـة ملفقـة ليـس إلا وأنـه كان ضحيـة وفريسـة لتلـك المنظمـة الـتي لا تعـرف الرحمـة، وأن نـادر هـو مـن أفـشى سر المصـل لهـم وهـو الـذي تسـبب في سـفر هشـام للخـارج وأنـه دون المعلومـات المغلوطـة الـتي أوصلهـا لهشـام لمـا غـادر هشـام أرض الوطـن وهـا هـو نـادر قـد نـال عقابـه الـذي يسـتحقه.

مـرت أيـام عـدة بـين التحقيقـات لـم يكـن فيهـا هشـام أو أختـه مـنى متهمـين بـشيء، ولكنهمـا كانـا يحـاولان مسـاعدة الأمـن في الوصـول لرأفـت ومعاونيـه بالتنسـيق مـع الانتربـول الـدولي، ومـع كل المحـاولات للقبـض عليهـم والـتي بـاءت بالفشـل قـرر هشـام أن ينتقـم لنفسـه ولمقتـل أبيـه بطريقتـه الخاصـة فانـه يعلـم تمـام العلـم أن الدولـة او الجهـة الـتي دفعـت كل تلـك

الأمـوال لرأفـت مقابـل المصـل لـن تجـد لـه قيمـة إذا أصبـح مشـاعا وتملكـه كل الـدول وهـي مـن سـتنتقم مـن رأفـت اشـد انتقـام، وبالفعـل بـدأ هشـام بنـشر المصـل في أكـثر مـن مجلـة علميـة بعدمـا كانـت تجـري اللجـان الطبيـة لتلـك المجـلات بعـض التجارب،وتثبـت صحـة المصـل قبـل نـشر تفاصيلـه بهـا،وفي أقـل مـن عـام كان المصـل بـين يـدي الجميـع بعـد تقـدم أكـثر مـن شركـة أدويـة لتصنيـع المصـل مـع حفـظ حقـوق الملكيـة الفكريـة لهشـام،حتى أنـه أصبـح يبـاع في السـوق السـوداء في كل دول العالـم بمبالـغ باهظـة لأيةمشـترٍ يريـد أن يصـل لحقيـة أي شيء، وانهالـت عـلى هشـام الأمـوال الطائلـة الـتي جعلتـه مـن أثـرى أثريـاء العالم،وبالفعـل بـدأ تطبيـق اسـتخدام المصـل في السـجون وفي التحقيقـات الجنائيـة في كافـة دول العالـم ممـا أدى لانخفـاض نسـبة الظلـم الـتي كان يتعـرض لهـا المتهمـون في أيـة نـوع مـن القضايـا، و لكـن كانـت الطامـة الكـبرى عندمـا قامـت عـدة حـروب بـين دول كثـيرة بسـبب الحقائـق الـتي تكشـفت بعـد اسـتخدام المصـل والإيقـاع بعـدة جواسـيس كانـت تابعـة لتلـك الـدول، وأصبـح هشـام في نظـر العالـم كألفريـد نوبـل الـذي اخـترع الديناميـت، وسـيرتورنر الـذي اخـترع المورفـين؛ ثلاثتهـم كانـت نواياهـم نبيلـة، ثلاثتهـم سـعوا واجتهـدوافي الوصـول إلى اخـتراع يخـدم البشريـة، وثلاثتهـم تحولـت اكتشـافاتهم للعنـة

أصابـت الأرض ومـن عليهـا، ومـا كان مـن هشـام بعـد تلـك الحـروب إلا أن اعـتزل العالـم أجمـع وكتـب خطابـا أرسـله لكافـة القنـوات الفضائيـة لتبثـه عـلى النـاس في كافـه ربـوع الأرض كتـب فيـه:

خطاب هشام زكريا الأخير

كنت أحلم بعالم خالٍ من الكذب، لا يوجد فيه سوى الصدق ولكني لم أنتبه أن الكذب مثل الصدق كلاهما من صنع الله،فإن لم يكن لوجود الكذب حكمة إلهية لما وجد من الأساس فكما خلق الخير خلق الشر، ليشكل الاثنان معا التوازن الطبيعي للحياة، أنا لا أشجع الكذب ولا أحثكم عليه، ولكن عندما كشفت الكذب وأجبرت أصحابه على نطق الحقيقة أصبحتُ كمن حجب الشمس حتى لا يذوب الثلج في القطبين ونسيت أن الأشجار بينهما لا تنمو إلا بوجود الشمس؛ أي أن بعض الأسرار يجب أن تظل أسرارا ولا يجب كشفها ولا الإفصاح عنها، فكثير من البيوت عامرة حتى الآن لأن هناك أسرارا لم تكشف، وكثير من الحضارات سجلت في تاريخ البشر حضارات عظيمة لأن هناك أسرارا لم تكشف، وكثير من الأشخاص كتب

التاريخ حروف أسمائهم بالنور لأن المواضع التي كذبوا بها لم تفضح، حتى عندما أمر الله في كل الكتب السماوية عباده أن لا يتجسسوا ولا يسعوا لإفشاء الأسرار كان لحكمة عنده؛ فهو يعلم أن قدرة البشر على المغفرة والسماح ضئيلة وقليلة لن تسع كل الكذب الذي أصبحنا لطغيانه نتنفسه في الهواء الآن فلكم مني كلمةأخيرة:

اتركوا الله يحاسب الكذابين والظالمين، اتركوا الله يحقق عدله في الأرض، اتركوا صناديق الأسرار مغلقة كما هي،

أنتم لستم صالحين أنتم فقط مستورون؛ فالجهل بالحقيقة أحيانًا يكون أفضل من العلم بها.

تمت بحمد الله

الكنزي
ALKANZY